د. احمد عدوان

الدّولة الحمَدانية

منشورات
المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان والمطابع

الطبعة الأولى

1981 م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

لست أدري إذا كان بين شبابنا العربي من لا يعرف الدولة الحمدانية التي قامت بدور حيوي وهام في الدفاع عن حياض العروبة والاسلام ، عندما بدأت الخلافة العباسية تأخذ طريقها الى الانهيار والضعف ، وتغيرت موازين القوى في منطقة الشرق الأدنى آنذاك ، فالدولة البيزنطية التي ظلت مضطرة لالتزام الدفاع عن كيانها ضد المسلمين لمدة حوالي ثلاثة قرون أخذت تعمل على إعادة فرض نفوذها على الشرق ، ويمثل الهجوم البيزنطي في هذه المرحلة ذروة الخطر بالنسبة للمسلمين في الشرق الأدنى ، ولأنه يمثل أيضاً مقدمات للعدوان الأوروبي الصليبي على منطقتنا .

لكن الدولة الحمدانية المحدودة الامكانات والموارد نجحت في صد هذا الخطر الزاحف الذي لو كتب له النجاح لتغير وجه بلاد الشام ارضا وعقيدة ، قال تعالى « وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله » ، ولا ابالغ اذا قلت بان الحمدانيين انزلوا الهزيمة بالدولة البيزنطية في عقر دارها ، رغم الظروف الداخلية التي كانت تواجههم فالدسائس والمؤامرات في بلاط الخلافة ضدهم لم تنقطع وكذلك المنافسات والمنازعات مع الدول الاسلامية المجاورة لها ، كل هذا وذاك كلفها الكثير من الجهد الذي كان يجب ان يكرس لمقارعة الاعداء .

إن دراسة هذه الحقبة الرائعة من تاريخنا تساعدنا في الكشف عن جذورنا وعناصر اصالتنا واسرار ذاتنا لأن الفرد الذي يتعرف على اسلافه عبر القرون الماضية يستطيع ان ينفذ ببصيرته من ستور الغيب ليبصر تقاليده وعاداته عبر الاجيال المقبلة ،

ولعل « بيرك » عنى ذلك عندما قال « انه لمن المستحيل على أولئك الذين لم يستفيدوا من النظر الى اسلافهم ان يتطلعوا الى اخلافهم » .

ان الايام التي عاشها جزء من شعبنا العربي في حدود دولته الصغيرة لم تكن كلها انتصارات ، بل تخللتها بعض الهزائم ، ومن دروس النصر وعبر الهزيمة ترتفع قيمة الشعب المؤمن المناضل في سبيل حريته وحقوقه ، وكل الشعوب ذاقت حلو الايام ومرَّها وليس هناك شعب عريق لم يحفل تاريخه بانتصارات فخمة وهزائم مريرة .

ان ما يسجل لهذه الأمة بكل فخر مسلكها المتزن عند النصر وحتى عند الهزيمة حين تثبت وتناضل فلا تفقد اتزانها ولا يجرفها تيار اليأس والاستسلام . اجل ان الشعب العربي يسير على طريق عريق حافل بعلامات النصر ومواقع البطولة وامام سجل زاخر بالمجد مليء بالفخار ، فاذا ما راجع العربي اليوم ، صفحات تاريخه وقلب كتاب انتصاراته في القديم والحديث ، ثم نظر الى حاضر ايامه ومعاركه الاخيرة ، فلا ريب ان كفة الامل هي التي ترجح ونظرة الفوز هي التي تعلو . قال تعالى :

« ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا » صدق الله العظيم .

دكتور : احمد محمد عدوان

الفصل الاول

الحياة السياسية في الدولة العباسية واثرها في ظهــور الــدول المستقلة

1 ـ تمهيد

2 ـ ازدياد النفوذ التركي واثره على الخلافة

3 ـ ضعف الاتراك وقوة الخلافة

أ ـ علاقتها بالدولة الصفارية

ب ـ علاقتها بالدولة الطولونية

ج ـ ثورة الزنج ـ بداية أمر القرامطة .

4 ـ تدهور الخلافة

5 ـ ضعف الوزارة

تمهيد :

لما كان موضوع بحثي هو العلاقات الخارجية للدولة الحمدانية فقد رأيت ان اقوم في هذا الفصل بدراسة موجزة للحياة السياسية للخلافة العباسية ما بين « 223-330 هـ » تلك الفترة التي اختلفت فيها احوال الخلافة ما بين القوة والازدهار ، وبين الضعف والفوضى والاضطراب . وقد ساعدت هذه الظروف المضطربة على قيام الدولة المستقلة ومنها الدولة الحمدانية التي سبقتها دول استقلت في العصر العباسي الأول رغم ان غالبية المؤرخين يعتبرونه عصر العظمة العباسية ومجد وعلوّ الخلافة .

فقد تجلت في هذا العصر الأول هيبة الخلفاء ، فاستقر سلطانهم السياسي ، وسيطروا على الحكومة المركزية ، وعلى ولاة الامصار ، شرقا وغربا .

فكان الخلفاء في العصر الأول مصدر جميع السلطات ومنبع القوة السياسية والعسكرية يجبى اليهم خراج الدولة ، وتضرب السكة باسمهم[1] وتمتع هؤلاء الخلفاء الأوائل بالقدرات والكفايات وقاموا بمسؤولياتهم على اكمل وجه ، وابرزوا قوة الخلافة العباسية الوليدة وفعاليتها ، وقام كل منهم بدوره في احداث العصر العباسي الاول . وفي العصر العباسي الأول ، كان الوزير على رأس الحكومة فأصبح عضد الخليفة وساعده الأيمن في ادارة شؤون الدولة ، وكان المسؤول من الوجهة العملية عن سياسة الدولة في الداخل والخارج . وكان يولى ويعزل الموظفين ، كما كان مستشارا للخليفة .

---

(1) احمد امين : ظهور الاسلام ج1 -90

ولكن رغم هذه القوة التي تمتعت بها الخلافة العباسية في عصرها الأول ، ورغم هيبة خلفائها ، فقد واجهت الدولة في هذا العصر مشاكل وصعوبات ذللها الخلفاء الاوائل بينما عجز اسلافهم في العصر العباسي الثاني عن مواجهتها عندما استفحلت . ولقد ترتب على عجز الخلفاء في العصر العباسي الثاني ظهور الفتن الداخلية التي أضعفت السلطة المركزية ، كما سنرى ، مما أدى الى قيام دول الأطراف التي استقلت عن الخلافة العباسية .

ومن هذه المشاكل اعتماد الخلفاء منذ نجاح الدعوة العباسية اعتماداً يكاد يكون تاماً على العنصر الفارسي ، واهمال العنصر العربي الذي كان له السيادة في صدر الاسلام .

ويبدو ذلك واضحا عندما وجّه ابراهيم الامام الى خراسان سنة 127 هـ وفدا من الخراسانيين على رأسهم ابو مسلم ، فقال له : « يا عبد الرحمن انك رجل منا اهل البيت فاحفظ وصيتي وانظر هذا الحيّ من اليمن فأكرمهم وحل بين أظهرهم فان الله لا يتم هذا الامر الا بهم وانظر هذا الحي من مضر فانهم العدو القريب الدار فاقتل من شككت فيه . . . وان استطعت الا تدع بخراسان لسانا عربيا فافعل ، فايما غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه فاقتله[1] » .

وهذه النصيحة توضح مرامي السياسة العباسية في خراسان ، ولنا ان نتساءل : هل قام العرب بامر الخلافة حقا كما اوصى ابراهيم الامام ؟

والحقيقة ان العرب لم يقوموا بامر الخلافة ، انما كان الامر والنهي في أيدي الفرس الذين وصلوا الى اعلى المناصب السياسية وخاصة في عهد الخليفة هارون الرشيد حيث تبوأت اسرة البرامكة الرئاسة في الدولة العباسية . فقد استوزر الرشيد يحي بن خالد البرمكي وفوض اليه في شؤون الدولة تفويضا كاملا فقال له : « قد قلدتك امر الرعية وأخرجته من عنقي اليك فاحكم في ذلك بما ترى من الصواب واستعمل من رأيت ، وامض الأمور على ما ترى »[2] .

---

(1) ابن كثير : البداية والنهاية ج10 -28

(2) ابن كثير : البداية والنهاية 10 -160 -162 . طبري 6 -461

ولم يلبث ان دفع الرشيد اليه خاتم الخلافة فاجتمعت له الوزارتان[1] وهكذا عظم قدره في البلاط العباسي حتى أن الخليفة الرشيد ولاّه القضاء ورد المظالم ، مما لم يباشره غير الخلفاء . وقد وصل البرامكة الى مكانة كبيرة حتى ان الخلفاء حسدوهم عليها ، ومما كان من الاسباب المباشرة في نكبتهم على يدي الرشيد[2] .

سأل احدهم المأمون ان ينظر الى عرب الشام كما نظر الى اهل خراسان ، فرد المأمون عليه ردا يعتبر تصريحا قاسيا وخطيرا في نفس الوقت ويدل على مدى تفرقة العباسيين بين العنصر العربي والفارسي في المعاملة ، وخاصة ان هذا التصريح صادر من امير المؤمنين نفسه .

ولقد افضى هذا التساهل مع الفرس ، والاعتماد عليهم الى جر البلاد والخلفاء من بني العباس الى الهاوية . فقد كانت وصية ابراهيم الامام لابي مسلم مقصورة على ان يلتزم هذا الحي من اليمن وان يسكن بين اظهرهم فان الله لا يتم هذا الامر الا بهم ، ولكن هذه الوصية لم تنفذ وطمع الفرس في اعلى المراكز ، وشغلوها واخذوا ينافسون الخلفاء حتى احسوا بسطوتهم ، فتخلصوا منهم كأبي مسلم الخراساني واسرة البرامكة ، رغم انهم خدموا الخلافة ، وكانوا من الاسباب المباشرة لنجاح الدعوة وتدعيمها .

هذا من ناحية ومن الناحية الاخرى لم ينفذ الخلفاء العباسيون روح الآية الكريمة : « واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا » .

والواقع ان الخلفاء العباسيين نقضوا دائما عهودهم ، فقد عهد ابو عبد الله السفاح بولاية العهد من بعده لاخيه ابي جعفر المنصور ثم لعيسى بن موسى ، فلما تولى ابو جعفر عهد لابنه المهدي وأرغم عيسى بن موسى على التنازل عن حقه بعد ان هدده

---

(1) الطبري تاريخ الرسل والملوك 6-445 . (سأشير لهذا المصدر فيما بعد بالطبري فقط)

(2) ابن كثير ، البداية والنهاية 10-189

المنصور وارهبه[1] . فقال أهل الكوفة « هذا الذي كان غدا فاصبح بعد غد »[2] . وكذلك فعل المهدي بن المنصور وبايع لولديه الهادي والرشيد وخلع عيسى بن موسى ، كما بايع الرشيد فيما بعد لولديه الامين ثم المأمون ، مما ادى الى حرب اهلية انتصر فيها المأمون ، وكانت العناصر العربية تؤيد الأمين بينما ايدت العناصر الفارسية المأمون .

كما نقض السفاح العهد الذي بذله ليزيد بن هبيرة احد عمال مروان الاموي[3] .

وقتل المنصور ابا مسلم الخراساني،كما قتل عمه عبد الله بن علي . وقد كان يرى نفسه انه احق بالخلافة من المنصور لما قام به من خدمات للدولة الوليدة .

وهكذا كانت سياسة العباسيين عكس سياسة الامويين الذين حافظوا على العهود .

كما اتبع الخلفاء العباسيون سياسة تقسيم الدولة بين ابنائهم الا ان قوة الخلفاء الاوائل وهيبتهم ومساعدة الفرس لهم ، وايمان الفرس بتقديس الخلفاء ، مكنهم من القضاء على كل طامع او ثائر على الخلافة ، على عكس ما حدث في العصر الثاني حيث اعتمد الخلفاء على العنصر التركي وهو اقل حضارة من العنصر الفارسي كما صاحب قيام الخلافة العباسية فتن داخلية ، منها ثورات العلويين الذين حقدوا على ابناء عمومتهم لانهم كانوا يرون انهم احق بالخلافة . ولقد كانت ثوراتهم من العنف بحيث أقلقت مضاجع الخلافة فترة طويلة حتى نجح العلويون في النهاية في تكوين دولة علوية مستقلة عن الخلافة العباسية ، هي الدولة الفاطمية .

ومن اعنف الثورات العلوية ، تلك التي قامت في عهد الخليفة المنصور بزعامة محمد النفس الزكية واخيه ابراهيم . الا ان المنصور قضى على تلك الثورات في

---

(1) Muir the Caliphate P. 46

(2) ابن طباطبا ، الفخري في السلطانية ص126

(3) ابن قتيبه : ج2 / 240-241-242-243-244 الامامة والسياسة

مواطنها ، بعد ان دفعت الخلافة الثمن غاليا من الدماء والاموال[1] .

ووقف الفرس الى جانب العلويين لانهم ، كما ذكرنا ، كانوا يؤمنون بتقديس شخصية الخلفاء ، وان العلويين وحدهم لهم الحق في تولي الخلافة ، نتيجة زواج الحسين بن علي من شهريانوه بنت يزدجرد الثالث آخر اكاسرة الساسانيين[2] . والى جانب ثورات العلويين ، ظهرت حركة المعارضة التي قام بها الخوارج ، وكان لها اثر سيء في الدولة حيث انتشرت مبادئهم في المناطق التي تتفق وروح اهلها مع المبادىء الديموقراطية ، وخصوصا في منطقة الموصل ، حيث تعيش القبائل العربية التي تنزع الى الحرية والاستقلال .

واجه الخلفاء العباسيون الأوائل كل هذه الفتن والثورات بروح الفداء والمقاومة ، حتى اخمدوها ولم تعد هذه الحركات الى الظهور الا بعد ان ضعفت سلطة الخلفاء في العصر العباسي الثاني وبعد خضوعهم للعنصر التركي .

ويرى بعض المؤرخين ان ضعف الخلافة العباسية يعود الى ايام هارون الرشيد لانه سمح للاغالبة بالاستقلال في افريقية[3] ، بينما يرى فريق آخر من المؤرخين ان الدولة الاسلامية كانت في عهد الرشيد في عصرها الذهبي ، وان كان الرشيد قد سمح لابراهيم بن الاغلب بتولي امارة افريقية ، الا انه اشترط عليه ان يدفع لخزينة الدولة سنويا اربعين الف دينار ، كما اعفى الدولة من مائة الف دينار كانت ترسلها الدولة من خزينة مصر لتنفق في افريقية[4] . كما ان الرشيد اتخذ من دولة الاغالبة حاجزا ضد الدعوة الشيعية الآخذة في الانتشار في المغرب . أيضاً: ولّى الرشيد ابراهيم بن الاغلب على افريقية ، لأنه وجد فيه الشخصية البارزة القادرة على ادارة شؤون المنطقة كما طالب الأهالي انفسهم بولاية ابراهيم عليهم وقد اعترف بسيادة الخلافة[5] وأرسل

---

(1) Muir the caliphate 455- 456

(2) حسين ابراهيم - الفاطميون في مصر 66 -67

(3) Ency Clopedia of Islam - vol. II P. 272

(4) ابن الاثير الكامل في التاريخ 5 -105 (سأشير لهذا المصدر فيما بعد بابن الاثير فقط) .

(5) ابن خلدون العبر وديوان المبتدأ والخبر 3 -228 (سأشير لهذا المصدر فيما بعد بابن خلدون فقط) .

الخليفة اليه مساعدات عسكرية ليقضي بها على مناوئيه[1] . أما عن موقف الرشيد من البيزنطيين فقد وقف الخليفة موقفاً حازماً ، اذ هاجم الأراضي البيزنطية وأرغمهم على دفع الجزية ، فقد دفع الامبراطور أربعة دنانير عن رأسه ، وعن رأس ولده دينارين وعن بطارقته كذلك[2] .

ولقد واصل خلفاء هارون الرشيد سياسة الهجوم على البيزنطيين سواء في الصوائف او الشواتي ، حتى ان امبراطور الروم بعث بهدية ثمينة للخليفة المأمون[3] » .

كذلك اضطر البيزنطيون امام هجمات المعتصم الى طلب الهدنة ، رغم ان عصره يعتبر بداية انحلال وضعف الخلافة العباسية وذلك نتيجة استعانته بعنصر الاتراك . فاضاف بذلك عنصرا جديدا الى العناصر الاخرى العربية والفارسية التي تصارعت على السلطة والنفوذ . مما ادى الى قيام الحروب والفتن التي عادت على البلاد بالضعف والخراب وانتهز الروم الفرصة للاغارة على الثغور الاسلامية .

والآن سنعرض صورة للدولة الاسلامية في النصف الثاني من القرن الثالث وأوائل القرن الرابع .

---

(1) ابن الاثير 5-105

(2) ابن خلدون 3-226 ـ العبر

(3) ابن خلكان : فوات الوفيات 1-240

ازدياد النفوذ التركي واثره على الخلافة

رأينا كيف فقدت الخلافة العباسية في العصر الأول ثقتها بالعنصر العربي ، مما كان له اثره في ضعفها ، حيث اعتمدت على العنصر الفارسي . ثم سنجدها في هذه الفترة تتخلص من العنصر الفارسي وتعتمد على عنصر جديد بعد ان فقدت ثقتها في كل من العرب والفرس ، فاعتمدت على العنصر التركي(1) .

وقد بدأ الاتراك يتوافدون على الأراضي العربية منذ الفتوح الاسلامية الاولى ، فكانوا يجلبون الى قصور الخلفاء عن طريق النخاسة او الجزية ، التي يؤديها امراء المشرق الى خزانة الدولة(2) .

ولقد الحقهم المأمون ببلاطه وبجيشه ، ولكن بنسبة قليلة ، تم توسع المعتصم في جلبهم واعتمد عليهم اعتمادا تاما في ادارة شؤون دولته في الداخل والخارج . واستعان بهم افراد البيت العباسي ايضا في الوصول الى الخلافة والتغلب على منافسيهم حتى اصبح الاتراك مصدراً للقلاقل ومنبعا للفتن والدسائس بدلا من ان يكونوا عونا للدولة وسياجا يصد عنها غارات المغيرين بل انقلبوا الى اعداء الداء لها جروها الى الاضمحلال والانحطاط .

وعند تولية المعتصم الخلافة كانت الظروف مناسبة لظهور هذا العنصر التركي المتأخر على حساب العنصرين العربي والفارسي ، فقد اكثر الخليفة منهم حتى ازداد عددهم وعاثوا في بغداد فسادا فضاق بهم اهلها(3) . ورأى الخليفة أن يبعدهم عن العاصمة فسار بهم الى مكان يعرف « بسر من رأى » الى الشمال الغربي من بغداد(4) ونقل اليها مركز حكمه فشهدت الخلافة في فترة وجودها بسامرا بوادر انحلالها ، اذ

---

(1) دوزيه : الدين الاسلامي 2478 عن فازليف

(2) كارل بروكلمان ـ تاريخ الشعوب الاسلامية ج2-47

(3) ابن الاثير 5-236 ـ ابن طباطبا ـ الفخري 319 ـ في الاداب السلطانية .

(4) سيد امير علي : مختصر تاريخ العرب ص248 ـ ابن خلدون 3-257 العبر

أصبحت هناك حبيسة قوة أقليمية ضعيفة مضطربة فاسدة . همها الوحيد الجري وراء خيرات الخليفة ومقدرات منصبه .

ومن أبرز الشخصيات التركية التي ظهرت في عصر المعتصم « ايتاخ التركي » . اذ قيل كان المعتصم اذا أراد قتل أحد فبيد ايتاخ يقتل وبيده يحبس(1) .

كما ظهرت شخصية الافشين الذي رفعته انتصاراته الى أسمى المناصب في الدولة ذلك لان الخلافة كانت قديئست من القضاء على بابك الخرمي فقضى الأفشين عليه ، وقد كون المعتصم من الاتراك فرقا كان يقودها ضباط من ابناء جلدتهم ، وكان هؤلاء الضباط يتلقون اوامرهم من الخليفة مباشرة وكانت هذه الفرق في عزلة تامة عن بقية الجيش(2) . الا ان المعتصم عرف كيف يكبح جماح الاتراك ولم يتح لهم فرصة السيطرة عليه عكس خلفائه .

ضعف العنصر العربي في عهد المعتصم ضعفا تاما ، اذ امر المعتصم باسقاطهم من دواوين الحكومة وقطع مرتباتهم(3) . ويعتبر ضعف هذا العنصر العربي وضعف العنصر الفارسي المتحضر والاعتماد على عنصر بربري فوضوي بداية النهاية لمجد الخلافة العباسية لان قصور الخلفاء انقلبت الى معاهد لهؤلاء الارقاء البرابره يتلقون فيها دروسا في الطغيان(4) .

ولذا سخط العرب وحرضوا العباس بن المأمون على المطالبة بالخلافة وشجعه القائد العربي عجيف بن عتبة لتفضيل المعتصم القواد الاتراك عليه رغم انتصاراته(5) الباهرة . الا ان المؤامرة كشفت ، وهرب انصارها ، وكانت بمثابة دفعة جديدة دفعت بالمعتصم الى احضان الاتراك(6) .

وكثرت الفتن والقلاقل في عهد المعتصم فقد اثارت جماعة الزط الفوضى

---

(1) ابن الاثير ج5-382

(2) سيد امير علي مختصر تاريخ العرب ص248

(3) محمد كرد علي - خطط الشام1-200

(4) Muir the caliphat P. 526

(5) الطبري7-267

(6) Muir the caliphat. P. 529

والاضطراب واعملوا السلب والنهب في منطقة البصرة، فسير المعتصم قائده العربي عجيف بن عتبه فهزمهم وتخلص منهم واستراحت الخلافة من فتنتهم(1) وبعد ان فرغت قوات الخلافة من الزط توجهت بقيادة الافشين « حيدر بن كاوس » الى الشرق ، للقضاء على ثورة بابك الخرمي وهي احدى حركات الزنادقة الشعوبية وكانت المعارك العنيفة بين الطرفين سجالا مرة لبابك واخرى عليه حتى سقط في النهاية أسيرا وحمله الافشين الى العاصمة ، وكان ذلك يوما مشهودا توج فيه المعتصم الافشين فقلده تاجا ووشاحين من جوهر واطلق له عشرين مليون درهم وكتب له بولاية السند ، وامر الشعراء ان يدخلوا عليه فيمدحوه على ما فعل من خير للاسلام(2) ، وانتهز الروم فرصة اشغال الخلافة في قتال بابك الخرمي وسيرت جيوشها فأغارت على بلاد الشام(3) بعد ان شجعهم بابك برسالة قال فيها « ان ملك العرب قد جهز الي جمهور جيشه . . . فان اردت الغنيمة(4) فلن تجد من يمنعك » .

والواقع ان بابك لم يقصد من وراء رسالته هذه مصلحة الروم بل مصلحته الشخصية لان زحف قوات الروم على الحدود الاسلامية تخفف من وطأة الحرب الطاحنة التي قادها الأفشين ضده . ولذا فان الخليفة بعد ان هزم بابك وحمل اسيرا الى العاصمة استعد للانتقام من الروم ، فسأل من اي البلاد امنع فقيل له عمورية(5) وتقدم على رأس الجيش يرافقه من قادة الاتراك اشناس وايتاخ وسقطت عمورية بعد حصار شديد ، فخربها واحرق تحصيناتها ونهب ما بها(6) .

كما قضى المعتصم على مازيار بن قارن في طبرستان ، فقد رفض دفع الجزية لآل طاهر بخراسان(7) بتحريض من الأفشين حتى يوقع بينه وبين آل طاهر حتى يعجز آل

---

(1) ابن كثير البداية والنهاية 10 -282 ـ ابن خلدون 3 -257 ابن تغري بردى النجوم الزاهرة 2 -230
(2) ابن كثير البداية والنهاية 10 - 28؟ ـ ابن الاثير 5 -246
(3) ابن خلدون 3 -262 العبر .
(4) Muir P. 519 ابن خلدون 3 -262 العبر .
(5) Muir P. 519
(6) الطبري 7 -264 ابن كثير البداية والنهاية 10 -288 تاريخ بن سعيد ص 60
(7) ابن خلدون 3 -265 ابن تغري بردى ـ النجوم الزاهرة 2 -240

طاهر عن حرب مازيار ويقوم هو بدوره ويحل محل آل طاهر الا ان الخلافة كانت تأخذ منه الاموال وتردها الى آل طاهر بخراسان(1) مما يدل على ان الخلافة كانت تحرص على ابقاء الطاهريين ودولتهم في المشرق .كما واجه الخليفة المعتصم ثورة المبرقع بفلسطين(2) .

انتهى الامر بالقبض على الأفشين ، واوضحت محاكمته امام الخليفة والحاشية الطريق واظهرت للخليفة ما كان هؤلاء المجوس يضمرون نحو الاسلام ، وان غالبية الفرس كانت تعتنق الاسلام ظاهريا وكانت تترقب الفرص للرجوع الى دينهم وكانت ثورة بابك دليلا واضحا على هذا الميل(3) واظهر المعتصم ضيقه بالاتراك ، فقال يوما لابي اسحق بن ابراهيم المصعبي « يا اسحق . . . نظرت الى اخي المأمون وقد اصطنع أربعة. انجبوا واصطنعت أنا أربعة. لم يفلح منهم أحد. . . »(4) .

مات المعتصم بعد ان ترك وراءه تركة مثقلة لم يستطع اسلافه تحملها فسقطت هيبتهم ، وعلت هيبة الاتراك ، ويعتبر المعتصم المسؤول عما حل بالخلافة فيما بعد من ضعف .

تولى الواثق بعد موت المعتصم في عام227 هـ ، وكان اديبا شاعرا ، وسمي بالمأمون الصغير لادبه وعلمه(5) ويعتبر عهده فترة انتقال بين عصرين ، الاول عصر تمكن الاتراك من السلطة مع بقاء هيبة الخلافة ، والثاني ويبدأ بالمتوكل وهو عصر تمكن الاتراك مع زوال هيبة الخلافة واتجاهها في سرعة نحو الانحلال .

وقد بلغ النفوذ التركي في ذلك العهد شأوا بعيدا ، فقد توج الواثق اشناس والبسه وشاحين مجوهرين وتاجا مجوهرا ، واستخلفه على السلطنة فكان اول خليفة قد استخلف سلطانا(6) .

---

(1) ابن الاثير5 -253 ـ ابن كثير ـ البداية والنهاية10-289
(2) ابن خلدون 3 / 270 ابن تغرى بردى ـ النجوم الزاهرة2 -249
(3) The caliphate - Muir 522
(4) ابن الاثير5 -266
(5) السيوطي : الخلفاء342
(6) السيوطي ـ الخلفاء342

وبهذا اعترفت الخلافة مضطرة ببذل حقوق تعدو نطاق المهام العسكرية الخالصه(1) واسند الخليفة الى اشناس اعمال الجزيرة وبلاد الشام ومصر ، كما عهد الخليفة الى ايتاخ بولاية خراسان والسند وكور دجله(2) . وهكذا ازداد نفوذ الاتراك في داخل العراق وخارجه ، ولم يكتفوا بذلك بل اوجدوا نظاما جديدا كان وبالا على الخلافة ، فكانوا لا يرحلون الى ولاياتهم لمباشرة اعمالهم بل انابوا عنهم العمال ، بينما ظلوا يقيمون في قصورهم في عاصمة الخلافة وانصرف همهم الى توطيد نفوذهم والاحتفاظ بمراكزهم(3) . فقد اناب اشناس محمد بن ابراهيم الاغلب على اعماله في غرب الدولة ، واناب ايتاخ عنه في خراسان عتبة بن اسحق الضي(4) . واستأثر الاتراك بالاموال حتى ان الواثق قد صادر من اموال كتابه ووزرائه مبلغا ينيف عن مليون ونصف مليون 1,794000 دينار(5) اذ استولى هؤلاء الكتاب والوزراء على الأموال بطريق غير مشروع. فاذا لاحظ الخليفة على العامل مظاهر الثراء صادر امواله ، وتيقن من خيانته(6) .

ثارت فتن عديدة الا ان الخليفة الواثق واجهها بكل شجاعة وصبر ، فقد شغب بعض اهالي الجزيرة العربية ، كما اشتدت ثورة المبرقع بفلسطين وتحرك الخوارج بقيادة محمد بن عبد الله الثعلبي بديار ربيعة ، فخرج اليه غانم بن احمد الطوسي وكان على حرب الموصل فهزمه . وفي نفس السنة اوقع وصيف التركي الهزيمة بالاكراد في اصبهان وفارس والجبل ، واجيز وصيف بمبلغ خمس وسبعين الف دينار وسيف(7) . كذلك ارسل الواثق قواته للقضاء على المبرقع بفلسطين بعد ان قويت شوكته في غرب نهر الاردن وانتهى امره بحمله اسيرا الى سامرا(8) .

---

(1) كارل بروكلمان 2-52 تاريخ الشعوب الاسلامية

(2) تاريخ اليعقوبي 3-204-205 - النجوم الزاهرة 2-255-256

(3) محمد كرد علي خطط الشام 1-200 انظر النجوم الزاهرة ج2 ص255

(4) اليعقوبي 3-205

(5) ابن الاثير 5-269 ابن خلدون 3-270

(6) الخضري ص282 - محاضرات في تاريخ الامم الاسلامية .

(7) ابن الاثير 5-254

(8) The Caliphate Muir p. 523

وعاث الاعراب فسادا في الجزيرة العربية قرب المدينة ونهبوا الاسواق ، وكان والي المدينة اذاك محمد بن صالح فسير هذا جيشا بقيادة حماد بن جرير الطبري فانتصر عليه الاعراب بالرويثه ، وقوي امرهم في القرى المجاورة ، وعلم الواثق بما اثاره الاعراب ، فامر بغا الكبير بالمسير اليهم في جيش ضخم فهزم الاعراب واسر الكثير منهم وحبس اهل الشغب والفتن . . وواصل بغا حربه ضد القبائل الثائرة امثال فزاره ، وانتصر عليهم وعاد الى سامرا محملا بالاسرى من بنى سليم وفزاره وتميم وبني هلال(1) .

وكان من اثر سياسة المعتصم والواثق في الاعتماد على الاتراك ان سخط العرب وقاموا بثورتهم ولكنها أخمدت على يد الاتراك . وادرك عرب العراق بان النفوذ قد خرج من ايديهم ، واصبح زمام الدولة في يد الاتراك . واذا كان المعتصم قد زاد في جلب الاتراك فان الواثق زاد من عددهم ومنحهم الالقاب ، واباح لهم تولي المناصب ، مما زاد في اضعاف العرب ، وخاصة ان الواثق سمح لبغا بقتلهم وتعذيبهم ، وسار الخليفة الواثق على سيرة ابيه المعتصم في مسألة خلق القرآن فقتل احمد بن نصر بن مالك وكان لا يقول بخلق القرآن(2) .

ومات الواثق في عام 232 هـ(3) وبموته كان قد مضى قرن كامل على قيام الدولة العباسية ، وقد ختم هذا القرن بانتهاء عهد الخلفاء القادة الذين كانوا يقودون الجيوش بانفسهم . ومات الواثق ولم يعهد لاحد من بعده بالخلافة .

وضاعت هيبة الخلفاء في النفوس نتيجة تغلغل الاتراك في الدولة ، وما لبث ان تحطمت تماما هذه المكانة والهيبة وعامل الاتراك الخلفاء بمهانة وذلة ، فضربوا اعناقهم وسملوا اعينهم ونهبوا حرمهم وصادروا اموالهم .

لما مات الواثق لم يعهد لاحد بالخلافة فظهر نظام جديد في اختيار الخليفة لم تكن له سابقة في الخلافة العباسية ، اذ اجتمع وجوه البيت العباسي والوزير وكبير القضاة ،

---

(1) طبري 7-332-344 ـ ابن الاثير 5-270-273 ـ ابن خلدون 3-271

(2) الطبري 7-324 ـ ابن خلدون 3-272

(3) ابن الاثير 5-276 ـ ابن خلدون 3-273

وهم اهل الحل والعقد في بيعة الخليفة ، واشترك من قادة الاتراك في الاجتماع ايتاخ ووصيف وسيما التركي ، ورشحوا محمد بن الواثق للخلافة ، إلاّ أن وصيف التركي احتج بصغر سنه وانه لا تجوز معه الصلاة[1] . ورشح بدلا منه جعفرا .فسارع الاتراك الى بيعته ، وكان اول من بايعه سيما التركي «الدمشقي» ووصيف، واسندوا اليه منصب الخلافة .فأمر باعطاء الجند عطاء ثمانية اشهر ولقب بالمتوكل[2] .

وكان لهذا النجاح الذي احرزه الاتراك في تولية المتوكل اثر بعيد ، اذ اصبحت تولية الخليفة لا تتم الا بموافقتهم ورضاهم فجعلوا من انفسهم اهل الحل والعقد بعد ان كان ذلك قاصرا على افراد البيت العباسي .

وعظم شأن الاتراك فقد عقد المتوكل لايتاخ على الجيش والمغاربة والاتراك والموالي والبريد والحجابة ودار الخلافة[3] والقى المتوكل القبض على الوزير محمد بن عبد الملك الزيات لعداء شخصي بينه وبين الوزير وصادر الخليفة امواله واملاكه وامر بنهب دوره ودور اصحابه ، ثم حبسه حتى مات ، وقال الوزير « يا محمد لم تقنعك النعمة والدواب . . . حتى طلبت الوزارة ذق ما عملت بنفسك »[4] .

وبمرور الايام شعر الخليفة بسيطرة الاتراك وتسلطهم على الخلافة وادارتها وجيشها فاراد الحد من نفوذهم ، وبدأ بايتاخ الذي تطاول عليه في مجلس شرابه[5] . كما انه رأى فيه رجلا خطرا على الدولة لاتساع سلطانه ونفوذه ، فدبر مؤامرة انتهت بحياته في بغداد اثناء عودته من الحج[6] .

ومن هنا ندرك ان عصر المتوكل بدأ فيه نوع من الصراع بين الخلافة التي ادركت

---

(1) الطبري7 -341 ـ ابن الاثير5 -278

(2) تاريخ اليعقوبي3 -208 ـ ابن خلدون3 -273

(3) الطبري7 -351 ـ ابن الاثير5 -282 ـ ابن خلدون3 -274

(4) الطبري7 -343 ـ ابن خلدون3 -273

(5) ابن الاثير5 -282

(6) ابن الاثير5 -283

ضعفها امام سيطرة الاتراك ، وبين الاتراك الذين عملوا على توطيد اقدامهم في مراكز القوة والنفوذ .

فاذا انتصرت الخلافة على الاتراك عادت لها سلطاتها ، واذا انتصر الاتراك باتت سلطة الخلافة اسمية .

وحرص الخليفة المتوكل على اخذ البيعة لاولاده الثلاثة بولاية العهد،وذلك لحرمان الاتراك من اهم المناصب والمراكز والولايات وحتى لا يتيح لهم فرصة التدخل مرة اخرى في تعيين الخليفة .

فكان المنتصر ولي العهد الأول ، اذ عقد له المتوكل على بلاد المغرب كلها فقد جرت العادة على ان يعقد لولي العهد الأول على المغرب (الشام ، ومصر وولاياتهما) ويعقد للثاني ، وهو المعتز على المشرق . وفي عام240 هـ اضاف الخليفة للمعتز خزائن الاموال في جميع الافاق ودور الضرب ، وامر ان يضرب اسمه على النقود . اما ولي العهد الثالث فقد ولاه المتوكل جند حمص وجند دمشق وجند فلسطين ، وكتب بذلك الكتب والمواثيق ، وعقد المتوكل لكل منهم لواءين . أحدهما أسود وهو لواء العهد، ولواء ابيض وهو لواء العمل[1] وقد زاد تصرف الخليفة هذا من حقد الاتراك عليه فأخذوا يثيرون الفتن والقلاقل من حوله رغم انهم لم يكونوا على وفاق بينهم .

كان تقسيم ولايات الخلافة بين اولاد المتوكل على هذا النحو ظاهرة خطيرة ، اذ ادت الى تنافس الاخوة وكثرة الدسائس بينهم ، واتخذ كل منهم البطانة والاعوان حتى يتغلب على الآخرين مثلما حدث في الماضي بين الامين والمأمون .

وقد شعر المتوكل بتحفز الاتراك للوثوب به ، فاتجه الى دمشق ، حيث العصبية العربية المتطلعة الى حماية الخلافة ، وامر بنقل دواوين الحكومة[2] الا أنه لم يحقق غايته هناك فاجتمع اهل الشام يطلبون الأعطية . ثم خرجوا الى تجريد السلاح والرمي بالنشاب[3] .

---

(1) الطبري 7-360 ابن خلدون 3-275

(2) الطبري7-381 ـ تاريخ الرسل والملوك

(3) المسعودي : مروج الذهب4-115

وعـاد المتـوكل بعـد هذه الحادثـة الى سامـرا متعلـلا بسـوء الاحـوال الجـوية بدمشق[1] .

أبطل المتوكل المناظرات الدينية وأعاد الى الفقهاء وأهل السنة نفوذهم ، حتى قيل « أن الخلفاء ثلاثة ، أبو بكر في قتل أهل الردة، وعمر بن عبد العزيز في ردّ المظالم ، والمتوكل في احياء السنة »[2] .

الا أن المتوكل اضطهد اهل الذمة وفرض عليهم ازياء خاصة يتميزون بها عن المسلمين ، وامر بهدم الكنائس ، فاثار بذلك غضب الطوائف الاخـرى[3] . كذلك اساء المتوكل معاملة العلويين واضطهدهم ، حتى انه امر بهدم قبر الحسين بن علي وامر بحرثه ومنع الناس من زيارتـه ، ممـا ادى الى قيام الشيعـة بالفتـن والاضطرابـات في بغداد[4] . اما عن الحالة الداخلية في عهد المتوكل فقد قضى على محمد بن البعيث في اذربيجان[5] وبدأت حركة الصفاريين في سجستان كذلك ثار اهل ارمينية وعلى رأسهم بطريق البطارقة يطالب لنفسه بالولاية الا ان الخليفة اخمد هذه الفتنة ايضاً[6] .

تمرد اهـل حمص على واليهـم موسى بن ابـراهيم الرافعـي وطـردوه مع عامـل الخراج ، فولي عليهم الخليفة محمد بن عبد ربه فوثبوا به في العام التالي ، سنة241 هـ فأمر المتوكل بن عبد ربه ان يقضي على الفتنة بشدة وعنف وسير اليه نجدة من دمشق والرملة فدخل المدينة وهزم اهلها وطرد المسيحيين وامـر بتخـريب الكنـائس ، متهما المسيحيين بتحريض الاهالي على الثورة[7] .

اما في مصر فقد قام البجاة بغـارات عنيفـة وهزمـوا واليهـا ، ونشروا الرعـب

---

(1) ابن الاثير5 -298

(2) السيوطي : الخلفاء ص346

(3) Muir 529 ابن الاثير5 -285 ـ ابن خلدون3 -275 : العبر

(4) The caliphat- 528

(5) ابن خلدون3 -274

(6) ابن الاثير5 -281

(7) Muir 53 i الطبري7 -373

والفزع ، وامتنعوا عن اداء الضرائب للخلافة ، فسيرت الدولة قواتها بقيادة محمد بن عبد الله القمي ،فهزم البجاة ، واسر اميرهم علي بابا وحمله الى سامرا ، حيث اكرمه الخليفة وولاه على الطريق ما بين مصر ومكه(1) . وعاث الروم فساداً في بلاد الشام نواحي عين زربه ، وشمال العراق حتى بلغوا أمد. كما قاموا بحملة بحرية على مصر فسلبوا ونهبوا ثم عادوا(2) .

ورغم كل هذه الاحداث في الداخل والخارج ، فقد وصل الصراع ما بين الخلافة والاتراك الى نقطة اللاعوده ، فاما تحتفظ الخلافة بهيبتها واما يفرض الاتراك نفوذهم . وجاءت الفرصة عندما اراد المتوكل احداث تغيير في نظام ولاية العهد ، وتقديم المعتز على المنتصر الذي اهانه مرارا في مجالس شرابه ، واعلن المتوكل خلعه امام الحاضرين(3) ، كما امر بقبض ضياع وصيف وبغا باصبهان والجبل واقطاعها للفتح بن خاقان(4) .

وتحالف قواد الاتراك مع وليّ العهد المغضوب عليه اي المنتصر الذي استعان بالاتراك ليحتفظ لنفسه بولاية العهد ، ومالوا هم اليه ليستعينوا به في تنفيذ اغراضهم ، وعلى هذا النحو وقف المنتصر والاتراك في جانب ، والخليفة في الجانب الاخر ، وكل فريق يتحفز للآخر وكان الطرف الأول اسرع حركة من الجانب الثاني ، فتخلصوا من الخليفة الذي ولّوه بالامس وبمساعدة ابنه المنتصر(5) .

ويعتبر هذا الحادث اول ثمرة لغرس المعتصم ، فانه اعتمد في الخلافة على قوم لا اخلاق لهم ولا مبادىء ، كما كان مصرع الخليفة نهاية لمجد وقوة الخلافة ونقطة البداية لتحكم الاتراك وتسلطهم ، حتى اصبح الخلفاء فيما بعد رمزا بدون سلطة حقيقية ، فقد اقتصر نفوذهم على السكة والخطبة حتى قيل قنع فلان من الامر بالسكه والخطبة

---

(1) Muir 53 ابن خلدون 3-277

(2) ابن خلدون 3-277

(3) المرجع السابق 279

(4) عيون الحدائق وأخبار الحقائق 247

(5) الطبري 7-390

Gibbon. Great Boolcs of the wert eru world II P. 3. 7

يعني قنع بالاسم دون الحقيقة[1] .

والآن نستطيع القول بأن قتل المتوكل هدم معه صرح الخلافة ومجدها بعد ان عمّر قرنا من الزمان شهد هيبتها وسطوتها وقوة حكومتها المركزية .

تولى المنتصر الخلافة ويداه ملوثتان بدم والده القتيل فكان من الطبيعي ان يزداد نفوذ الاتراك الذين شاركوه الجريمة ، وقد اصبح يحتمي بظلال سيوفهم التي قتلت اباه بالامس .

وما هي الا ايام معدودات وما كاد المنتصر يفيق من نشوة توليه الحكم حتى طلب اليه الاتراك ان يعزل اخويه عن ولاية العهد فقد قال: ابن الخصيب لوصيف وبغا: «انا لا نأمن الحدثان، المعتز والمؤيد. فان مات الخليفة وتولى المعتز فانه سيبيد خضراؤنا ولا يبقي لنا بقية والرأي ان نخلعهما ونعقد البيعة لابن المنتصر»[2] .

وكان هدف الاتراك ان يعطوا انفسهم حرية اختيار من يشاءوا للخلافة. واضطر الخليفة لتحقيق طلبهم ، وخلع اخويه ، فاستدعاهما ليعتذر لهما . وفي رأيي ان صيغة الاعتذار هذه توضح الحد الذي وصلت اليه الخلافة من الضعف والانحطاط كما توضح عجز الخليفة عن مخالفة الاتراك محطما بذلك العهود والمواثيق التي قطعها ابوه واشهد عليها الشهود .

قال المنتصر لاخويه : « اترياني خلعتكما طمعا في ان اعيش حتى يكبر ولدي وابايع له. والله ما طمعت في ذلك قط. . . ولكن هؤلاء واومأ الى سائر الموالي الاتراك الحوّا عليّ في خلعكما فخفت ان يعترضكما احد بحديدة فيأتي عليكما فما ترياني صانعاً . . . فكانت اجابتهم الى ما سألوا اسهل علي »[3] .

حقد الخليفة على الاتراك وعمل على التخلص منهم ، وسماهم قتلة الخلفاء[4] ،

---

(1) ابن طباطبا : الفخري في الاداب السلطانية 28 ـ احمد امين ظهر الاسلام 1-11

(2) ابن الاثير 7-38

(3) الطبري 7-408 ـ ابن الاثير 5-309-310

(4) السيوطي : الخلفاء 356 .

وقال ايضا :قتلني الله ان لم اقتلهم[1] . ووجد الخليفة فرصته عندما اغار الروم على بلاد الشام فجهز المنتصر جيشا بقيادة وصيف التركي [2] وامره ان يمكث بالثغور لمدة اربع سنوات بعد فراغه من حرب الروم ، وكان الذي دبر ابعاد وصيف هذا هو الوزير احمد بن الخصيب لعداء بينهما[3] .

فطن الاتراك الى نوايا المنتصر وعدائه لهم ، فتخلصوا منه ، ولم يعرف الناس اذا كان موته طبيعيا ام انه مات مسموماً[4] . ويقرر المسعودي ان الطبيب الطيفوري سمه في مشرط حجمه به[5] .

وبعد موت المنتصر اجتمع الاتراك وفيهم بغا الصغير وبغا الكبير وانامش ، وتعاهدوا على الاتحاد وان يرضى الاتراك بمن يرضاه رؤساؤهم فاستبعدوا ابناء المتوكل لخوفهم منهم ، وقد نصحهم بغا الكبير بأن لا يولوا رجلا ضعيفا حتى لا ينافس بعضهم بعضا[6] ، واتفق رأيهم على تولية احمد بن المعتصم ولقبوه بالمستعين ، واستوزر الخليفة الجديد انامش وعقد له على مصر والمغرب[7] ، كما عقد لبغا الصغير على حلوان وماسبذان كما انه جعل شاهك الخادم على داره وكراعه وحرمه وحرسه وخاص اموره وقدمه وجعل انامش على سائر الناس[8] . وبهذا أصبح الاتراك بيدهم امور الدولة في الخارج والداخل[9] .

الا ان الاهالي ثاروا ورفضوا البيعة للمستعين ونادى فريق منهم بخلافة المعتز وقالوا :« يا معتز يا منصور » ودارت الحرب في الشوارع ، حتى كانت الغلبة

---

(1) المسعودي : مروج الذهب4 -134.
(2) عيون الحدائق3 -558 - ابن خلدون3-282
(3) البداية والنهاية10 -353 لابن كثير
(4) The caliphat. Muir P. 53 i
(5) ابن خلدون3 : ابن المسعودي . مروج الذهب 4 -134
(6) الطبري7 -407
(7) عيون الحدائق3 -562 - ابن خلدون3 -283
(8) الطبري7 -421
(9) The caliphat 535

للاتراك[1] . وفي تلك الفترة التقت الجيوش الاسلامية مع جموع الروم غرب ملطيه وبعد قتال شديد قتل عمر بن عبد الله الأقطع ثم عليّ الأرمني ، وكانا من اشد القواد بأسا في حرب الروم في منطقة الثغور .

فلما ان وصل الخبر الى بغداد حتى ثار الاهالي ضد الاتراك ، الذين لا هم لهم الا العبث وقتل الخلفاء وتطاولهم عليهم ، فأخرجوا من في السجون ، واحرقت المنازل ونهبت الضياع واخرج اغنياء بغداد وسامرا ما عندهم من الاموال لانفاقها في حرب الروم[2] .

الا ان الخليفة تقاعس عن قتال الروم ، وانصرف الى اللهو والطرب ، حتى ثار اهل سامرا وفعلوا كما فعل اهل بغداد[3] .

فركب وصيف وبغا وعامة الاتراك واشتبكوا مع العامة وجرت فتنة طويلة ثم سكنت[4] .

وهكذا بدأ عهد المستعين بحروب اهلية وفتن داخلية وخارجية ، وانقسم الاتراك على انفسهم ، وصح ما توقعه بغا الكبير عندما حذر من تعيين خليفة ضعيف ، اذ وقع التحاسد بينهم عندما عهد المستعين لانامش بالوزارة واطلق يده ويد شاهك في بيوت الاموال وفي امر الخلافة ، فحسده وصيف وبغا على هذا المركز واتهموه بجمع الاموال لحسابه الخاص دونهم فدبروا امر قتله[5] .

وانتهز الخليفة الفرصة ونفى احمد بن الخصيب الى اقريطش[6] وقد شجعت هذه الفتن والاضطرابات على خروج يحي بن عمر بن يحي العلوي بالكوفة ، وكان قد قدم من خراسان وسأل الخليفة ان يسدد بعض ديونه ، فرفض الخليفة طلبه ، وخرج يحي

---

(1) ابن كثير : البداية والنهاية 11-2 ـ ابن خلدون : 3-283
(2) عيون الحدائق 3-564 ـ الطبري 7-422
(3) ابن خلدون 3-284 ـ العبر وديوان المبدأ والخبر
(4) ابن كثير : البداية والنهاية 11-3 ـ ابن خلدون 3-284
(5) البداية والنهاية 11-3 ـ ابن خلدون 3-284
(6) ابن خلدون 3-283

الى الكوفة وعظم امره بها ، ولكنه هزم امام قوات الخليفة بقيادة محمد بن عبد الله بن طاهر في معركة شاهي[1] .

كذلك خرج الحسين بن زيد ، وهو من العلويين ايضا ، بطبرستان ، وسبب خروجه انه لما قتل يحي بن عمر اقطع المستعين محمد بن عبد الله بن طاهرضاحيةمن تلك الناحية ، فبعث كاتبه جابر ، وكان نصرانيا ، لتسلم تلك الأراضي ، فلما انتهى اليهم ، كرهوا ذلك وبايعوا الحسن بن زيد ، فركب فيهم ، ودخل آمل بطبرستان وجبى خراجها ، وهزم امير تلك الناحية ، وهو سليمان بن عبد الله ، ونفاه الى جرجان ، ودخل الحسن ساريه والري وطرد منها الطاهرية وهكذا اصبحت في يده طبرستان الى حد همذان[2] . وتكونت بذلك الدولة الزيدية واستمرت قرنا كاملا من 250-355 هـ .

كذلك ثار اهل حمص على عاملهم ، فوجه الخليفة اليهم موسى بن بغا الكبير[3] وهزمهم كما قامت حركات ثورية اخرى في الموصل وفلسطين واصبهان[4] .

الا ان الأمور داخل العاصمة لم تسر في طريق الهدوء ، فقد رأينا كيف قتل انامش على يد وصيف وبغا ، فانقسم الاتراك بعد ذلك الى حزبين ، حزب وصيف وبغا ، والحزب الآخر بقيادة باغر التركي ، وكل فريق يعمل للتخلص من الآخر ، واراد حزب باغر التخلص من الخليفة نفسه ، فقال الخليفة لوصيف وبغا ، « ما طلبت اليكما ان تجعلاني خليفة وانما جعلتماني واصحابكما ثم تريدان ان تقتلاني »[5] .

ونجح حزب وصيف وبغا في تدبير مؤامرة انتهت بحياة باغر ، فثار اصحابه ، وخاف الخليفة على نفسه فرحل الى بغداد واصطحب معه وصيف وبغا وشاهك الخادم[6] .

---

(1) الفخري 29 ـ عيون الحدائق 3-567

(2) ابن كثير : البداية والنهاية 11-5 ابن الاثير 5-316-317

(3) ابن الاثير 5-319

(4) The Liphute. Muir, 537

(5) عيون الحدائق 3-576

(6) ابن الاثير 5-319

وكانت عودة الخلافة الى بغداد تؤدي الى تجدد الصراع بين العرب والفرس من جهة والاتراك من جهة اخرى ، وقد قدم وفد من وجوه الاتراك الى بغداد يطلبون العفو من الخليفة فيعود معهم الى سامرا ، الا انه رفض العودة معهم ومكث في بغداد ، وعادوا هم الى سامرا ، فأخرجوا المعتز وبايعوه بالخلافة(1) وبات العالم الاسلامي يشهد خليفة في بغداد وآخر في سامرا .

وبدأت الحرب الاهلية بين الخليفتين ، اذ عقد المعتز لابي احمد الموفق على حرب المستعين في بغداد ، وضم اليه الجيش وجعل اليه الامر والنهي ، وكان جيشه يتكون من الاتراك والفراعنة والمغاربة وشدد الموفق الحصار على بغداد وكان المستعين قد حصنها وحفر من حولها الخنادق ، فامر محمد بن طاهر بقطع المؤن عن سامرا وكتب الى مختلف قواده بالتوجه لبغداد للدفاع عنها(2) . وارتفعت الاسعار ، وتفاقم الامر ، واشتد باهلها الحال ، حتى كانت نهاية المطاف بعد حروب عنيفة فقد اخذ محمد بن عبد الله بن طاهر ووصيف وبغا يخذلون المستعين(3) .

اما في خارج بغداد فقد كان الاتراك ينبهون القرى ما بين عكبرا وبغداد وهرب الناس عنها وخلّوا عن الغلات والضياع فخربت ، وهدمت المنازل ، وسلب الناس في الطرق(4) وقد اخذ كل من المستعين والمعتز في استمالة موسى بن بغا ، وفي النهاية انضم موسى الى المعتز(5) كما ان الموفق استمال اليه وصيف وبغا بعد ان وعدهم بالعودة الى مراكزهم . فاضطر المستعين ان يخلع نفسه ويبايع للمعتز ، وانتهى الصراع بعد ان تكبدت الخلافة الخسائر الفادحة في الاموال والارواح . وعادت الخلافة الى مركزها الأول في سامرا وكر الدسائس والمؤامرات التي يحيكها الاتراك ، فاصبح الخليفة العوبة في يدهم ، وتحت تصرفهم ، اذا شاءوا خلعوه واذا أرادوا ابقوه(6) .

---

(1) الطبري 7-428
(2) طبري 7-438 ـ ابن خلدون 3-287
(3) ابن كثير : البداية والنهاية 11-9
(4) عيون الحدائق 3-582
(5) ابن خلدون 3-289
(6) الفخري 220

عاد الاتراك بعد ان حققوا النصر الى سيرتهم الاولى في البحث عن الأموال فحازوها عن طريق النهب والسلب حينا ، وعن طريق المصادرة وخلع خليفة وتولية آخر حينا اخرى حتى انهم حاولوا خلع الخليفة الذي بذلوا من اجله الدماء وتولية اخيه فعلم المعتز بالمؤامرة وحبس المؤيد حتى مات ونفى الموفق الى الحجاز(1) . وامر باسقاط اسم وصيف وبغا من الدواوين ومصادرة املاكهم ثم امر بقتلهم ، الا انه تحت ضغط شديد من الاتراك عفا عنهم فعادوا الى سامرا حيث تسلموا وظائفهم(2) ورد البريد لموسى بن بغا .

وتحدث صاحب الفخري عن مدى تسلط الاتراك على الخلفاء . فروى انه لما جلس المعتز على سرير الخلافة احضر المنجمين وقيل لهم : . . . انظروا كم يعيش وكم يبقى في الحكم ؟ فقال احد الظرفاء ، انا اعرف من هؤلاء بمقدار عمره وخلافته فقالوا له : فكم تقوْل ؟ قال : مهما اراد الاتراك ولم يبق احد بالمجلس الا ضحك(3) .

ثار الجند يطالبون بأرزاقهم ، فخرج اليهم وصيف وبغا فشتمهم وصيف فكانت نهايته على يد أحدهم ،فولى المعتز بغا الصغير على ما كان لوصيف من املاك وولاية والبسه وشاحين(4) . وهكذا ما خلت وظيفة من تركي حتى يتولاها تركي آخر ، وكأن الوظائف السياسية اصبحت مناطق نفوذ تركية مقصورة عليهم . وحاول بغا فيما بعد ان يغري الخليفة بالعودة الى بغداد .الا انه فشل ولقي حتفه لان الخليفة كان يكرهه ويخشاه(5) .

وكان الخليفة في حياة بغا لا يهنأ بالنوم ولا يخلع سلاحه ليلا ونهارا . وكان يقول : اني لاخاف ان ينزل عليّ بغا من السماء او يخرج عليّ من الأرض(6) . ونتيجة لتخبط الاتراك ثار المغاربة وعلى رأسهم محمد بن راشد ونصر بن سعيد ، وهزموا

---

(1) المسعودي : مروج الذهب 4-176 ـ ابن الاثير 5-377

(2) ابن كثير : البداية والنهاية 11-9 ـ ابن خلدون 3-291

(3) ابن طباطبا ، الفخري ص 333 في الاداب السلطانية

(4) ابن الاثير ج 5-335

(4) ابن الاثير 5-338

(5) المسعودي : مروج الذهب 4-428

الاتراك ، وقالوا لهم : كل يوم تقتلون خليفة وتخلعون آخر !! فاستولى المغاربة على بيت المال، ثم تصالح الطرفان واصبحوا على قدم المساواة مع الاتراك ، وكان هذا نذير امل بوضع حد لفوضى الاتراك ، الذين ما لبثوا ان اتحدوا بقيادة بايكباك ، وتخلصوا من زعماء المغاربة ، وصادروا اموال الناس واثاروا سلسلة من الفوضى واعمال العنف(1) .

كثرت الفتن والقلاقل ، فقد تحرك الخوارج بناحية الموصل بزعامة مساور الخارجي ، كما قويت حركة الصفاريين التي بدأت منذ ايام المتوكل فاستولت على سجستان وهراة ، وكان هذا اول صدام لها بالخلافة ، واستولى الصفاريون على كرمان بعد هزيمة علي بن الحسن الذي كان يطمع في كرمان ، وكذلك دخل طبرستان بعد هزيمته مرة اخرى ، ودخل شيراز وامن اهلها ، وارسل الهدايا الثمينة الى الخليفة وقدم له فروض الطاعة والولاء ، ثم عاد الصفار الى سجستان ، وارسل الخليفة عماله ثانية الى فارس(2) .

وكما بدأ أمر الصفار في المشرق فقد بدأ امر احمد بن طولون في مصر، فقد عينه بايكباك نائبا عنه في مصر وكان ابن المدبر اذاك على الخراج ، ولما تخلص المهتدي من بايكباك آلت ولاية مصر الى ياركوج التركي الذي فوض الامر كله بمصر لابن طولون(3) . والنتيجة الطبيعية لهذه الفتن التي سادت مشرق الدولة ومغربها ، ان قلت موارد الدولة ، وباتت خزينتها خاوية ، فلما طالب الجند بمرتباتهم ، عجز المعتز عن صرفها لهم فاتحدت كلمة الاتراك والمغاربة والفراعنة على خلعه ، وعلى رأسهم صالح ابن وصيف وبايكباك، فدخلوا عليه وهو مريض وجروه وعليه قميص ممزق ملطخ بالدم ، فأقاموه في وسط دار الخلافة ، فكان بعضهم يلطمه على وجهه وهو يبكي ، وانتهى الامر بقتله بعد تعذيبه(4) .

تولى المهتدي « محمد بن الواثق » بناء على رغبة الاتراك ، فثارت العامة في بغداد

---

(1) - ابن خلدون 3 -291- 292

(2) ابن خلدون 3 -294 - ابن الاثير 5 -341

(3) ابن خلدون 295

(4) الخلفاء 359 - ابن طباطبا - الفخري في الاداب السلطانية 333 ، ابن كثير : البداية والنهاية 11-16

ترفض البيعة للمهتدي وتنادي بأبي احمد(1) ، مما اضطر المهتدي الى اغداق المال الى اهل بغداد فسكنت الفتنة .

وكان المهتدي تقيا ورعا ، وتشبه بعمر بن عبد العزيز حيث كان يجلس بنفسه لرد المظالم(2) . الا ان الفتن كثرت في عهده واتسعت ، فقد أشعل العلويون نيران الثورة في البلاد الاسلامية ، فظهر الحسن بن علي في طبرستان ، وزيد بن علي بالكوفة ، الا ان الخلافة قضت على الثورة وعادت الكوفة الى طاعة الخلافة .

كما ظهر الخوارج بقيادة مساور الخارجي في منطقة الموصل فتقدمت قوات الخلافة وعلى رأسها موسى بن بغا ومفلح وبايكباك وحاربوا مساورا الا انهم لم يظفروا به(3) .

وبالاضافة الى كل هذه الاضطرابات فقد اصيبت البلاد بهزة عنيفة على يد رجل ظهر في منطقة البصرة يسمى علي بن محمد بن احمد بن عيسى وزعم انه من احفاد علي ابن أبي طالب، رحل الى البحرين وكثر انصاره ، وسار الى البصرة في عام255 هـ واخذ يدعو العبيد الذين يعملون في كسح السباخ ويواجهون حياة قاسية فوعدهم برفع اقدارهم وتمليكهم الأموال ، فأقبلوا عليه للخلاص من الرق والجور ، وكتب لهم « ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم » وقد اقنع اتباعه بانه لم يخرج الا غضبا لوجه الله وسنرى ان امر هذا الرجل سيشتد فيما بعد حتى دوخ الخلافة لمدة اربعة عشر عاما كاملة(4) .

وشعر المهتدي كاسلافه بثقل وطأة الاتراك خصوصا عندما عاد موسى بن بغا الى العاصمة ، تاركا حماية الحدود ، رغم الأوامر له بالعودة ، فلما وصل أجبر المهتدي بعد ان قبض عليه على الا يحابي صالح بن وصيف(5) .

ولما علم الجند بامر الخليفة مع موسى بن بغا وغيره ، ثاروا ضد القادة وناصروا

---

(1) Muir 534 ابن الاثير5-343

(2) Muir 534

(3) البداية والنهاية لابن كثير11-22

(4) أبو الفدا ـ المختصر في اخبار البشر2-26 ـ ابن خلدون3-301 ـ 302

(5) ابن خلدون3-299

الخليفة ، وطالبوا ، بان ترد اليه الأمور الخاصة والعامة الى الخليفة،وان ترد رسومهم الى ما كانت عليه ايام المستعين[1] . وان يدفع لهم العطاء كل شهرين وان تبطل الاقطاعات وان يكون الجيش تحت امرة احد اخوة الخليفة،وان يحاسب صالح بن وصيف وموسى بن بغا على اموالهم وكتبوا خطاب تهديد لقادتهم ان هم اعترضوا الخليفة في شيء[2] .

وكان لهذا الموقف أثره .اذ يعدُّ انقلابا خطيرا ضد القادة العابثين ، ولو وجد الخليفة السياسي المحنك لاستطاع ان يستفيد من هذا الموقف ، ويقضي على نفوذ الاتراك ويدعم مركزه ، لكن هذه الفرصة ذهبت ادراج الرياح .

فقد استعاد الاتراك وحدتهم ، وحاول الخليفة استعمال الحيلة للقضاء عليهم ، فبعث الى بايكباك بان يتولى الجيش ويقتل موسى بن بغا ، الا ان بايكباك اظهر ما تحتويه الرسالة لموسى[3] فاتفقوا على الخلاص من الخليفة ، وتقدم بايكباك لتنفيذ الخطة مع جماعة من القواد ، الا ان الخليفة قتله قبل تحقيق هدفه[4] .

والتف الاتراك حول موسى بن بغا الذي قاد المعركة ضد الخليفة ومات الخليفة بعد نهاية المعركة بقليل وكان الاتراك الذين مع المهتدي قد انضموا الى اتراك موسى بن بغا مما اضعف المهتدي وسبب هزيمته[5] .

وهكذا وقف المهتدي امام الاتراك موقفا مشرفا كله بطولة وشرف ، وكان قد هددهم من قبل عندما علم بتآمرهم لخلعه كما كانت العاصمة قد انتقلت الى بغداد مرة اخرى حيث بدأت تسترد هيبتها .

---

(1) على كل عشرة عريف وعلى كل خمسين خليفة وعلى كل مائة قائد .
(2) الطبري7-573-577 ـ ابن خلدون3-299
(3) ابو الفداء ، المختصر2-47
(4) ابن الاثير5-357
(5) ابن الاثير5-356 ـ ابو الفداء : المختصر في أخبار البشر2-47

ضعف الاتراك وقوة الخلافة وعلاقتها بالدولة الصفارية والطولونية ـ ثورة الزنج وبداية أمر القرامطة

في هذه الفترة تولى المعتمد الخلافة ، الا انه كان واخوه ابو احمد الموفق كالشريكين في الخلافة ، فللمعتمد الخطبة والسكة والتسمي بامرة المؤمنين ، ولابي احمد الامر والنهي وقيادة العساكر ومرابطة الثغور وترتيب الوزراء(1) . ولم يبق للخليفة سوى مكانته الروحية .

وكان من اهم مشاكل الخلافة في هذه الفترة ، ثورة الزنج التي بدأ امرها كما رأينا ، واتخذت طابعا عسكريا هجوميا في عام257 هـ(2) فهزت اركان الدولة الاسلامية هزا عنيفا ، مما اضطر المعتمد لاستدعاء اخيه من المنفى في مكة وعقد له على الكوفة وطريق مكة والحرمين وبغداد واليمن والسواد وكور دجله والبصرة والاهواز وفارس ، وفي عام258 عقد له على ديار مضر وقنسرين والعواصم ، وعلى حرب الزنج كذلك ، وهكذا اصبح السلطان الفعلي في الدولة في يد عربية لأول مرة منذ زمن بعيد(3) .

واستعد الموفق لمواجهة خطر الزنج الذين عاثوا في البلاد فسادا وتخريبا ، حتى اصبحت عاصمة الخلافة نفسها في خطر ، فقد ظهروا كما رأينا في فرات البصرة وانتشروا في تلك المناطق يثيرون الخوف والفزع .

وقد اتجه صاحب الزنج الى البحرين ومنها الى الاحساء ثم البادية ، ثم سار الى البصرة ، واتجه منها الى بغداد ، وكان في تجواله هذا يدعو الناس له ويدرس الحالة التي يعيشونها ، ثم عاد الى البصرة وهو يدعو غلمانها ، فاجتمعوا حوله فاستولى على

---

(1) ابن طباطبا . الفخري341 في الاداب السلطانية

(2) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة3-27

(3) ابن خلدون3 -307 ـ ابن الاثير5 -361

الجعفرية والمهلبية[1] واتجهوا منها الى البصرة ودخلوها ، ونـادوا في اهلهـا « مـن اراد الأمان فليحضر » فاجتمع عنده خلق كثير فأمر صاحب الزنج بقتلهم[2] .

ثم احرق الزنج البصرة وجامعها واستباحوا اهلها سلبا ونهبا وقتلا .

وسقطت في يد الزنج كثير من المدن ، كان من بينها الابلـه التـي احرقوهـا ، والأهواز، وفي نفس السنة عهد المعتمد لابنه على ولاية العهد الأولى ، وكذلك عهد للموفق بولاية العهد الثانية وعقد له على المشرق وعقد لكل منهم لواءين[3] ، كما ان اهل عبادان خافوا من الزنج الذين دخلوها واستباحوها وكذلك النعمانة الواقعة ما بين واسط وبغداد واحرقوا سوقها[4] وسقطت كذلك رامهرز وواسط وكانوا في كل مدينة دخلوها ينهبون ويأخذون ما يروق لهم حتى ان المؤرخين عجـزوا عن احصـاء عدد القتلى الذين كانوا ضحية للزنج[5] .

وبالاضافة الى ثورة الزنج ، فقد تمرد احمد بن عيسى الشيخ الذي كان ابوه واليا على فلسطين والاردن ، فتغلب احمد بعد موت ابيه على دمشق ومعظم الشام حتى طمع في مصر ، وامتنع عن حمل الأموال الى خزانة الدولة فبعث اليه الخليفـة جيشـا بقيادة اماجور التركي ، فهزمه ، واستولى اماجور على دمشق ، ففر احمد بدوره الى ارمينيا ، وخضعت الشام كلها لاماجور[6] .

وامام هذه الاضطرابات والفتن وقف قادة الاتراك عاجزين فقد هزمهم الزنج في اكثر من معركة ، كما لم يستطيعوا القضاء على حركة الصفارين واعادتهم الى طاعة الخلافة ، مما اثبت عجزهم ، وكان ابرز هؤلاء الاتراك موسى بن بغا الذي رأى نفسه عاجزا عن ضبط الأمور ، وخصوصا في ولاياته الشرقية ، فطلب اعفاءه من منصبه

---

(1) ابن الاثير5-346

(2) ابن كثير : البداية والنهاية11-22

(3) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة3-33

(4) المرجع السابق3-40

(5) المسعودي : مروج الذهب4-208

(6) ابو الفداء : المختصر2-48 ـ ابن الاثير5-359

المشرق ، فاجابه الخليفة وولى بدله ابا احمد الموفق(1) .

وهكذا وجدت الخلافة نفسها أمام امر خطير ، وعليها ان تجابه الموقف والا ضاع كل شيء ، وبرزت شخصية ابو احمد الموفق الذي اثبت جدارة وكفاءة فائقة في الميدان .

وفي مشرق الدولة ، قوي امر يعقوب الصفار ، وضم فارس وكرمان وسجستان ، واستولى على نيسابور ، وكانت آخر معقل للطاهريين في الشرق ، فاستنكرت الخلافة ما قام به يعقوب الصفار ، وبعثت اليه « ان الخليفة لا يقار يعقوب على ما فعل » الا انه ادعى بان اهل خراسان هم الذين استدعوه(2) . بل ان يعقوب ضرب بمطالب الخلافة عرض الحائط وتقدم نحو طبرستان واستولى عليها وطرد الحسن ابن زيد(3) . وادركت الخلافة مدى قوة الصفار واطماعه ، في الوقت الذي كانت فيه مشغولة بحرب الزنج ، فاعترفت به واليا على خراسان وطبرستان وجرجان والرى وهمذان ، وقلدت اليه شرطة بغداد(3) اي ان يعقوب اصبح رجل الساعة في المشرق كله محل آل طاهر .

الا ان نشوة النصر أعمت يعقوب حتى تطلع للاستيلاء على عاصمة الخلافة نفسها ، وتقدم نحوها وطلب منه الخليفة الرجوع ، الا انه رفض اوامر الخليفة .

فاضطر الخليفة الى الخروج بنفسه على رأس الجيش ، اذ كان لخروجه هذا اثر كبير من الناحية الدينية في نفسية عساكر الصفار الذين خرجوا بالامس للدفاع عنه وعن الخلافة ضد المارقين والخارجين ، فانضم كثير منهم الى جيش الخليفة حتى ضعف امر الصفار ، وهزم هزيمة ساحقة(5) .

وقدمت رسل صاحب الزنج على الصفار بعد الهزيمة تطلب محالفته حتى يقفوا صفا واحدا ضد الخلافة ، الا ان الصفار رد عليه ردا قبيحا اذ قال له « قل يا ايها

---

(1) ابن كثير : البداية والنهاية 11-32

(2) ابن الاثير 5-368-369 ابن خلدون 3-309

(3) طبري 8-16 ـ ابن الاثير 5-371

(4) طبري 8-21

(5) المسعودي : مروج الذهب 4-140 ـ طبري 8-22-23

الكافرون لا اعبد ما تعبدون » ورفض التعاون معه(1) ، الا انه رغم هزيمة الصفار فلا زالت الخلافة تهابه فقد بعثت اليه تستميله لتتقي خطره ، لانشغالها بالزنج ، فبعث الخليفة اليه الخلع والهدايا ، وعقدا بولاية فارس واصبهان وسجستان وكرمان والسند ، وكان رده على رسل الخلافة ردا قبيحا اذ قال لهم « قل للخليفة اني مريض فان مت استرحت منك واسترحت مني وان عوفيس بيني وبينك الا هذا السيف حتى آخذ بثاري »(2) . الا ان الصفار توفي في عام 265 وتولى اخوه عمر و مكانه ، وكان على علاقة طيبة مع العاصمة فوجهت اليه الخلع(3) .

وظل واليا عليها حتى خلعه المعتمد عنها وولى محمد بن طاهر(4) . وفي عام 279 اعاد المعتمد خراسان الى عمرو بن الليث ، فظلت تخضع له حتى قضي عليه السامانيون الذين اعترفوا بسلطان الخلافة .

اما عن نشاط الخلافة في المغرب فمن المعروف تاريخيا ان مصر والشام كانتا تكونان اقليما واحدا ذا وحدة ادارية وسياسية واحدة ، حيث يعقد عليهما عادة لولي العهد الأول ، ومن المعروف أن مصر آلت ولايتها الى بايكباك الذي أناب عنه ابن طولون فأخذ هذا يمكن لنفسه ، واكتملت سلطته بمصر بعد موت بايكباك . وتولى ياركوج صهر ابن طولون ، الذي فوض اليه أمر مصر كلها ، وبدأ أحمد بن طولون اقامة المشاريع العمرانية والزراعية حتى تجمعت لديه ثروة طائلة مكنته من تكوين جيش ضخم .

ولما كانت ثورة الزنج قد انتشرت في اماكن كثيرة فقد استنزفت قوة الخلافة فبعثت تطلب من ابن طولون الأموال لتواجه بها حرب الزنج ، وبعث المعتمد من جهته كتابا آخر في السر يحذر فيه ابن طولون من سطوة اخيه الموفق لان المعتمد كان يشعر بالضعف الى جانب اخيه(4) .

---

(1) Muir. P. 550

(2) Muir. P. 551

(3) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة 3 -40 ـ طبري 8-44

(4) ابن كثير : البداية والنهاية 11 -45

(5) ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب 1 -87

ورغم ان احمد بن طولون ارسل الى الخلافة الأموال المطلوبة ، الا ان الموفق رأى ان المبلغ قليل وفطن الى ان امير مصر اصبح شخصية مستقلة فامر بعزله عن مصر والثغور الشامية ، وعهد لموسى بن بغا بطرد ابن طولون ، وعهد موسى هذا الى اماجور والي الشام بامارة مصر الا ان ابن بغا اخفق في خطته ، وعاد من حيث اتى ، وقوي مركز ابن طولون(1) .

ومن الحق ان نقول ان الموفق كانت تنقصه الخبرة العسكرية لانه كان في ظرف دقيق يحتم عليه ان يستميل امراء الاطراف حتى يساعدوه على اخماد ثورة الزنج ، فكان عليه ان يستميل ابن طولون بدلاً من ان يقف منه موقفا عدائيا وخاصة بعد ازدياد قوته وعلو مكانته فاجبر الموفق اخاه المعتمد على عزل ابن طولون عن الثغور الشامية فاجابه المعتمد الى ذلك على كره منه(2) .

فاضطرب امر الثغور واغار عليها الروم مرارا ، وكان ابن طولون قد طلب السماح له بالدفاع عن الثغور ، الا ان الموفق حرمه من اداء هذا الواجب(3) .

وظلت الحالة مضطربة في الثغور حتى اعاد المعتمد ولايتها لاحمد بن طولون امير مصر فهدأت الحالة هناك ، وغزا الروم حتى ان امبراطور الروم بعث لابن طولون هدية ثمينة(4) .

وفي تلك الاثناء مات اماجور والي الشام ، فاستغل ابن طولون الفرصة للاستيلاء على الشام ، وتقدم بجيوشه نحو الشام في الوقت الذي كانت فيه جيوش الخلافة مشغولة في حربها ضد الزنج ، فقد اقر ابن طولون ابن اماجور على الرملة وفتح دمشق واقر قواد اماجور على اقطاعهم ، وتقدم نحو حمص وحماه وحلب ، وفتح انطاكية بعد ان رفض اميرها التسليم ، وكان ابن طولون ينوي المضي في الفتح ، الا ان ابنه

---

(1) نفس المرجع 1-88 ـ الولاة والقضاة للكندي 217-218

(2) نفس المرجع 1-91

(3) Muir. P. 552

(4) ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ح 1 -92

العباس خرج عليه بمصر فاضطر للعودة تاركا وراءه قائده لؤلؤ ليتابع الفتوح والانتصارات(1) .

الا أن امر الشام عاد للاضطراب فعاد ابن طولون مرة اخرى لتدعيم الأوضاع هناك ، وبينما هو في طريقه تسلم رسالة من المعتمد يعلمه فيها بقدومه الى مصر ، وكان ابن طولون قد اغراه بالتوجه اليه(2) . وقد وصل الخبر للموفق ، فبعث لابن كنداج والي الموصل والجزيرة بالقبض على الخليفة ومن معه ، فنجح ابن كنداج في القبض على الخليفة قبل ان يتصل بابن طولون واعاده الى العاصمة(3) ، وعقد لابن كنداج على ولاية مصر(4) .

وهنا تعقد الموقف ما بين ابن طولون والخلافة ، فقد عقد ابن طولون مجمعا دينيا ، اعلن فيه خلع الموفق وقطع الخطبة له كولي للعهد ، وامر بلعنه(5) اي أن ابن طولون نصب نفسه وصيا على الخلافة عندما اتهم الموفق بالحجر على اخيه ، فرد الموفق يلعن ابن طولون على المنابر ، مما قلل من هيبته في العالم الاسلامي اذ اعتبره الموفق خارجا على طاعة الخلافة .

خلف خمارويه اباه ابن طولون فواصل لعن الموفق الذي حرض امير الموصل اسحق بن كنداج ، ومحمد بن ابي الساج والي الجبل ، على التقدم الى الشام ، وساعدهم بجيش قاده ابنه العباس ، وقد خرج خمارويه بنفسه في عام273 (6) وفتح دمشق وعقد صلحا مع الموفق واخيه المعتمد على ان تكون مصر والشام له ولاولاده لمدة ثلاثين عاما(7) ، وامر خمارويه بالدعاء للموفق بمصر .

---

(1) الكندي : الولاة219 ـ المغرب1-115 -116 ـ ابو الفداء المختصر في اخبار البشر2-51 .
(2) ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب1-126 -127 . ابن كثير البداية والنهاية 11 -63
(3) السيوطي : الخلفاء ص366
(4) ابن كثير : البداية والنهاية 11 -43
(5) الكندي : الولاة والقضاة226
(6) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة : 3-51
(7) الكندي : الولاة والقضاة237 -238 . النجوم الزاهرة3 -51

وكما حاربت الخلافة في المشرق والمغرب ووطدت سلطتها ، واصلت حربها ضد الزنج ، وكان عليها ان تنشىء عددا من السفن الحربية لمهاجمة مدينة الزنج الحصينة ، وقد انشأ الموفق مدينة سماها الموفقية واتخذها قاعدة لمهاجمة المختاره مدينة الزنج ، وكان من ابرز قادة الموفق ابنه العباس ، وبعد حروب عنيفة بين الفريقين طلب الكثير من قادة وجنود الزنج الأمان من الموفق ، الذي حاصر المختاره طويلا ولم تسقط الا بعد ان انضم لؤلؤ مولى ابن طولون الى الموفق وخان سيدة ، فسقطت المختاره امام ضربات لؤلؤ الجبارة(1) .

وبهذا قضى على تلك الجماعة التي طالما عاثت فسادا في اغنى جزء من اراضي الخلافة .

وعلى اثر هذه الاضطرابات في مصر والمشرق والعراق ، قام الخوارج بعدة اضطرابات في منطقة الموصل ، وكذلك تشجع الروم على الاغارة على الحدود العربية بصفة دائمة ، حيث كان الدفاع عنها ضعيفا لانشغال الخلافة بمشاكلها الداخلية(2) .

وفي هذا الجوّ المشحون بالفوضى والاضطرابات ، مات الخليفة المعتمد وتولى بعده العباس « المعتضد » ابن الموفق وكان أبوه الموفق قد مات قبل ذلك بقليل .

تولى المعتضد الخلافة وسار على منوال ابيه ، حيث كان شهما عاقلا(3) فعمل على رفع شان الخلافة ونشر العدل واسقط المكوس ، الا انه كان قليل الرحمة حتى سمي بالسفاح الثاني(4) .

وقد وطد المعتضد علاقته بخمارويه بن احمد بن طولون فقد بعث اليه عند توليه الخلافة هدية ثمينة « كما ورد كتاب من المعتضد على خمارويه بولايته هو وولده ثلاثين سنة على الاقليم الممتد من الفرات الى برقة ، وجعل اليه الصلاة والخراج والقضاء

---

(1) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة 1-45

(2) المرجع السابق 3-31

(3) ابن طباطبا : الفخري 348

(4) السيوطي : الخلفاء 369

وجميع الأعمال، مقابل جزية سنوية، وقدم الرسول الى مصر يحمل اثنتي عشرة خلعة وسيفا وتاجا ووشاحا، كما تزوج المعتضد من قطر الندى بنت خمارويه »(1) ..

فتوثقت العلاقة بين مصر والخلافة، ومات خمارويه وخلفه ابو العساكر البيش الذي لم يلبث ان خلعه اخوه هارون من ولاية مصر والشام. وكان القرامطة قد ظهروا حينئذ بالشام فعجز هارون عن مواجهتهم، فارسل للمعتضد رسالة يتنازل له عن اعمال قنسرين والعواصم وان يحمل للخليفة في كل سنة اربعمائة وخمسين الف دينار، وسأله تجديد الولاية له على مصر والشام فاجابه الخليفة الى طلبه(2).

اما في المشرق فقد علا نجم الصفارين حتى طمعوا في املاك السامانيين فارسل اسماعيل بن احمد الساماني الى الصفار يقول له « انك وليت دنيا عريضة . . . وانا في ثغر فاقنع بما في يدك(3) ».

الا ان الصفار لم يقنع بما في يده، وتقدم بقواته، وبعد حروب قاسية توقعها الصفار قبل ذلك لكثرة عدد السامانيين وقوتهم، هزم الصفار وارسل عمرو اسيرا الى دار الخلافة في بغداد. وكانت الخلافة كذلك قد بعثت بقواتها لتواجه ابن ابي دلف(4) وبينما المشرق تمزقه الحروب وتملأه الفتن، ثار اعراب الجزيرة العربية في بقاع متعددة، وتحرك الخوارج في الجزيرة وحول الموصل، اذ قام حمدان بن حمدون بقلاقل انهكت قوى الخلافة حتى خرج الخليفة بنفسه على رأس جيش الى قلعة ماردين حيث اعتصم ابن حمدان، فحاصرها وسقطت في يده، فامر بهدمها وتخريبها(5)

وتعتبر حركة ابن حمدان هذه بداية قوة للعنصر العربي مما سيكون له اثر كبير فيما بعد، وسنرى ان الخلافة سوف تعمل على تقويته.

اما عرب الجزيرة العربية فقد عادوا الى تمردهم وعصيانهم خصوصا عرب بني

---

(1) الكندي : الولاة والقضاة 240 النجوم الزاهرة 3-53.
(2) ابن كثير : البداية والنهاية 11-80
(3) ابن كثير : البداية والنهاية 11-80
(4) Muir 556
(5) ابن كثير : البداية والنهاية 11-70 - طبري 8-169 - مروج الذهب 4-181

شيبان فبعث اليهم المعتضد قواته وهزمهم حتى طلبوا منه الصفح والعفو وقدموا الرهائن[1] .

ولم تكد الخلافة تتخلص من فتنة حتى تواجه فتنة اخرى اعنف واقوى ، وما كادت تقضي على ثورة الزنج المسلحة التي اثارت الرعب والفتن في بقاع الخلافة ، حتى اصيبت البلاد المحيطة بقلب الدولة بهزة كانت اكثر عنفا واكثر شدة وجبروتا ، اذ اتخذت في اول الامر طابعا دينيا ، ثم تطورت الى حركة سياسية خطيرة تعرف بحركة القرامطة[2] . وكانوا قد ظهروا في اماكن متعددة من العراق والشام والبحرين .

فقد ظهر رجل يدعى حمدان قرمط استغل الظروف الاقتصادية والاجتماعية السيئة التي خلفتها ثورة الزنج ، فالتف حوله الفلاحون الجهلاء الذين كانوا يعانون من استغلال اصحاب الأراضي ويعانون من الحياة القاسية ، كما انضم اليه اصحاب المهن الصغيرة ، وذلك لأن القرمطي كان ينادي بالمساواة ، الا ان القرامطة في النهاية تطرفوا لدرجة انهم اعتبروا ان الدين هو السبب في استعباد الشعوب[3] .

وقد اتجه القرامطة في بداية حركتهم الى القطيف وعجزوا عن دخولها ففتحوا هجر بالبحرين ، والتف حولهم الاعراب ودفعوا لهم الضرائب ، وهزموا جيوش الخلافة اكثر من مرة ، اذ هزم ابن عمر الغنوي[4] وظهروا كذلك بالشام ، وتقدموا نحو دمشق ، وفي طريقهم اجتاحوا الرصافة واحرقوا جامعها واستباحوا اهلها[5] ، ثم وصلوا الى دمشق وهزموا واليها هزيمة مروعة .

الا ان الخلافة نجحت في الحاق الهزيمة بالقرامطة في عام289 بسواد الكوفة حتى ضعف امرهم واسر الكثير من زعمائهم ومن بينهم ابو الفوارس الذي عذب حتى مات،[6] الا ان مبادئهم استمرت في الانتشار حتى اتسعت اتساعاً كبيرا ، فهدد القرامطة

---

(1) طبري8 -166 ـ ابن الاثير5 -167

(2) كارل بروكلمان ـ تاريخ الشعوب الاسلامية2 -72

(3) عبد العزيز الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي74

(4) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة3 -122 ـ البداية والنهاية11 -83

(5) ابن كثير : البداية والنهاية11 -81 . ابن الاثير6 -99

(6) الطبري8 -207 . النجوم الزاهرة3 -106 .

المدن والقرى واحرقوها وهاجموا قوافل الحجاج ، وفي نفس الوقت خرج عبد الله بن حوشب باليمن داعيا للمهدي ، وكان ابو عبد الله الشيعي قد خرج بالمغرب داعيا للفاطميين ، لكن رغم هذه المشاكل فقد نجحت الخلافة في مواجهة هذه الفتن بقوة وحزم .

مات المعتضد بعد ان لعب دورا هاما في اخماد الفتن كما رأينا وتولى بعده المكتفي في عام289 الذي سار على هدى سياسة ابيه ، الا ان الفتن والقلاقل التي اشرنا اليها اتسعت واستفحلت ، ونخص بالذكر حركة القرامطة الخطيرة ، والدعوة الشيعية التي اخذ انصارها في الازدياد في بلاد المغرب ، واستطاع المكتفي ان يحمل شعلة النضال وقضى على قرامطة الشام والعراق كما انه ردّ مصر الى حظيرة الخلافة .

تقدم القرامطة بقيادة يحي بن زكرويه الى الرقة واستباحوها ، ثم تقدموا الى دمشق وانتصروا على طغج بن جف ، وقد قتل يحي بن زكرويه في المعركة ، وتولى بعده الحسن بن زكرويه وتلقب بصاحب الشامة(1) وكان يكتب لاصحابه « من عبد الله المهدي احمد بن عبد الله المهدي المنصور الناصر لدين الله . . . الداعي لكتاب الله . . . المختار من ولد رسول الله . . . وكان يدعي انه من سلالة علي بن ابي طالب منْ فاطمة »(2) .

تقدم صاحب الشامة الى دمشق ، وهزم جيشها ، ودخلها ، وسار منها الى حمص وحماه ومعرة النعمان وبعلبك وسلميه(3) . وكان القرامطة في كل بلد دخلوها يقتلون ويسلبون ما طاب لهم فاشتكى اهل الشام مما حل بهم على يد القرمطي فخرج الخليفة بنفسه ونزل الرقة وسيرّ الجيش بقيادة محمد بن سليمان فهزم القرامطة ، واسر الحسين بن زكرويه « صاحب الشامة » مع رجاله وأرسلوا الى الرقة ونقلوا بعدها الى بغداد حيث اعدموا هناك(4) وبهذا تخلصت بلاد الشام من خطر القرامطة .

---

(1) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة3-130 . ابن كثير : البداية والنهاية11-93 .
(2) ابن كثير : البداية والنهاية11 -96
(3) ابن العماد : شذرات الذهب2 -207 . ابن الاثير6 -105
(4) طبري8-226 - البداية والنهاية11 -97 .

الا ان قائد الفتنة ما زال يثير الشغب اذ ارسل احد اتباعه وهو عبد الله بن سعيد « ابي نصر » الى قبائل العرب فالتف حوله العليصيين، وصعاليك كلب وتقدم بهم مرة اخرى نحو الشام فوصل حتى بصرى واذرعات والبثنة فهزم اهلها واستباحهم ، الا ان الدماشقة حالوا دون دخولهم مدينتهم .

فجرد الخليفة جيشا ضخما بقيادة الحسين بن حمدان وجماعة من القواد الآخرين ، فنزل الحسين دمشق ، وعاد القرامطة الى السماوه ، وظل الحسين يتتبعهم من مكان الى آخر حتى تفرقت كلمتهم ، وقتلوا زعيمهم ابا نصر « عبد الله بن سعيد » . وكتب فريق منهم يطلب الامان من الخليفة فامنهم ، وظل فريق آخر معاندا عاصيا فكتب الخليفة للحسين بن حمدان بتتبعهم واحتثاثهم . وكان زكرويه قد ارسل اليهم مبعوثا يدعوهم الى المسير نحو الشام ، وقابلتهم قوات الخلافة عند الكوفة ، وهزم الجيش الخلافي . وقويت شوكة القرامطة فأخذوا يعترضون قوافل الحجاج ، الا ان المكتفي اعد جيشا بقيادة وصيف بن صوارتكين ، ودارت المعركة بين الطرفين ، حتى هزم زكرويه ووقع اسيرا هو ومن معه واعدموا في العاصمة(1) . وبعد قتل زعيم القرامطة ضعف امرهم بالعراق ، كما ضعف نفوذهم بالشام اما عن مصر فقد ادرك المكتفي مدى ما ساد البلاد من الفوضى والانقسامات والفتن الداخلية وعجز الامراء عن ادارة شؤون البلاد . فوجد المكتفي انها فرصة مواتية لاعادة مصر الى حظيرة الخلافة ، فسيّر الجيوش وعلى رأسها محمد بن سليمان والحسين بن حمدان على مقدمة الجيش، ورحب بهم بدر الحمامي عند وصولهم للشام وانضم اليهم واخبرهم عن ضعف والي مصر(2) . كما تقدمت القوات البحرية مع القوات البرية الى مصر ، فخرج هارون بن طولون مستعدا للقتال الا ان عماه تخلصا منه وقتلوه وتولى شيبان(3) الا ان قادة عسكر شيبان استنكروا قتل هارون وكاتبوا الحسين بن حمدان بالامان فامنهم . ولما رأى شيبان ما فعله قادة جيشه ، طلب هو بالتالي الامان لنفسه ولاهل بيته ، فدخلت الجيوش

(1) طبري 8-236 . ابن الاثير 6-116

(2) ابن خلدون 3-355

(3) الكندي : الولاة والقضاة 244 . النجوم الزاهرة 3-134-135 .

[illegible] الخلافة .

[illegible] فوق المكتفي ابا الهيجاء عبد الله بن
[illegible] عاثوا فيها فسادا حتى آذربيجان ، الا
[illegible] بالموصل .

[illegible] فقد خرج الجيش العباسي لفتح
[illegible] من خيفة وكان هذا البطريق على
[illegible] ومات المكتفي وسط هذه الظروف
[illegible]

[illegible]

تدهور الخلافة :

بعد موت المكتفي ، كان الاتراك قد سئموا من اختيار الخلفاء الاكفاء القادرين على القيام بالاعباء ، فارادوا العدول عن هذه السياسة وتولية خلفاء ضعافا لا يقدرون على ادارة شؤون البلاد ، ولهذا طال اجتماعهم واستشار الوزير ابو العباس فيمن يتولى الخلافة . وكان المعتز هو المرشح لهذا المنصب لعلمه وادبه ، الا ان ابن الفرات مع جماعة من الاتراك عارضوا رأي الوزير فقال ابن الفرات « اتق الله ولا تول الامر من عرف نعمه هذا . . . وبستان هذا . . . ولم تأت برجل يباشر الأمور بنفسه غير محتاج الينا[1] ونصحه أيضاً بأن يقلد الأمر من يكون في حجره ويتدبر برأيه أي برأي الوزير[2] » فعين المقتدر .

وهكذا عادت الخلافة مرة اخرى للانحطاط وذلك لأن عهد المقتدر ساد فيه حكم النساء والخدم ، فكانت تدار الأمور على تدبيرهن ، وهو مشغول بلذاته فخربت الأمور في ايامه ، وخلت بيوت الأموال[3] وكثر تغير الوزراء تبعا لما يقدمه كل منهم من رشوة ، فاصبح هم الوزير الجديد هو جمع ما دفعه من الرشوة بغض النظر عن الطريق التي يسكلها في سبيل ذلك ، ولقد كانت ام المقتدر هي المتسلطة على امور الدولة ، فقد كان لاقطاعها ديوان خاص يدير شؤونها[4] . كما عينت قهرمانتها ثومال للجلوس لرد المظالم فكانت تنظر في كتب الناس فاستنكروا ذلك واستبشعوه[5] .

وادت هذه الظروف كلها الى تعرض الخليفة لمؤامرة كادت تودي به وبعرشه . وكان الحسين بن حمدان من زعماء المؤامرة ، وقام بقتل الوزير وحاول التخلص من الخليفة الا انه فشل ، وكان الحسين بن حمدان قد بدأ يلعب دورا هاما في بلاط الخلافة ،

---

(1) ابن الاثير 6-119

(2) الصابي : الوزراء 137

(3) ابن طباطبا : الفخري 335

(4) مسكوية 1 / 143 تجارب الامم

(5) ابن عريب : صلة تاريخ الطبري 42 مرآة الجنان 2 - 246

لكن مصير المؤامرة كان الفشل ذلك لأن اتباع الخليفة تخلصوا من المعتز واعادوا المقتدر(1) .

ومن الجدير بالذكر ان الحسين بن حمدان ومن ورائه العنصر العربي ، ارادوا ان يتولى الخلافة رجل كفوء قادر على تحمل مسؤولية المشاكل التي تواجهها الخلافة ، الا ان الاتراك ارادوها لرجل ضعيف حتى يكونوا دائما اصحاب الكلمة العليا . اما عن الوزارة فقد تدهور مركزها في هذا العصر نتيجة قصر مدة بقاء الوزير في مركزه ، فلما عزل ابن الفرات وصودرت املاكه وامواله وجاء محمد بن يحي الخاقاني وكان سيء الـ والتدبير كثير التولية والعزل حتى انه ولى بالكوفة تسعة عشر ناظرا واخذ من كل منهم رشوة(2) واشتغل الخليفة نفسه بعزل وزرائه والقبض عليهم ومصادرتهم والرجوع الى مشورة النساء والخدم ، فخرجت المالك وطمع العمال في الاطراف ، ثم جاء علي بن عيسى التقي الورع وقبض على الخاقاني وابنه(3) واراد عيسى ان يصلح الأمور ويـ الرشوة والفساد وينظم جباية الضرائب ، الا ان حكومة النساء لم تتركه يمضي في الاصلاح فصودرت امواله وحبس في عام 304 هـ(4) وتولى بعده حامد بن العباس يكن ذا خبرة فاعقبه علي بن الفرات ، ثم ابو القاسم الخاقاني ثم تولى علي بن وظل الخليفة يغير ويبدل على هذا النحو حتى بلغ عدد وزرائه اثني عشر وزيرا

وفي هذا الجو المضطرب وفي ظل الادارة الفاسدة ، تحرك القرامطة وزحفوا دخلوا البصرة واستباحوها ، ثم عادوا الى هجر(6) وأخذوا بعد ذلك ، يتعرضون الحجاج اثناء عودتها ، فاستباحوا قافلة في عام 312 ، ونهبوا ما فيها من اموال وكان من بين الأسرى ابو الهيجاء عبد الله بن حمدان ، فثار اهل بغداد وتطا

---

(1) مرآة الجنان 2 / 225 ابن الاثير 8-6

(2) ابن طباطبا : الفخري 363

(3) ابن عريب : صلة تاريخ الطبري 29

(4) ابن طباطبا : الفخري 365 . الصابي : الوزراء 283

(5) انظر الفخري 364-370

(6) مرآة الجنان 2-264 صلة تاريخ الطبري 26

الخليفة وطالبوه بالخروج لصد القرامطة[1] .

وفي نفس الوقت ، طلب ابو طاهر القرمطي من الخليفة ولاية البصرة والاهواز ، بعد ان اطلق سراح الاسرى ومنهم ابو الهيجاء الا ان المقتدر رفض طلب القرمطي ، فجمع هذا جيشه وسار نحو الكوفة فدخلها واستباحها ثم عاد بعدها الى هجر[2] .

ثم تقدم القرامطة الى الانبار ، فدخلوها وارادوا مواصلة السير لدخول بغداد ، فحشدت الخلافة قواتها لمواجهة القرمطي ، فاشار ابو الهيجاء ابن حمدان ، بقطع القنطرة الموصلة الى بغداد ، فقطعت فلم يتمكن القرامطة من دخول بغداد ، فعادوا الى الانبار[3] .

ونتيجة لكل هذه الانتصارات التي احرزها القرامطة ، فقد ثار قرامطة الكوفة وسوادها ، وقرامطة عين التمر ، ولكنهم هزموا امام قوات الخلافة[4] .

وفي عام317 سار ابو طاهر القرمطي الى مكة وقتل من في المسجد الحرام وانتزع الحجر الاسود وكان يقول : « انا الله انا اخلق الخلق وافنيهم فاين الطير الابابيل واين الحجارة من سجيل[5] ؟ » وهكذا انتهكت حرمة البيت الحرام لاول مرة في التاريخ الاسلامي . واستنكر عبد الله المهدي ، الذي كان القرامطة يوالونه هذا التصرف واتهموهم بالكفر والالحاد[6] .

وفي تلك الفترة وبينما القرامطة ينشرون الذعر والفزع في انحاء كثيرة من البلاد حدثت وحشة بين الخليفة ومؤنس الخادم ، وظهرت محاولة لخلع الخليفة وشارك ابو الهيجاء ابن حمدان في هذه المؤامرة ، الا ان الجند ثاروا واعادوا المقتدر الى العرش مرة

---

(1) ابن خلدون3-377 البداية والنهاية11-149

(2) النجوم الزاهرة 3 / 217

(3) الطبري8-92 النجوم الزاهرة217-3 ابن الاثير6-187

(4) ابن الأثير6-194

(5) البداية والنهاية11-160 النجوم3-224

(6) ابن الاثير 6 / 201

اخرى ، ولكن العداء استحكم مرة اخرى بين الخليفة ومؤنس الذي كان ابرز الشخصيات في ذلك الوقت وقائد الجيش وبيده الامر والنهي وخرج مؤنس الى الموصل حيث بني حمدان فاجلاهم ، عنها[1] . وعاد مؤنس الى العاصمة مرة اخرى حيث دارت معركة انتهت بموت المقتدر[2] .

اما عن الحالة على الحدود في عهد المقتدر مع الروم ، فقد اغرى انشغال الخلافة بشؤونها الداخلية الروم على الاغارة على الحدود فسقط في ايديهم حصن منصور[3] ثم كتب ملك الروم بعد ذلك الى اهل الثغور الاسلامية بأن يحملوا اليه الخراج والا هاجمهم واستباحهم اذ قال لهم : « اني قد صح عندي ضعف ولائكم[4] » . وتقدم فعلا اليهم ، ودخل ملطية فخربها ، ودخل سميساط واردبيل[5] الا ان موقف المسلمين اختلف فيما بعد ، فوقفوا موقف المهاجم ، ذلك لان الحدود البيزنطية بدأ يهددها خطر البلغار الجديد[6] . وقد اخذت مصر في عهد المقتدر تتعرض لحملات حربية ضخمة من الغرب ، مما جعلها في مركز ضعيف ، في الوقت الذي كانت فيه الخلافة تواجه علة مشاكل ، مما ادى الى قيام دولة الاخشيديين بمصر لترد عنها غارة المغيرين . .

قال موير في ضعف الخلافة ايام المقتدر : « ان عهد هذا الخليفة التعس قد هوى بالدولة الى الحضيض ، فقد ضاعت ممتلكاتها في الخارج فضاعت افريقية واوشكت مصر أن تضيع واستقل امراء بني حمدان بالموصل واغار البيزنطيون على الحدود . . اما في الأراضي القريبة من العاصمة فقد اخمدت الى حين . . . وخضع المقتدر لحرس اجنبي يأتمر للقادة الاتراك مباشرة ، وقد خلع مرتين وذبح في النهاية ، ولكل هذا لا نستغرب اذا تلاشت هيبة الخلافة التي عمل اسلافه على استعادتها ، وغدت في

---

(1) النجوم 3-232-33- البداية 11 - 169

(2) الزيني : الفتوحات الاسلامية 1-230 .Muir57

(3) ابن خلدون 3-385

(4) مسكويه 1-146 ابن الاثير 6-182

(5) البداية والنهاية 11-153

(6) Muir569

سانحة للمغيرين من الخارج ولأمراء الاطراف . . . حتى ان اهل بغداد انقسموا الى شيع واحزاب متطاحنة(1) .

لما قتل المقتدر ، عزم مؤنس على تعيين ولده ابا العباس ، الاّ ان الاتراك وعلى رأسهم اسحق بن اسماعيل النوبختي رفضوا ذلك ، فتولى محمد اخو المقتدر ، ولقب بالقاهر(2) وقد ساءت احوال الدولة في عهده ، وطارد القاهر رجال المقتدر مطاردة عنيفة وصادر اموالهم واملاكهم ، وعامل والدة المقتدر ونساءه واولاده معاملة قاسية وسلبهم اموالهم(3) ، فقد كان القاهر طاغية جسورا سفاكا للدماء ، حتى زيد في القابه لقب المنتقم من اعداء الله ونقش هذا اللقب على السكة(4) .

وقد تخلص القاهر من ابن اسماعيل النوبختي وابا السرايا بن حمدان وحرم شرب الخمر وحبس المغنيين والمغنيات(5) .

تعرض القاهر لمؤامرة كادت تودي به ، الا انه كشف المؤامرة وطارد المتآمرين وذبح رؤساءهم ، وكان من بينهم مؤنس الخادم ، واختفى الوزير ابن مقلة فاحرقت داره(6) . فثار الجند الا ان الخليفة وزع عليهم الارزاق حتى هدأت فتنتهم ، واستطاع القاهر ان يقبض على الامور بحزم وعزم قويين .

أما عن حالة الدولة في عهد القاهر، ففي الشرق انتزع مرداويج أصبهان من ابن بويه ، الا انه مات في عام322 هـ ، وقيل انه كان يريد قصد بغداد نفسها ، وانه مسالم لصاحب المجوس وكان يقول « أنا أرد دولة العجم وأمحق دولة العرب »(7) . وتوجه علي ابن بويه الى ارجان ، فاستولى عليها وكتب ابن بويه الى الخليفة بالطاعة والمعونة(8) كذلك

---

(1) Muir 57-7 i
(2) البداية والنهاية11-171
(3) Muir57i
(4) السيوطي : الخلفاء257 -258
(5) مرآة الجنان2-281 البداية والنهاية 11 -172
(6) السيوطي : الخلفاء386 مرآة الجنان2-281
(7) السيوطي : الخلفاء390
(8) ابن الاثير6-232 . البداية والنهاية11-177

ضعف الوزارة

اتضح لنا من دراستنا السابقة كيف استفحل نفوذ الاتراك حتى ان الخليفة اصبح في يدهم كالدمية ليس له الا النفوذ الروحي ، ولكن على الرغم من هذا النفوذ الكبير فقد اراد الاتراك ان يوسعوا الدائرة ، وتولوا الوزارة في عهد المستعين ، وتولاها اتامش التركي ، فزاد نفوذه وثروته ، فحسده الاتراك ودبروا امر قتله ، وقد تعرض كثير من الوزراء لنفس المصير، فقد كانوا المسؤولين عن توفير الاموال اللازمة لنفقات الاتراك وبلاط الخلافة فاذا عجزوا عن توفيرها ، كان مصير الوزير اما القتل او المصادرة والعزل . وقد ساد تلك الفترة الفتن الكثيرة من الداخل والخارج ،والفساد في الشؤون الادارية مما ادى الى عجز الوزراء عن سد النفقات المطلوبة منهم .

شهد عهد المقتدر تدهور مركز الوزارة والخلافة معا ، رغم ان الوزير في اول عهد المقتدر كان له اليد الطولى في تعيين الخليفة ، وتكرر في عهد المقتدر تغير الوزراء وتبديلهم ، تبعا لرغبات سيدات القصر والحاشية وخصوصا ام المقتدر حتى بلغ عدد الوزراء اثنى عشر وزيرا ، وكانت مدة حكم كل منهم قصيرة لا تمتد الا برضا الحاشية . وهكذا كان كل وزير يسير في طريق الاصلاح يصطدم ببطانة البلاط فيعزل ويصادر(1) . ومن امثلة ذلك الوزير علي بن عيسى الذي حاول الاصلاح الا انه لم يستطع(2) . اما في عهد الخليفة الراضي فقد كثر تغير الوزراء ايضا ، وقد شارك الجند احيانا في اختيار الوزير(3) وكان الاسراف في تغيير الوزراء وتبديلهم نتيجة لتدخل الغلمان والاتراك .

وفي النهاية ادرك الخليفة الراضي عجز وزيره سليمان بن الحسن عن توفير الأموال فاستدعى محمد بن رائق من واسط ،وكان من ابرز الشخصيات واقوى القادة في تلك الفترة ، وكاتبه الراضي ليتولى الوزارة وتوفير الاموال اللازمة بالنفقات وارزاق الجند ،

---

(1) ابن الاثير7-42 محمد حلمي محمد : الخلافة والدولة84-87

(2) الصابي : الوزراء283

(3) انظر : البداية والنهاية11-183

وقلده الراضي امرة الامراء[1] ، وفوض اليه الخراج والدواوين ، وخطب له على المنابر مع الخليفة ، واصبح الوزير لا ينظر في شيء من الأمور واستمر ابن رائق وكتابه ينظرون في جميع الأحوال ، فبطلت الدواوين وبيوت الاموال، وصارت الأموال تحمل الى خزائن امير الامراء ، فيتصرف بها كما يريد ويطلب من الخليفة ما يشاء ، وتغلب اصحاب الاطراف وزالت عنهم الطاعة ، فالبصرة بيد ابن رائق ، وخوزستان والاهواز بيد البربري ، وفارس بيد عماد بن بويه ، والموصل وديار ربيعة بيد بن حمدان ، والري والجبل واصبهان بيد ركن الدولة بن بويه، ووشمكير أخو مرداويج ينازعه في هذه الاعمال ، ومصر والشام بيد محمد بن طغج الاخشيد ، والمغرب وافريقية بيد الفاطميين والاندلس بيد عبد الرحمن بن الناصر بن عبد الرحمن الداخل ، والبحرين بيد القرامطة ، ولم يبق للخليفة الا بغداد واعمالها ، وابن رائق صاحب النفوذ الحقيقي[2] .

وهكذا اصبحت البلاد موزعة ما بين خارجي قد تغلب عليها او عامل لا يحمل الى الخزانة العامة مألا ، واصبح في العالم الاسلامي ثلاثة خلفاء ، الخليفة العباسي في بغداد ، والخليفة الأموي بالاندلس ، والخليفة الفاطمي بالقيروان[3] .

ازداد ضعف الخلافة حتى ان مرداويج بن زيار الديلمي آمن بضرورة احياء دولة الفرس القديمة وابطال دولة العرب ، فاستولى على اقاليم قزوين والري واصبهان وطبرستان وجرجان وهمذان ، وعزم على اخذ بغداد نفسها ، لولا اغتياله على يد بجكم احد غلمانه[4] .

وقد برز اسم بجكم في بلاط الراضي لدرجة ان ابا الحسن العروضي قال « دخلت يوما على الراضي وبيده دينار ودرهم . . . وعلى الدرهم صورة بجكم شاك في سلاحه مكتوب عليه ، انما العز فاعلم . . . . للامير المعظم . . . سيد الناس

(1) قيل ان هذا المنصب ظهر ايام المقتدر انظر مسكويه 1-188

(2) ابن خلدون 3-401 - الفخري 206

(3) السيوطي : الخلفاء ص 392

(4) الصولي : الاوراق 20-22 او تاريخ الخلافة العباسية من سنة 322 الى سنة 333 هـ

بجكم . . . فقال الراضي اما نرى هذا الانسان وما تسمو اليه همته »[1] .

كذلك ظهرت شخصية ابي عبد الله البريدي الذي استطاع ان يكون له عصبة عسكرية ساعدته على تولي ارقى المناصب في الدولة ، حيث كان في اول امره كاتباً لياقوت والي الاهواز من قبل الخلافة . وقد ساعد البريدي البويهيين في الاستيلاء على الاهواز ، وكان قد خان سيده ياقوت ، الا ان البويهيين تركوا الاهواز وعادوا الى عاصمتهم شيراز[2] ، وعادت قوات الخلافة الى الاهواز ، ففر البريدي الى البويهيين ، وظل يلح عليهم حتى توجهت قواتهم معه ، فاستولوا على الاهواز مرة اخرى ، وذلك لما تمتعت به الاهواز من مركز استراتيجي هام بالنسبة للعراق .

الا ان البريدي والبويهيين لم يتفقوا فيما بينهم ، فطرد البريدي من الاهواز وفر الى البصرة[3] . وقد انتهز بجكم الفرصة واستولى على السوس وجند يسابور[4] ، واخذ يتطلع الى تولي منصب امرة الامراء ، فتصالح ابن رائق مع البريدي[5] ، فخاف بجكم من هذا التحالف الجديد واراد القضاء عليه ، فسير قواته نحو البصرة وهزم البريدي وعقد معه صلحا ضد امير الامراء .

ثم اتجه بجكم الى بغداد لقتال ابن رائق ، ففر هذا الى عكبرا ثم عاد واختفى في بغداد ، ونزل بجكم بدار مؤنس واستقر في بغداد متحكما في الدولة مستبدا على الخليفة[6] . واستوزر بجكم البريدي وتصالحا وتصاهرا .

وفي تلك الاثناء امتنع ناصر الدولة بن حمدان عن دفع الخراج فسار الراضي وبجكم الى الموصل لمحاربة ابن حمدان وفي تلك الظروف ظهر ابن رائق في بغداد ،

---

(1) المسعودي : مروج الذهب2-411

(2) ابن خلدون : 3-396

(3) ابن الاثير6-240

(4) ابن خلدون3-405 العبر

(5) الصولي105ـ الاوزان ـ أو تاريخ الخلافة العباسية من سنة322 -333

(6) ابن خلدون 3-406 ـ العبر

وراسل الخليفة علي ان يوليه ديار مصر وقنسرين والعواصم والشام[1] وخرج ابن رائق الى ولايته ففتح بعض المدن واصطدم بالاخشيد عند العريش بمصر وتصالحا على ان يكون للاخشيد حكم الاقليم الممتد من مصر حتى الرملة على ان يدفع لابن رائق مائة واربعين الف دينار سنويا[2] .

وقعت الوحشة مرة اخرى بين البريدي وبجكم ، فطرد البريدي الى البصرة ومات الراضي وانعقد مجلس حضره وجوه بغداد وتولى المتقى بناء على رغبة بجكم الذي لم يلبث ان توفي بعد فترة اثناء خروجه للصيد[3] فانضم فريق من جيشه للبريدي الذي تقدم الى بغداد وفتحها وتولى فيها كل السلطات رغم ان الخليفة لم يعينه اميرا للامراء . وطلب البريدي من الخليفة دفع رواتب الجند وهدده ، فدفعها الخليفة ، وطالب الجند مرة اخرى بارزاقهم فلم يستطع البريدي توفيرها ففر الى واسط ، وتولى الامر في بغداد كورتكين الديلمي حتى وصل ابن رائق الذي شجعه الخليفة على القدوم وعينه اميرا الا ان البريدي عاد مرة اخرى الى بغداد بعد ان ضعف امر ابن رائق امام مطالب الجند ففر الخليفة المتقي وابن رائق الى الموصل حيث الامراء من بني حمدان ، ومن هنا يبدأ دور بني حمدان على مسرح الاحداث السياسية في الدولة العباسية .

والى جانب ما تعرضت له الخلافة والخلفاء من تدخل الاتراك ، كانت هناك الغارات الاجنبية ، وحركات المتغلبين ، وثورات الزنج والقرامطة ، مما ادى الى سوء الحالة الاقتصادية ، فلم تكن ثروة البلاد موزعة توزيعا عادلا ، فقد تدفقت الأموال على الامراء وكبار القواد وحاشية الخلفاء ، فعانت الطبقات الاخرى الفقر المدقع ، كما كان للخلاف المذهبي اثر بعيد في انقسام الأمة وجر البلاد الى الخراب .

كانت كل هذه المآسي نتيجة حتمية لتلك الثغرة العميقة التي اوجدها الاتراك منذ ايام المعتصم ، وما زالت تتسع حتى انهار البنيان وساد الخوف والذعر واصبحت الاموال نهبا للطامعين ، وفسدت الحياة ، وطغت المنازعات المذهبية ، واندلعت الفتن

---

(1) تجارب الامم وتعاقب الهمم 1-405

(2) محمد كرد علي : خطط الشام 1-216

(3) ابن خلدون 3-309 ـ العبر

الفصل الثاني

بداية ظهور الحمدانيين على مسرح الاحداث السياسية

وعلاقتهم بالخلافة

تمهيد :

اولا : الحمدانيون

اصلهم ومسكنهم

ثانيا : حمدان بن حمدون ودوره في احداث الموصل

ثالثا : حمدان بن حمدون وعلاقته بالخلافة

رابعا : علاقة ابناء حمدان بالخلافة .

أ ـ الحسين بن حمدان

ب ـ ابو الهيجاء ـ عبد الله بن حمدان

ج ـ ابو العلاء ـ سعيد بن حمدان

تمهيد

رأينا في الفصل الأول كيف ان الامبراطورية الاسلامية التي بنتها سيوف الخلفاء الراشدين وبني امية ، ولقيت نوعا من الاستقرار في عهد العباسيين الأوائل ، اخذت تنحل في اواخر القرن الثالث واوائل القرن الرابع الهجري ، حتى لم تعد الخلافة في ذلك الوقت سوى رمز بدون سلطة حقيقية .

والواقع ان هذه التجزئة والانحلال الذي اصاب الدولة الاسلامية قد بدأ يوم ان انتقل الحكم من بني امية الى بني العباس ، حين كون عبد الرحمن الداخل امارة اموية في بلاد الاندلس ، ولكن رغم قيام هذه الامارة فقد ظلت الدولة العباسية قوية في عصرها الأول حتى بدأ عهد الخليفة المتوكل .

وكان لضعف شخصية الرعيل الثاني من الخلفاء العباسيين اكبر الاثر في استئثار الخدم والجنود والحجاب والاتراك بالسلطة كما رأينا في الفصل الأول فقد اصبح هؤلاء يولون ويعزلون من يشاؤون من الخلفاء والعمال، ويتحكمون في امور الخلافة ، ويفرضون ارادتهم على الخلفاء ليسلكوا في حكمهم مسلكا معيناً ، لانهم جعلوا من انفسهم اصحاب الحل والعقد في امور الخلافة . وبهذه الطريقة لقي الخليفة المتوكل حتفه لتعارض سياسته مع الاتراك ، وكذلك كان مصير غيره من الخلفاء امثال المستعين والمعتز والمهتدي والمعتمد والمكتفي والمقتدر .

ازاء هذا الوضع المؤسف انحل جهاز الدولة ، واضمحلت تلك الرابطة القوية التي كانت تشد اجزاء الامبراطورية ، فخرج الولاة من الاتراك والفرس على طاعة

الخلافة ، وأخذوا يعلنون الاستقلال بولاياتهم ، ولم يرتبطوا بالخلافة الا بذلك الرباط الديني ، حيث كان الخليفة يعتبر هو الرئيس الروحي للمسلمين ، ولم يقتصر الأمر على هذا الامر فحسب بل ناصب بعض الولاة الخلافة العداء ، حتى وقعت بينهم المعارك الدامية ، واتضح هذا في موقف الطولونيين في مصر ، والصفارين في المشرق .

ولقد شارك العنصر العربي في هذا الصراع ولكن على صورة مختلفة فقد وقف العرب الى جانب الخلافة ضد اعدائها ، وكان ذلك منذ هاجرت القبائل العربية كما هو معروف من مواطنها في الصحراء واتجهت الى الشمال الى سورية وارض الجزيرة الفراتية حتى استقرت وكونت قوة سياسية اعتمد عليها الخلفاء ، ولم تكن العناصر العربية اقل شأنا من غيرها من العناصر ، فاحتلت المدن والقلاع وكونت اسرات حاكمة ، ابرزها قبيلة تغلب التي اسست دولة الحمدانيين في الموصل وحلب ، وكذلك المرداسيين ، الذين ينتمي اليهم بنو كلاب والعقيليين الذين كونوا دولتهم في ديار بكر(1) . الا ان ما يهمنا في بحثنا هذا هو دولة الحمدانيين .

Stanley-poole Mohamuraden pynarfies p. I . 9 (1)

الحمدانيون ـ اصلهم ومسكنهم

تتحدر الاسرة الحمدانية من اصل عربي صميم ، هو قبيلة تغلب ، التي يعود نسبها الى وائل بن قاسط بن هنب بن افعى بن دعمي بن جديله بن اسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان[1] . . .

ومن اشهر بطون تغلب الأراقم وهم وجشم وعمرو وثعلبة ومعاوية والحارث بنو بكر بن حبيب بن غنم بن تغلب[2] .

ومن بطونها ايضا بنو مالك بن بكر بن حبيب ، وانحدر من صلب اسامة بن مالك حمدان بن حمدون جد الامراء الحمدانيين[3] ومنهم كذلك بنو شعبة بالطائف وبنو حمدان بالموصل[4] . ولقد كانت ربيعة كبقية القبائل العربية الاخرى قد هاجرت الى الشمال بحثا عن الكلأ والمرعى ، فاتجهت في سيرها نحو الشمال ، حتى استقرت في هضاب نجد والحجاز وتخوم تهامه[5] فكان لهم ولمراعي انعامهم ما ارادوا من السهل والجبل الا ان ربيعة ما لبثت ان انقسمت على نفسها ودب فيها الشقاق ، مما ادى الى ضعفها وتفرق بطونها ، فنجد ان بكرا وتغلبا انفصلتا عن ربيعة ، وعاشتا في نجد جارتين متسالمتين تحت راية كليب وائل ، حتى وقعت بينهما حرب البسوس[6] . وفي نفس منطقة نجد في مستهل القرن الخامس الميلادي ، ولم تقع ببلاد العراق كما يقول البعض[7] .

---

(1) العقد الفريد 3-209 ـ عمر كحالة ـ معجم قبائل العرب 1 / 120 ـ ابن خلدون 4 / 237

(2) العقد الفريد 3-288

(3) دائرة المعارف الاسلامية (مادة تغلب) مجلد 5-325

(4) عمر كحالة ـ معجم قبائل العرب 1-120

(5) البكري ـ مقدمة معجم ما استعجم-89 دائرة المعارف الاسلامية مادة تغلب

(6) العرب قبل الاسلام . جواد علي 4-298 ـ البسوس ـ خالة جساس بن مرة قاتل كليب .
ابن مرة قاتل كليب : عمر كحالة ـ معجم قبائل العرب 1-99

(7) د . الشكعة ـ فنون الشعر

واستمرت هذه الحرب فترة طويلة ، وكان الانتصار دائماً لتغلب ، الا أن بكراما لبثت ان هزمتها في النهاية ، فانتشرت مع حلفائها باليمامة والبحرين واطراف العراق ، حتى نزلوا شمال الجزيرة الفراتية[1] . وفي نفس الوقت بدأت تغلب تتجه نحو الشمال الى اطراف الجزيرة الفراتية ، الا انها لم ترحل اليها دفعة واحدة ، بل رحلت في موجات متتالية[2] . وما ان ظهر الاسلام حتى كانت قد استقرت في المنطقة التي عرفت فيما بعد باسم ديار ربيعة[3] . حيث اتصلوا بجيرانهم وتنصّروا فسماهم ابن خلدون بنصارى العرب[4] .

وتعتبر منطقة الجزيرة التي استقرت فيها تغلب بين قرقيبيا وسنجار ونصيبين والموصل شمالا ، وعانه وتكريت جنوباً من المناطق الخصبة ، ويكاد يكون هذا الاقليم شبه جزيرة ، اذ يحده نهر الخابور ودجلة والفرات ، فهي اذن منطقة زراعية خصيبة هيأ لها موقعها الجغرافي المتوسط وكونها معبرا بين العراق والشام والامبراطورية البيزنطية وارمينية واذربيجان ، وبحكم انهارها ومواصلاتها ومواردها الطبيعية وبخاصة الزراعية ومدنها المتعددة . ان تكون ذات اهمية خاصة بين اقاليم الخلافة العباسية ، فقد كانت الجزيرة ـ مع العراق ـ تكون جسرا ارضيا يوصل بين طرق المواصلات البحرية في جنوبي اسيا وطرق المواصلات البحرية في جنوبي اوروبا ، وذلك بحكم الموضع المتوسط بين البحر المتوسط والخليج الفارسي ، ولقد كان اقليم الجزيرة وشمال الشام وحدة واحدة تتمم بعضها بعضا من حيث ارتباط حصونها وتعرضها لاغارات البيزنطيين[5] .

في هذه المنطقة الهامة عاشت قبيلة تغلب وعاشت جماعة منها في مضارب على الضفة اليمنى لنهر الفرات عند منبج والرصافة ، وصعدوا فيما بعد الى جوار قنسرين[6]

---

(1) سليمان الصايغ ـ تاريخ الموصل ص31 جواد علي ـ العرب قبل الاسلام4 / 298

(2) دائرة المعارف الاسلامية (مادة تغلب)

(3) فتحي عثمان ص141 ـ الحدود الاسلامية البيزنطية ـ انظر ياقوت ـ معجم البلدان2 / 637

(4) ابن خلدون 4-227

(5) فتحى عثمان ص142 الحدود الاسلامية البيزنطية

ودمشق في الجنوب حتى عين التمر[1] ، وعبرت جماعة اخرى نهر دجلة الى اذربيجان[2] . ولما ظهر الاسلام وبدأت الفتوحات الاسلامية واخذ العرب في التوسع والانتشار ، ودخلت القبائل العربية في دين الله افواجا ، امتنعت تغلب عن اعتناق الاسلام، بل ناصبت الدين الجديد العداء ، فقد احتضنت تغلب النبية الكذابة سجاح[3] .

كذلك تحالفت تغلب مع اعداء المسلمين عندما تقدم العرب لفتح تلك المنطقة[4] ، ولقد كان القائد العربي المسلم هو الوليد بن عقبه فاستشار عمر بن الخطاب في أمرهم فأمره بالتصالح معهم على ألا ينصروا وليداً والا يمنعوا واحدا من الاسلام[5] .

ولما همّ قائد عمر بن الخطاب بفرض الجزية على تغلب تجهزوا للرحيل الى بلاد الروم ، لانهم كانوا يأنفون من اداء الجزية ، فقال النعمان بن زرعه لعمر : « انشدك الله في بني تغلب فانهم قوم شديدة نكايتهم ، فلا يغن عدوك عليك بهم » فأرسل عمر الى قائده يأمره بان يتركهم وشأنهم على ان يضاعف عليهم الصدقة ، فقبلوا وظلوا محتفظين بدينهم[6] . الا انه عندما وصلت قوات عبد الله بن المعتم لقتال الروم ، ارسلت قبائل النمر واياد وتغلب يخبرونه انهم معه وسألوه الامان ، فأرسل اليهم يقول : ان كنتم صادقين (فاسلموا) ، فأجابوه واسلموا ، وهكذا استطاع عبد الله بمساعدة تغلب واياد الربعيين من فتح الموصل[7] .

وهدأت تغلب فترة من الزمان ، حتى قامت الدولة الاموية فشاركت في الجيش الاموي تحت لواء الحجاج بن يوسف الثقفي سنة 77 هـ[8] .

---

(1) دائرة المعارف الاسلامية مادة تغلب

(2) ياقوت : معجم البلدان 3-759

(3) ابن الاثير 2 / 239

(4) عمر كحالة ـ معجم قبائل العرب 1 / 122 ـ ابن الاثير 2 / 264

(5) ابن الاثير 2 / 373 ، عمر كحالة معجم قبائل العرب 1 -122

(6) البلاذري ص 181 فتوح البلدان

(7) الزيني الفتوحات الاسلامية 1-92 « يؤيد ابن الاثير في اسلام القبائل العربية »

(8) عمر كحاله معجم القبائل العربية 1-122

الا ان معظم ايام دولة بني امية كانت شرا على تغلب(1) اما في العصر العباسي فلم تكن محاولة الحمدانيين للظفر بالامارة هي اول محاولة لتغلب في العصر الاسلامي فقد سبق الى هذه الغاية تميم بن جميل الذي خرج على المتوكل ولم يكتب لمحاولته النجاح ، وعندما مثل امام الخليفة لاستجوابه بدت عليه الفصاحة والرزانة فقال موجها الكلام الى الخليفة : « يا امير المؤمنين أن الذنوب تخرس الالسن وتصدع الافئدة ، ولقد عظمت الجزيرة ، وكبر الذنب وساء الظن ولم يبق الا عفوك او انتقامك فارجو ان يكون اقربها منك واسرعها اليك اولاهما بامتنانك ثم انشد :

اری الموت بـين السيف والنطـع كامنا يلاحظنـي من حيثما اتلفت
يعـزّ على الاوس بن تغلـب موقف يسـل عليّ السيف فيه واسكت

فعفا عنه الخليفة(2) .

والى هذه القبيلة العربية الصميمة ، اي تغلب ، ينتسب الحمدانيون ، فكانوا خير خلف لاعظم سلف فيقول ابن خلدون « ثم كان منهم بعد ذلك في الاسلام ثلاثة بيوت » آل عمر بن الخطاب وآل هرون المغمر وآل حمدان بن حمدون بن الحرث بن لقمان بن اسد(3) .

ولكن رغم هذا النسب العربي الصريح ، نجد ان الهمذاني يحاول القدح في نسبهم ، فهو عندما يتحدث عن نصيبين نجده يقول : « نصيبين موضع العقارب وهي دار آل حمدان بن حمدون موالي تغلب(4) » .

لكننا اذا عرفنا ان الهمذاني اعتنق مبدأ القرامطة ، واذا عرفنا ايضا ان ابناء حمدان كانوا سيوفا مسلطة على رقاب القرامطة . ادركنا السبب في هذا القدح ، فلم يجد الهمذاني فيهم منفذا غير تجريح نسبهم(5) .

---

(1) د . مصطفى الشكعة . فنون الشعر
(2) نفس المرجع
(3) ابن خلدون 4-288
(4) الهمذاني - صفة جزيرة العرب 133
(5) دكتور مصطفى الشكعة . فنون الشعر .

كذلك نجد ابن خلدون في موضع آخر ، يقول « ولـم يذكر ابـن حزم هؤلاء البطون في كتاب الجمهرة »(يقصد ال عمر بن الخطاب وآل هرون المغمر وآل حمدان بن حمدون) ووقفت على حاشية في هذا الموضع من كتابه فيما ذكر من هؤلاء الثلاثة كالاستلحاق عليه وقال في بني تغلب :

وقيل انهم موالى بني اسد ومن الواضح ان رواية ابن خلدون قد ساقها على اساس انها خبر غير مؤكد .

وهكذا فان عروبة بني حمدان عروبة خالصة تخلو من دم الموالى والدخلاء ولهذا فاننا نجد ان الشعراء عندما ارادوا مدح الامـراء الحمـدانيين ردوهـم الى اجدادهـم الاوائل ، ونرى امثالا لذلك عندما اراد المتنبي مدح سيف الدولة قال :

من تغلـب الغالبـين النـاس منصبه   ومـن عدى اعـادي الجبـن والبخل(1)

---

(1) دكتور مصطفى الشكعة . سيف الدولة الحمداني ص18

بداية ظهور الحمدانيين على مسرح الاحداث السياسية

عاش الحمدانيون احداث تلك الفترة التي هزت الامبراطورية الاسلامية هزة انتهت الى تمزيقها وظهور دويلات وامارات مستقلة ، اقامها الاتراك والفرس . كما عاصروا ايضا تقلص النفوذ العربي نتيجة سيطرة الدخلاء على الحكم ، فادرك الحمدانيون ان من واجبهم ان يحملوا جزءا من هذا العبء، وان يصونوا التراث العربي في ارض الجزيرة وغيرها . فقد كانت الجزيرة دائمة الاضطراب كثيرة الفتن حيث كان القرامطة ، في ذلك الوقت ، يعيثون في البلاد فساداً ويهزون العقائد هزا عنيفاً .

كذلك كان لتخلي الخلافة العباسية عن العرب وتمكينها للاعاجم في شؤون الدولة ، كما رأينا في الفصل الاول ، دافعا لعرب الجزيرة وبالاخص بنو ربيعه وبنو مضرليحافظوا على استقلالهم(1) .

ولم يبدأ ظهور الحمدانيين على مسرح الاحداث السياسية الا في مطلع النصف الثاني من القرن الثالث الهجري برئاسة زعيمهم حمدان بن حمدون الذي بدأ يلعب دورا هاما وخطيرا على ارض الموصل ، التي شغلت بالفتن والاضطرابات التي اقلقت الخلافة واقضت مضجعها في كثير من الاوقات .

تمتع حمدان بن حمدون بشخصية قوية ، فقد استطاع ان يوحد العشيرة(2) فأصبح مسموع الكلمة، مرهوب الجانب، وكان يخرج بين الحين والحين لحرب البيزنطيين ، فكثيرا ما توغل في ارضهم، فكان يحرر الثغور ويبني الحصون المنيعة والقلاع، حتى انه بنى حول ملطية سورا كلفه 70 الف دينار . ولقد شهد سيف الدولة اسم جده حمدان مكتوبا على سورها عندما دخلها في صحبة ابن عمه ابى العلاء سعيد سنة 313 هـ ، وكان سيف الدولة لا يزال صغير السن ، ثم رآه بعد عشرين عاما مرة اخرى(3)

---

(1) سامي الكيالي 35 ـ سيف وعصر الحمدانيين

(2) احمد ابو حاقة ص 103 ابو فراس الحمداني

(3) شرح ابن خالويه 2-126 ديوان ابو فراس

وكان حمدان الى جانب فروسيته كريما ، فقد قصده اهل الموصل . وديار ربيعة سنتين متتاليتين اجدبت فيهما الارض ، فأمدهم بما يلزمهم ويلزم خيولهم فسمى على اثرها مكايد المحل . قال فيه الشاعر ،

ما زلـت في كبـد المعيشـة جاهدا حتـى أتيت مكابـد المحل
أعطـى وقد بخل الزمـان ولـج في اعطائـه اذ لج في البخـل[1]

واصبح حمدان بن حمدون الفارس الذي بهر أهالي الموصل وديار ربيعة بكرمه وشجاعته ، ورأى حمدان بن حمدون انه احق من هؤلاء الاتراك الدخلاء الاجانب الذين اقحموا انفسهم على المجتمع الاسلامي واستأثروا بالسلطة ، وأنه أولى منهم بأن يكون اميرا مستقلا في جزء من أرض الخلافة العباسية . فأخذ يعد نفسه لتحقيق هذا الهدف ، وخاصة أن لديه المال والرجال والانصار . وسنرى انه لن تقع معركة حربية على ارض الموصل الا ويكون حمدان مشاركا فيها .

اتجه مساور الخارجي في عام252 هـ ومن التف حوله من الاعراب الى الموصل ، وكان عليها اذ ذاك عقبه بن محمد بن جعفر ، ودارت معركة غير حاسمة عاد بعدها مساور دون ان يحقق غرضه[2] . وفي عام254 تقدم أيضـا الى الموصـل مع قواته ، فاستولى في هذه المرة على اكثر اعمالها ، وكان عليها اذ ذاك ايوب التغلبي ، وكان قد أناب عنه ابنه الحسن الذي سار لقتال مساور ومعه حمدان بن حمدون جد الأمراء الحمدانيين ، وعبر مساور نهر الزاب ، وتقابل مساور مع التغلبيين وانتصر عليهم ، ونجا الحسن بن ايوب الى حمره ، واشتد امر مساور وخافه الناس . وتقدم مرة أخرى في العام التالي ، وكان قد أطمعه هزيمة عسكر الموصل امامه في العام الماضي . وفي تلك الفترة كانت الخلافة العباسية مشغولة في المشرق ، حيث قوى أمـر يعقـوب الصفار واستولى على كرمان وفارس[4]

---

(1) شرح ابن خالويه 3-126 ـ

(2) ابن الاثير5-334

(3) ابن الاثير5-339

(4) ابن خلدون 3-294 ـ

وكانت في بغداد فتنة بسبب تولية الخليفة المهتدى(1) كما صادفت هذه الفترة بداية حركة الزنج(2) وفي نفس الوقت تمرد احمد بن عيسى الشيخ على الخلافة بالشام . واستغل مساور كل هذه الظروف والمشاكل التي تواجهها الخلافة ، وتقدم نحو الموصل ونزل بالدير الاعلى(3) ، واستتر حاكمها عبد الله بن سليمان الازدى ، من قبل الخليفة المهتدي ، فدخل مساور البلد بدون حرب ، وأحرق دار الامير ، خاصة وان اهل البلد لم يقفوا الى جانب واليهم لشدة سخطهم عليه ، وأصبح مساور حاكما للموصل الا انه لم يحكم طويلا ، بل عاد الى الحديقة التي جعلها دار هجرته(4)

واجهت الخلافة ذلك المتمرد ، فبعثت اليه بأعظم قوادها ، وهم موسى بن بغا وبايكباك ، الا انهم عادوا ولم ينالوا منه شيئاً .(5) . ونظرا لخطورة الاحوال في الموصل ، وكثرة الاضطرابات بها ، التي ما تلبث ان تهدأ حتى تثور من جديد . عَيَنَّ الخليفة المعتمد احد كبار قواده الاتراك وهو مفلح ، ودارت بينه وبين مساور عدة معارك هزم مفلح في النهاية . فبعث المعتمد بدلا منه اسانكين التركي ، فأناب هذا ابنه اذكوتكين سنة 259 ، الا انه أساء السيرة ، وجهر اصحابه بالفسوق والاعتداء على الاعراض ، حتى أن أهل الموصل عزموا على قتاله وطرده ، فدارت معركة حامية بينهم ، أضطر فيها اذكوتكين الى مغادرة الموصل ، وانتخب الأهالي يحيي بن سليمان أميراً عليهم(6) .

وظل الحال على هذا المنوال حتى ولى اساتكين الهيثم بن عبد الله المعمر التغلبي فخرج قاصدا الموصل ، وكان حينئذ بديار ربيعة ، الا انه لم يستطع دخول الموصل بسبب مقاومة الاهالي له . ولهذا عين اساتكين بدله اسحق بن ايوب التغلبي فخرج في أنصاره وكان يعاضده حمدان بن حمدون ، وبعد معركة دامية استطاع اسحق أن يدخل

---

(1) Muir- the caliphate p. 543

(2) ابو الفداء - المختصر في أخبار البشر 2-26

(3) يقع في الموصل في أعلى جبل يطل على دجلة (مسالك الابصار ابن فضل الله العمري صفحة ص 293

(4) ابن الاثير 5-341

(5) الطبري 7 ابن كثير - البداية والنهاية 11-22

(6) ابن الاثير 5-372

الموصل ، الا انه لم يمكث فيها طويلا حتى طرده الاهالي منها واستقر الامر ليحى بن سليمان[1]

ولم تهدأ الاضطرابات بالموصل حتى ولى الخليفة المعتمد عليها الخضر بن احمد ابن عمر بن الخطاب التغلبي، ارضاء لأهل الموصل، فأصلح الخلل الذي أحدثته الفتن[2] .

وفي عام 266 أعلن اسحق بن كنداج خروجه على الخلافة ، ذلك لان موسى بن بغا ولى موسى بن أنامش ديار ربيعة ،وكان ابن كنداج يطمع فيها ، فسار ابن كنداج نحو الموصل ، وفي طريقه هزم الاكراد اليعقوبيين في بلد ، ولقى ابن مساور الخارجي وقتله[3] وصالح أهل الموصل على مال كانوا قد أعدوه له ، وكان علي بن داود هو القائم بامرها حينئذ ، ولما لم يجد في نفسه القدرة على مواجهة مساور ، تقدم ومعه حمدان بن حمدون الى اسحق بن ايوب ، فاجتمعوا ، وكانت عدتهم خمسة عشر الفا[4] فقصدهم ابن كنداج حينما علم بتجمعهم ، فنازلهم في معركة انتصر فيها ابن كنداج ، وسار حمدان وعلى بن داود الى نيسابور ، وسار ابن ايوب الى نصيبين فتبعه ابن كنداج واستولى عليها ، فأقرّه الخليفة على الموصل[5] .

الا أن الحالة لم تهدأ فقد استنجد ابن ايوب بعيسى بن الشيخ ، ومن الواضح أن حمدان بن حمدون لم يكن يحب أن يتولى امير غيره على الموصل لانه يعتبرها منطقة نفوذ له ، فسار اسحق وعيسى وحمدان لمحاربة ابن كنداج مرة اخرى فهزمهم ايضا وبعثوا اليه يطلبون منه العفو وبذلوا له الاموال ، فأقرّهم على ما بأيديهم[6] .

أما بالنسبة للخوارج فقد توفى زعيمهم مساور بن عبد الحميد في عام 263هـ

---

(1) ابن الاثير5 / 372 « يخالفه ابن خلدون عندما يقول عينوا عليهم اسحق بن أيوب » .
(2) ابن الاثير6-7
(3) الطبري8-49
(4) ابن الاثير6-24
(5) زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة ـ مخطوط بجامعة القاهرة ـ ج5 ورقة 50
(6) طبري8-50 ابن الاثير6-24
(7) طبرى8-34

وكان قد تقدم لقتال عسكر الخلافة بالبوازيج ، وتولى قيادة الخوارج بعده هارون الشاري الذي انشق عليه محمد بن خرزان الخارجي، ونزل بواسط، وتغلب على هارون الذي فرّ منه الى بني تغلب ، فاجتمعوا حوله ونصروه ، وتعقب هارون ـ ابن خرزان حتى هزمه ، واصبح يحكم تلك المنطقة ويجبي خراجها[1] وفي عام 273 هـ تحالف هارون الشاري مع حمدان بن حمدون ودخلا الموصل ، وصلى هارون الجمعة بها[2] .

هذه هي حال الموصل في النصف الاخير من القرن الثالث الهجري : فقد اصبحت منطقة مضطربة بالفتن والانقسامات بين ذوي الأطماع ، لكثرة خيراتها من جهة ولكثرة القبائل العربية بها ، ولاختلاف طبائع هذه القبائل وميولها وأهوائها مما كان له أثر بعيد في اشعال نار الفتنة التي لم تهدأ ابدا الا على ايام حكم بني حمدان .

تقدمت بنو شيبان وهي القبيلة الكثيرة العدد ، والتي ينظر اليها حمدان بن حمدون بعين الحذر ، اذ يعتبرها منافسة لقبيلته لكثرة رجالها ، فعمل جهده على اضعاف هذه القبيلة بأي وسيلة ممكنة ، وعاثت قبيلة بنو شيبان بأعمال الموصل فتصدى لها هارون الشاربي وحمدان بن حمدون ، الا أن شيبان حققت عليهم نصراً مؤزرا فسلبت ونهبت ما راق لها[3] .

واستمر حبل الفتن متصلا ، حتى دب النزاع بين ابي الساج واسحق بن كنداج ، وكانوا في حلف مع الموفق للاطاحة بحكم ابن طولون في الشام ، الا أن خمارويه هزمهم[4] . ولما افترقت كلمتهم انتهى صراعهم بانتصار محمد بن ابي الساج الذي تقرب من خمارويه ، واستولى على ماردين والجزيرة والموصل ، وخطب لخمارويه ابن أحمد بن طولون ثم خطب لنفسه[5] .

ولم يلبث ابن ابي الساج حتى طمع في ولايته واستأثر بها لنفسه فاستوحش منه

---

(1) ابن الاثير 6-15

(2) ابن تغرى بردى النجوم الزاهرة 3-67 ابن خلدون العبر 3-347

(3) ابن الاثير الكامل 6 / 60-61

(4) النجوم الزاهرة 3 / 51

(5) زبدة الفكرة ـ مخطوط مصور بجامعة القاهرة 5 / 86

خمارويه(1) فكانت فرصة سانحة لابن كنداج وطلب مساعدة الخليفة وشجعه على مهاجمة ابن ابي الساج ونجح ابن كنداج في هزيمة ابن ابي الساج ، ثم استولى على الموصل وديار ربيعة وديار مضر من ارض الجزيرة ، وعادت كلها الى طاعة الخليفة ، وكان النائب عنه بها اسحق بن كنداج في عام275 هـ . الا أن اسحق توفى وخلفه ابنه محمد على ولاية الموصل سنة278 (2) وبعث محمد هذا هارون بن سليمان الى ولاية الموصل نائبا عنه ، ولكنه لقى مقاومة شديدة من اهل الموصل اذ منعوه من دخول البلدة فرجع هارون عنها واستنجد ببني شيبان فنصروه ، وتقدموا نحو الموصل ، فنهض حمدان بن حمدون ليحقق رغبته القديمة في هزيمة شيبان ، ونهضت معه عامة اهل الموصل وأعيانها ، وكان معهم هارون الشاري ، والجميع يكرهون ابن كنداج وواليه الذي بعثه عليهم . واشتبكوا في معركة حامية هزمت فيها بنو شيبان ، فتبعهم حمدان بن حمدون والخوارج ونهبوا وسلبوا ، وبينما هم كذلك عاودت شيبان غارتها على المواصلة فانتصرت عليهم وشتتهم .

ونتيجة لهذا النصر الذي حققته شيبان ، ومعها هارون بن سليمان ، كتب الى ابن كنداج يدعوه بالقدوم الى الموصل لاستفحال الفتنة بها ، وأخبره أن الزمام سيفلت من يده ان لم يقدم ، الا أن أهل الموصل ولوا عليهم محمد بن المجروح الذي وصل قبل ابن كنداج ، فاقره الخليفة واستمر يحكم حتى استبدله الخليفة المعتضد بعلي بن داود بن رهزاز الكردي(3) فقال الشاعر العجيني بهذه المناسبة :

ما رأى الناس لهذا الدهر مذ كانوا شبيها
ذلت الموصل حتى أمّر الاكراد فيها(4)

وبعد هذا الاستعراض السريع للاحداث الحربية التي وقعت على ارض

(1) ابن الاثير . الكامل6-63

(2) ابن الاثير . الكامل 6 / 64 - 71

(3) زبدة الفكرة5-100

(4) ابن الاثير . الكامل 6 / 73

الموصل ، وقد شاركت الاسرة الحمدانية مشاركة فعالة في احداثها ، نشير الى نتائج هذا التطاحن وهذه الفتن والاضطرابات :

في الحقيقة أن نتيجة هذا الصراع والفتن التي شهدتها منطقة الموصل والجزيرة لم تختلف عن نتيجة الفتن والحروب الاهلية التي تحدث في أي مكان أو زمان فكلها تؤدي الى الخراب والدمار ، حيث يجد الأهالي أنفسهم في شغل شاغل عن زراعاتهم وصناعتهم ، وتجارتهم ، فيترتب على هذا ضعف المورد الاقتصادي . وهذا ما حدث في تلك المنطقة فعلا ، فقلت الأموال التي توردها الى الخلافة ، فتنبهت الخلافة الى ذلك واشتد اهتمامها وخاصة أن ميرة بغداد كانت تأتي من الموصل ، وسنرى أن الخليفة سيخرج بنفسه اليها ليخمد تلك الفتن التي تعطي العدو البيزنطي الرابض على الحدود الشمالية فرصة التدخل في شؤون تلك المنطقة المضطربة واحتلال حصونها وثغورها .

ولنا أن نتساءل لماذا كل هذا التطاحن على ارض الموصل بالذات ؟ تعتبر الموصل قاعدة لديار ربيعة على ضفة دجلة الغربية ذات الاراضي الخصيبة ، ولقد عظم شأن هذه المنطقة أيام بني أمية ، حيث كانوا يولون عليها من ثبت عندهم حبه للاصلاح والعمران(1) ونصب في تلك المنطقة في ذلك الوقت على دجلة جسر يربط المدينة التي في الجانب الغربي بخرائب نينوى في الجانب الشرقي ، وأصبحت الموصل في عهد مروان الثاني ، آخر خلفاء بني أمية ، قاعدة اقليم الجزيرة(2) وبنى مروان فيها الجامع الذي عرف فيما بعد باسم الجامع العتيق(3) . ولقد وصف ابن حوقل المدينة وقد زارها في عام 358 هـ بانها بلدة طيبة عامرة الأسواق نواحيها، وبساتينها كثيرة الخيرات وكان جل أهلها من الاكراد(4) . وقال المقدسي« بلد جليل . . . حسن الاسواق والفنادق ومنه أميرة بغداد واليها قبائل الرحاب »(5) .

---

(1) الموصل في العهد الاتابكى ص6 وما بعدها .

(2) نفس المرجع

(3) فتحى عثمان ـ ص149 ـ الحدود الاسلامية البيزنطية

(4) ابن حوقل ص217 . صورة الارض

(5) المقدسي ص137 . احسن التقاسيم

وكذلك زارها الرحالة ابن جبير في حوالي عام580 هـ فوصفها بأنها « من المرافق الحربية وفي أعلى البلد قلعة منيعة قد رصّ بناؤها رصا ينتظمها سور عتيق مشيد الروج[1] . أما ياقوت فيقول عنها « هي المدينة المشهورة العظيمة احدى قواعد بلاد الاسلام قليلة النظير كبراً وعظماً وكثرة خلق وسعة رقعة فهي محط رحال الركبان ومنها يقصد الى جميع البلدان فهي باب العراق ومفتاح خراسان ومنها يقصد الى آذربيجان وكثيراً ما سمعت أن بلدان الدنيا العظام ثلاثة . نيسابور لأنها باب الشرق ودمشق لأنها باب الغرب والموصل لأن القاصد الى الجهتين قل ما لا يمر بها[2] .

ولقد سكنت الموصل كثيرا من القبائل العربية التي شاركت في الفتح مثل اياد والنمر وتغلب[3] وظلت الهجرات تتوافد عليها حتى أمر عمر بن الخطاب في النهاية بتوزيع اراضي تلك المناطق عليهم ليستقروا بها[4] . ولقد تشبعت هذه القبائل بمبادىء الخوارج وافكار القرامطة ، فقد دخل في جماعة القرامطة كثير من القبائل امثال بني عجل وهم من ربيعة ورقاعة وكذلك من بكر بن وائل ، ولم يبق في البطون المتصلة بالكوفة بطن الا دخل في جماعة القرامطة ودخل كذلك بنو عياش وبنو عنز وتميم[5] ولذلك أصبحت تلك المنطقة بؤرة للفتن ومركز حركات العصيان ضد الخلافة في أوقات متعددة .

ويقول صاحب العقد الفريد ، ان منطقة الجزيرة خارجية لانها مسكن ربيعة وهي رأس كل فتنة واكثرها نصارى وخوارج[6] .

ويحدثنا المرحوم الاستاذ احمد امين بان اكثر من اعتنق مبدأ الخوارج كانوا عربا بدوا ، وانضم اليهم بعض الموالى اعجابا برأيهم الديموقراطي في الخلافة ، وقد اشتهر الخوارج بالتشدد في العبادة والاخلاص للعقيدة والشجاعة النادرة .

---

(1) رحلة ابن جبير ص213

(2) ياقوت . معجم البلدان عن فتحى عثمان ص150

(3) الموصل في العهد الاتابكى ص7

(4) Encycl-of Islam vol .p.6.9

(5) كنز الدرر وجامع الغرر مخطوط مصور بدار الكتب

(6) العقد الفريد6-248

وتعتبر قبيلة بني شيبان من بين القبائلِ البارزة التي سكنت منطقة الموصـل في الزاوية الشمالية الشرقية فعاثت فيها فسادا حتى ان الخليفة خرج بنفسه لاخماد فتنتها واخذ منهم الرهائن، ومن القبائل الاخرى بني قشير وبني نمير وبني كلب(1) أما تغلب فقد كانت تسكن قرب الموصل ويقال لتغلب الغرير وفروعها البوحمدان وبنو حسين وبنو دوله وبنو عياش وبنو شهوان والبو نجمه(2) . كذلك قبيلة تميم التي كانت تسكن غرب البصرة اي في البادية(3)

هذه هي أهم القبائل العربية الى جانب بنو اسامة وبنو ثعلبة وبنـو خزاعـه(4) وكانت هذه القبائل لا تزال تحافظ على عاداتهـا البدوية القديمـة ، من حب السيطـرة والسيادة وخوض الحروب ، والمغامرات ، كما انه كان لكثرتها واختلافها في الاخلاق والامال سببا مباشرا لما نشب بينهما من الصراع والنزاع الدائم حتى أننا نجد ان الموصل لم تتمتع بالاستقرار الا على ايدي أمرائها من بني حمدان ، وذلك نتيجة كثرة الطامعين والمنشقـين عن الخلافة، الراغبـين في الاستئثار بمـوارد الموصل، التـي كانـت تقدر بستة ملايين وثلاثمائة الف درهم(5) وكانت الموصل تقدم في عهد المأمون عشرين الف رطل من العسل الابيض واربعة وعشرين مليون درهم(6) ولم تشتهر تلك المناطق بالحقب والثراء في الزمن الماضي فحسب بل لا تزال حتى الان غنية بمواردهـا الـطبيعية من النفط ..

في هذا الجو المضطرب وعلى تلك الارض الثائرة سنرى ان حمدان بن حمـدون يعلن استقلاله في قلعة ماردين بارض الموصل ، مستغلا الظروف السيئة التي تواجهها الخلافة ، من تحركات القرامطة والخوارج ، وازدياد الحركة الشيعية التي بدأت تنتشر وتكون خطراً هاماً على الخلافة العباسية .

---

(1) ابن حوقل ص228 صورة الأرض
(2) سليمان الصائغ الموصل 1-51
(3) الاصطخري ـ22 المسالك والمالك
(4) سليمان الصائغ ـ تاريخ الموصل
(5) ابن خرداذبه ص245 ـ المسالك والممالك
(6) سيف الدولة وعصر الحمدانيين ـ سامي كيالي حاشية ص41

حمدان بن حمدون وعلاقته بالخلافة

رأينا كيف ان حمدان جدّ الامراء الحمدانيين كان له يد في أحداث الموصل ورأينا كذلك انه لم يكن يؤيد في حروبه جهة واحدة ، بل كان يحارب وفق مصلحته ومصلحة قبيلته . وكان يعد نفسه لزعامة خطيرة ساعدته عليه قوة شخصيته وكثرة ابنائه وشجاعته ووفرة الاموال واضطراب الاحوال الداخلية في الدولة العباسية وضعف الخلفاء .

اقدم حمدان على تلك الخطوة التي أعد نفسه لها ، فأعلن استقلاله في قلعة ماردين بالموصل عام282 هـ(1) ولكن لسوء حظه كان المتربع على عرش الخلافة في ذلك الوقت هو الخليفة المعتضد الذي أراد أن يرأب الصدع وان ينهض بهذه الدولة الكبيرة وأن يعيد لها رونقها وبهاءها بكل ما في نفسه من الحزم وسمات القوة والشجاعة وكان شهما عاقلا(2) . لكن رغم هذه الصفات فقد كان قليل الرحمة حتى سمى السفاح الثاني(3) .

كذلك اعلن بنو شيبان عصيانهم في نفس الوقت الذي اعلن فيه حمدان استقلاله ، فهب المعتضد من فوره على رأس قواته للقضاء على فتنة بني شيبان اولا ، وليقضي على الاستقلال الذي أعلنه حمدان من جهة ثانية ، وتقدم المعتضد الى الموصل ، ولما علم اعراب بني شيبان بمسير المعتضد اليهم ، تحالفوا مع الاكراد على أن يقتتلوا على دم واحد ، وتقدم المعتضد ودارت بينهم معركة دامية انتصر فيها الخليفة(4) وظل الخليفة في أثرهم حتى أغرق كثيرا منهم في نهر الزاب(5) . . ثم اتجه المعتضد الى قلعة ماردين حيث حمدان بن حمدون ، فلما علم هذا بمسيرة الخليفة اليه هرب ليلا تاركا ابنه الحسين بها والذي دافع عنها دفاع الابطال مما اضطر الخليفة الى العودة الى الموصل لحشد قواته والاستعداد للقتال(6) ثم كتب المعتضد وهو بالموصل الى حمدان بن حمدون واسحق

(1) الطبري . تاريخ الرسل والملوك8-169 ابن كثير ـ البداية والنهاية11-70

(2) ابن طباطبا . الفخري348

(3) السيوطي ـ الخلفاء ص369

(4) دائرة المعارف للبستاني مادة حمدان

(5) الكامل في تاريخ ـ لابن الاثير6-77

(6) سامي الكيالي ـ سيف الدولة وعصر الحمدانيين ص35

ابن أيوب التغلبي[1] وفي الغالب أنه كان يريد الوقوف على مدى عصيان حمدان بن حمدون ثم إنه كان في حاجة اليهم لاخماد الفتن المضطرمة في انحاء الدولة ، فما كان من اسحاق بن ايوب التغلبي الا ان بادر فأجاب طلب الخليفة ، ولكن حمدان امتنع وتحصن في قلاعه[2] ، فأدرك المعتضد ان حمدان بن حمدون يريد اقتطاع جزء هام من اراضي الدولة ليعلن فيه استقلاله ، فحشد الجيش ، وكان على رأسه وصيف موشكير ونصر القشوري وغيرهما . فصادفا الحسن بن علي كوره متحصناً بمكان يقال له « الزعفران »[3] من أرض الموصل ، وكان في القلعة اذ ذاك الحسين بن حمدان الذي طلب الأمان لنفسه[4] عندما رأى قوات ضخمة تتقدم نحوه ، وسلم القلعة للخليفة وأمر بهدمها ونقل ما فيها من متاع وأثاث ، فهدمت القلعة[5] .

ولا نستبعد ان يكون حمدان بن حمدون قد اوعز الى ابنه الحسين بمصانعة الخليفة المعتضد حتى ينال عنده بالحيلة ما اخفقت القوة في تحقيقه الى حين[6] .

ولقد صح رأى حمدان بن حمدون لأننا سنجد ان الحسين بن حمدان سيصبح من كبار قادة الدولة في عهد المعتضد والمكتفي والمقتدر .

وبعد أن هدمت القلعة امر الخليفة بالقاء القبض على حمدان بن حمدون ، فتبعه وصيف موشكير ، ولكن حمدان فرّ ليلا ونزل بموقع يعرف بباسورين[7] (جوار الموصل شرقي دجلة) فعبر أصحاب وصيف اليه ، فالقى حمدان بنفسه في زورق كان معدا له في نهر دجلة وحمل معه مالا ، وعبر الى الجانب الغربي من دجلة[8] ثم عبر في اثره نفر يسير من الجند ، حتى أشرفوا على نواحي الدير الذي ينزل فيه حمدان ، فلما شعر بهم

---

(1) زبدة الفكرة5-107 الطبري . تاريخ الرسل والمملوك8-170

(2) المسعودي . مروج الذهب4-180 البداية11-70

(3) ابن فضل الله العمري ـ مسالك الابصار1-255

(4) زبدة الفكرة5-107

(5) ابن العبري مختصر الدول ص261 ـ الطبري8-169

(6) علي الجارم . فارس بني حمدان ص22

(7) الطبري8-170 ؛ (ناحية من اعمال الموصل شرق دجلة)

(8) ابن الاثير6-79 ياقوت معجم البلدان1-467

علاقة ابناء حمدان بالخلافة

اولا : الحسين بن حمدان :

رأينا كيف ان حمدان بن حمدون وقع أخيرا في قبضة الخليفة حيث اودع السجن ، بعد أن شهدت ارض الموصل معاركه وجولاته . وعلى أثر هذا شعر المعتضد بالأمن اذ قضى على ثورة الزنج . كما أضعف شوكة القرامطة بعد أن قبض على احد زعمائهم وهو ابو الفوارس[1] كما اخمد فتن الاعراب التي ثارت بالموصل .

الا أن هذا الهدوء الذي أعقب العاصفة لم يلبث أن تبدد ، فقد تحرك الخوارج في الموصل بقيادة هارون الشاري الخارجي الذي اعلن عصيانه على الخلافة ،ولم تتمكن الدولة من القضاء عليه اذ التف حوله رجال اشداء متمرسون على القتال .

وقف المعتضد امام هذا الثائر عاجزا فبحث بين قواده عمن يعهد اليه بقتاله فلم يجد خيرا من الحسين بن حمدان ولا اصلب عودا منه فهو يريد ان يضرب الحديد بالحديد .

ولقد استهدف المعتضد من وراء اختيار هذا القائد استمالة الاسرة الحمدانية واتخاذها درعا له في الشمال . وقد رأينا مدى اهمية تلك المنطقة بالنسبة للخلافة كما اراد وضع حدّ لتحالفهم القديم مع هارون الشاري الا ان الحسين تردد في قبول هذه المهمة لأن والده كان لا يزال حبيس قيوده في السجن .

وفي النهاية رأى الحسين أن من الحكمة قبول المهمة لما كان في نفسه من تطلعات وآمال ، فهو يريد ان يكسب مركزا مرموقا عند الخلافة . ولكي يخفف من الحقد الذي تكنه الخلافة على أبيه ، ففرض الحسين شروط قبوله المهمة قائلا للخليفة « ان انا جئت به الى أمير المؤمنين فلي ثلاث حوائج فقال اذكرها قال اولاها « اطلاق ابي قال

---

(1) المسعودي مروج الذ ــ4-170

وحاجتان اذكرهما بعد مجيئي به اليك » فقال له امض لك ذلك[1] .

فانتخب الحسين بنفسه ثلاثمائة فارس ، وكان من بينهم وصيف موشكير فأمره الخليفة باطاعة الحسين بن حمدان[2] ومن الجدير بالذكر ان وصيف هذا كان من ضمن القادة الذين تعقبوا والده .

وسار الحسين بن حمدان في أثر هارون الشاري حتى انتهوا الى مخاضه ، فقال الحسين لوصيف « ليس لهارون طريق ان هرب غير هذا فلا تبرحن من هذا الموضع حتى يمر بك هارون فتمنعه من العبور واجيئك انا او يبلغك اني قتلت »[3] .

ومضى الحسين متعقباً هارون ، الا ان وصيفا وأصحابه طال انتظارهم فتتبعوا الحسين ، وكان حينئذ قد هزم هارون امام الحسين وفرّ الى المخاضة وعبرها بسهولة ،لان الحسد كان قد دب في صدور وصيف واصحابه . وتتبع الحسين هارون الى المخاضة، وكان يتوقع ان يكون وصيف قد القى عليه القبض ولكن خاب امله ، فقد عبر هارون دون ان يجد أية صعوبة ، فما ان قارب الحسين المخاضة حتى غضب غضبا شديدا حينما علم ان وصيفاً قد غادر المخاضة ، وظل يطارد هارون ويوقع به الهزيمة تلو الاخرى ، فناشده الشاري وتوعده ، فابى الحسين الا قتاله ،حتى قيل ان الحسين بن حمدان القى بنفسه على هارون واسره وسلمه الى المعتضد بغير سلم او أمان[4] .

خلع المعتضد على الحسين بن حمدان خلعا شرفه بها وطوقه بطوق من ذهب ، وخلع على جماعة من رؤساء اصحابه واخوانه واهله لحسن بلائهم[5] ولقد نفذ المعتضد مطالب الحسين ، فاطلق سراح والده من السجن ، وازال الاتاوة عن بني تغلب ، واثبت خمسمائة فارس منهم ينضمون اليه[6] ودخل هارون العاصمة بعد ذلك ممتطيا

---

(1) زبدة الفكرة5-110

(2) طبري8-373

(3) طبري8-373

(4) طبري8-373

(5) المسعودي . مروج الذهب4-188

(6) شرح ابن خالويه ديوان ابو فراس2-128

ظهر فيل وعليه دراعة ديباج ، وعلى رأسه برنس طويل ، في اثر الحسين بن حمدان[1] . وما ان وصل هارون الى بغداد حتى امر الخليفة بصلبه[2] فصاح هارون الشاري « لا حكم الا لله ولو كره المشركون[3] » ، وهكذا انقذ الحسين بن حمدان الخلافة من عدوّ قوي الشكيمة فهدأت منطقة الموصل لفترة من الزمن .

ولنا ان نتساءل عن اثر معركة الحسين بن حمدان ضد هارون الشاري ؟ لقد كان لهذه المعركة اثار حسنة ونتائج طيبة فالخلافة عندما قضت على هارون الشاري بمعاونة الحمدانيين ، فقد رمت عصفورين بحجر واحد ، فتخلصت من عدو عنيد من اعدائها كان قد عاث فسادا في الأرض التي تعتمد عليها بغداد في ميرتها كما كسبت الخلافة الاسرة الحمدانية الى جانبها .

ومن الجدير بالذكر ان الموصل كانت تشترك في الحدود مع عدو متربص متيقظ يريد الانقضاض حين تتاح له الفرصة اي البيزنطيون فما دامت المنطقة المجاورة له مستقرة فلا يجرؤ هذا العدو على التقدم نحو دولة الخلافة كما انه بعد هذه المعركة نرى ان الحمدانيين يبدأون دورا جديدا اذ أصبحوا في خدمة الخلفاء حتى ولوهم المناصب الهامة والمراكز العليا ، فولوهم على الموصل فاستقلوا بها ، ثم وسعوا نطاق حكمهم الى ديار ربيعة وبكر والجزيرة كما سنرى ولكن الاهم من هذا كله ان الخلافة ما كادت تتنفس الصعداء بعد القضاء على ثورة الزنج حتى اصيبت البلاد بكارثة اكبر واعصار مدمر اعني بها تلك الحركة الدينية التي ما لبثت ان تطورت الى حركة سياسية انطلقت كالمارد الجبار فاحرقت البلاد واذلت العباد وقطعت طرق القوافل والحجاج ، اعني بها حركة القرامطة التي استغل دعاتها الاثار الاقتصادية السيئة التي خلفتها ثورة الزنج فاعتنق كثير من البدو مبادىء القرامطة كما رأينا آنفا ، وسنرى ان الحمدانيين سيلعبون دورا هاما في اضعاف حركة القرامطة وغيرها من حركات الخوارج والمتمردين .

---

(1) طبري 8-273

(2) ابن كثير . البداية والنهاية 11 -73

(3) زبدة الفكرة 5-110

الحسين بن حمدان والقرامطة : - (ظهور القرامطة حاشية)

انتشرت حركة القرامطة في الشام والعراق والبحرين ، واخذت تكون لها حركة وشخصية مستقلة ، حتى نجحت في النهاية في تنظيم صفوفها ، وتكوين جيش قوي ، استطاعت به ان تغير على بلدان الخلافة ، وتحرق وتدمر وتسبي . ولقد شارك هذه الحركة في الضغط على الخلافة العباسية تلك الحركة الشيعية التي بدأت هي الأخرى في الانتشار والتوسع ، وكانت بطبيعة الحال تسير في خط مضاد للدولة العباسية السنية . وما دام القرامطة ساخطين ايضا على الدولة العباسية فسنجد ان هاتين الحركتين تقفان في صف واحد ضد العباسيين الذين اخذت خلافتهم في الضعف والانهيار .

كما ان القرامطة ارتبطوا بالفاطميين في بعض المبادىء فكان القرامطة ينادون بمبادىء الشيعة الاسماعيلية(1) . كما كان القرامطة احيانا موالين للفاطميين .

تولى المكتفي الخلافة بعد ابيه في عام285 هـ وحاول جاهدا القضاء على الفتنة في ارجاء الخلافة العباسية ، كما حاول المحافظة على قوة الدولة ، ولكن الاخطار كانت اكبر منه ، وما لبثت أن نمت وزادت في عهد ابنه المكتفي ، وكان أعظمها خطرا حركة القرامطة . وسار المكتفي على سيرة أبيه في الاستعانة بآل حمدان الذين ينتمون الى قبيلة تغلب العربية ذات الوزن الكبير في الموصل والجزيرة ، فرأى المكتفي أن يستعين بهم كما استعان والده بهم في قتال الخوارج ، فأستعان المكتفي بنفس القائد الحمداني الذي أسر هارون الشاري .

تقدم القرامطة نحو الشام ، يقتلون ويسبون ، ويحرقون القرى ، حتى قابلهم محمد بن طغج نائب دمشق عن الطولونيين في مصر ، الا أن الاخشيد لقي هزيمة مروعة ، كما قتل في المعركة يحيى بن زكرويه القرمطي(2) . فخلفه أخوه الحسين في زعامة القرامطة وتلقب بصاحب الشامة(3) ، وتقدم صاحب الشامة فأخضع دمشق،

---

(1) ابن كثير . البداية والنهاية 11 -96

(2) ابن تغري بردى : النجوم الزاهرة3 / 131

(3) ابن كثير : البداية والنهاية11 / 93

وسار منها الى حمص وحماة ومعرة النعمان[1] فكانت المدن تسقط في يده الواحدة تلو الاخرى ، فما يحل بمدينة الا ويحل بها الخراب والتدمير والسلب والنهب ، فلا يتركها إلا وهي بلقعا لا حياة فيها .

فضج أهل الشام وقدموا شكواهم الى الخليفة لما حل بهم على أيدي القرامطة ، فبعث قائده أبو الاغر ، الا أنه هزم امام القرامطة واستباحوا عسكره[2] فلم ير الخليفة بدا من الخروج بنفسه على رأس الجيش للقضاء على هذه الحركة التي أخذت تنشب أظفارها في جسم الدولة . فكان الخليفة يقول « المبادرة في هذا أفضل »[3] . . . وتولى قيادة الجيش محمد بن سليمان والحسين بن حمدان ، ونزل الخليفة بالرقة ، والتقى الطرفان في معركة دامية ، أسفرت عن هزيمة مروعة لحقت بالقرامطة ، ونصر مؤزر للخليفة . وفي هذه المعركة أسر زعيم القرامطة وحملوه الى الرقة حيث كان يقيم الخليفة . ومن هناك بعثوا به الى بغداد حيث أعدم[4] . ولقد أبلى الحسين بن حمدان في هذه المعركة بلاء عظيماً ، بشهادة القائد محمد بن سليمان حين كتب الى الوزير بالفتح فكتب : « بسم الله الرحمن الرحيم . تقدمت كتبي الى الوزير أعزه الله . . . . في خبر القرمطي اللعين وأشياعه . . . فقصد الحسين بن حمدان وهو في جناح الميمنة فاستقبلهم الحسين بارك الله عليه وأحسن جزاءه . . . فهزمت القرامطة وعاود الكفار الحمل عليهم . . . فصرع من الكفار والفجرة ستمائة فارس أول دفعة وأخذ أصحاب الحسين خمسمائة فرس وأربعمائة طوق فضة وولوا مدبرين مغلوبين واتبعهم الحسين بن حمدان فرجعوا عليه . . . . الا أنه هزمهم . . . واحتاج الى أن يتقدم الوزير بالكتابة الى جميع القواد وسائر البطون من أعراب بني شيبان وتغلب وبني تميم يجزيهم الله جميعاً الخير على ما كان في هذه الوقعة »[5] .

وخلع الخليفة على الحسين بن حمدان واصحابه[3] ولكن رغم انتصار العباسيين

---

(1) ابن العماد : شذرات الذهب2 / 207

(2) ابن الاثير6 / 105

(3) ابن تغري بردى : النجوم الزاهرة3 / 105

(4) طبري : 8-226

(5) نفس المصدر

(6) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة3-108

فان خطر القرامطة لم ينته ، لان زكرويه واصل الفتنة بعد ان بعث احد اتباعه لاستنهاض القبائل العربية بالشام فالتفت حوله طوائف من الاصبغيين والعليصيين وصعاليك كلب[1] ، وقصدوا جميعا الى الشام ، وكان واليها اذ ذاك هو احمد بن كيغلغ الذي كان مشغولا في حرب الخلنجي بمصر ، فقابلهم نائبه صالح بن الفضل وانتهى الامر بهزيمة صالح[2] وواصل القرامطة تقدمهم نحو الشام ، فاستولوا على جزء كبير منها ، فانفذ الخليفة لقتالهم الحسين بن حمدان مرة اخرى ، فلما علم القرامطة بوصول الحسين بن حمدان الى دمشق ، انحازوا نحو السماوه* ، وظل الحسين بن حمدان يتبعهم من مكان الى آخر ، فكانوا يغورون المياه خلفهم ، حتى توقف الحسين عن تتبعهم لقلة الماء . فلما علم الخليفة بذلك انفذ محمد بن اسحق بن كنداج ومعه المؤن والمياه ، وكتب الخليفة الى الحسين بن حمدان ان يوافيهم ، وان يقوموا بتطويق القرامطة ، فلما فطن القرامطة الى هذه الخطة انقسموا على انفسهم وافترقت كلمتهم ، وقتلوا زعيمهم نصر ، وبعثوا برأسه الى بغداد ، فعفا الخليفة عن الفريق الذي قتله ، واستقر هذا الفريق عند عين الثمر[3] ، اما الفريق الآخر فقد ظل على عناده حتى وافتهم قوات الخلافة وتعقبتهم حتى قضت عليهم وشتتتهم ، والتقى ابن حمدان بفريق منهم كان قد فرّ الى بلاد الشام فانزل بهم القتل[4] ، وبعث برجل اسمه الكيالي ومعه ستون رجلا من اصحابه كانوا قد استسلموا الى الحسين فبعث بهم الى بغداد[5] .

وهكذا ضعف امر القرامطة بعد ان القي القبض على زعمائهم وكان من بينهم زكرويه ومن معه من كبار زعماء القرامطة حيث بعث بهم الى بغداد واعدموا هناك[6] .
وبموت زكرويه تخلصت الخلافة من اشهر زعماء حركة القرامطة التي اهلكت الحرث والنسل وابتزت اموال البلاد .

---

(1) ابن الاثير 6-113
(2) زبدة الفكرة 5-139
(*) ياقوت : معجم البلدان 3-131 .
(3) كنز الدرر وجامع الغرر (مخطوط مصور بدار الكتب) 6-56
(4) كنز الدرر مخطوط مصور 6-56
(5) طبري 8-248
(6) ابن الاثير 6-116 ـ طبري 8-236

وما ان فرغ الحسين بن حمدان ومحمد بن سليمان من محاربة القرامطة حتى وافتهم كتب الخليفة بالتوجه الى مصر(1) . وكان قد وقف على ما بها من الانقسام والضعف في البيت المالك هناك ، فوجد المكتفي انها فرصة لاعادة اغنى بقاع امبراطوريته الى أحضانها ، وكان ولاة الطولونيين بالشام قد كاتبوا الخليفة بالامر واطلعوه على الفساد والصراع الموجودين في بلاد الطولونيين(2) .

تقدمت قوات الجيش ، وعلى رأسها محمد بن سليمان والحسين بن حمدان بقواته التي اخضعت الخوارج واخضعت القرامطة من قبل ، فلما علم هارون بن خمارويه بمسير قوات الخلافة خرج على رأس قواته لمنع تقدمها ، لكنه لم يلبث ان لقي مصرعه على يد احد اقربائه(3) . ولقد كان لقتل هارون اثر سيء في نفوس قادة الجيش واستنكروا هذا العمل الاجرامي ، وكاتبوا الحسين بن حمدان وطالبوه بالامان لانفسهم وحثوه على التقدم الى الفسطاط(4) ، ولكن يمكن القول ان هؤلاء القواد الذين كاتبوا ابن حمدان قد شعروا بضعف الدولة الطولونية وانها ذاهبة لا محالة ، فحاولوا بهذه الطريقة أن يستفيدوا من هذا الموقف مستقبلا ، كما ان البلاد كانت في حاجة الى من ينظمها وخاصة ان الفتن بدأت تستفحل . ومن جهة اخرى كان الخطر الفاطمي الزاحف من الغرب قد اصبح وشيك الوقوع .

ورأت الخلافة ان تواجه الموقف وخاصة ان المكتفي نهج سيرة ابيه واجداده في اعادة الدولة الى بهائها وقوتها الاولى ، ولكن الوقت كان متأخرا وضاعت الفرصة ، وان كان المكتفي قد نجح نجاحا جزئيا لقصر المدة التي تربع فيها على عرش الخلافة .

وتقدم الحسين بن حمدان نحو الفسطاط ، وخرج شيبان للقائه وانتهى الامر بان وقع شيبان مع محمد بن سليمان وثيقة صلح(5) ،لكن العساكر لم تعلم بهذا الصلح ، ولذا

---

(1) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة 3-109

(2) ابن خلدون 3-355 .

(3) الكندي ، الولاة والقضاة ص 244 .

(4) نفس المصدر

(5) ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة 3-135 .

حدث في اليوم التالي ان اشتبك الجيشان ، وانهزمت قوات الطولونيين ، ودخل جنود الخلافة الفسطاط فدمروها ونهبوا وسلبوا كل ما فيها من متاع واثاث حتى امر الخليفة بنقل آل طولون الى بغداد(1) .

ولكن الحسين بن حمدان بعد ان تحقق له النصر لم يعد مع قوات الخلافة ، بل استقر في مصر ، الا ان هذا الاستقرار لم يطل ، بل عاد محملا بالاسلاب والغنائم(2) . ومن الملاحظ ان الحسين بن حمدان كان كغيره من قادة الجيش لا يريد الابتعاد عن مركز الخلافة حتى يحافظ على مركزه ونفوذه .

ولعب الحسين بن حمدان دورا آخرا في خدمة الخلافة ، يختلف عن الادوار الاخرى ، اما هذا الدور الجديد فهو اخماد الفتن التي حاولت اثارتها بعض القبائل العربية المنتشرة في ربوع الدولة . فقد حاول بنو تميم واسد العبث والفساد والسلب والنهب ، الا ان الحسين بن حمدان اصطدم معهم في معركة حربية لم يكتب له النصر فيها(3) فقد طاردته القبائل حتى ابواب حلب ، التي لم يمكث بها طويلا حتى عزله الخليفة(4) عنها وقد شجع هذا النصر قبيلة تميم على الاغارة على حلب ومكنتها قوتها من السلب والنهب وكان واليها اذ ذاك « ذكا » فاستنجد بالخليفة الذي لم يلبث أن كلف الحسين بن حمدان بنجدة والي حلب ، فسار بقواته التي أصبحت سيفا مسلطا على رقاب الثارين والمنشقين ، وقضى على الفتنة ومثيريها وعاد الى الرحبة ولم يجتمع بوالي حلب(5) .

وفي تلك الفترة توفي المكتفي وهو آخر الخلفاء الذين حاولوا ان يعيدوا للخلافة هيبتها وسطوتها ، وسيتولى بعده سلسلة من الخلفاء الضعفاء ، لا حول لهم ولا قوة امام الدخلاء والقادة الاتراك والحاشية .

---

(1) النجوم الزاهرة 3-137 .

(2) شرح ابن خالويه - ديوان ابو فراس 2/ 129 - 130

(3) طبري 8-249

(4) زبدة الحلب في تاريخ حلب 1-89 - تحف الانباء في تاريخ حلب الشهباء ص25 .

(5) تحف الانباء ص26 .

تولى المقتدر الخلافة بايحاء من الاتراك الذين ضاقوا ذرعا بتولي الخلفاء الاكفاء الاوائل الذين ضربوا بيد من حديد على تسلطهم حتى تقلصت سلطاتهم ، فولوا المقتدر وكان حدثا لم يتجاوز سن الرشد وهم عارفون بالنتيجة التي تترتب عليها هذه الخطوة ، فقد تدخلت النساء في الحكم واصبح قولهن الفصل في كثيرمن الامور .

كان هذا ما يحدث في بلاط الخليفة بينما كان الحسين بن حمدان صاحب الانتصارات العريضة يرقب ما يجري عن كثب وهو يؤمل ان الخلافة تلتفت اليه بعين التقدير ، وهو القائد البارع ، الا ان الخلافة اهملته وولت اخاه ابا الهيجاء على امارة الموصل في عام293(1) هـ فزاد هذا الامر من غضب الحسين ، واخذ يتربص الفرصة للايقاع بالخليفة الذي افسدته تلك البطانة التي التفت حوله ولا همّ لها الا ابتزاز الأموال ، فاشترك الحسين في اول مؤامرة لخلع المقتدر في عام296(2) هـ . وقبل ان نشرح دور الحسين بن حمدان في المؤامرة يجب ان نشير الى الظروف والدوافع التي حدثت فيها المؤامرة . . . اشترك في المؤامرة الى جانب الحسين بن حمدان ، كبار قادة الجيوش ومعهم وجوه واعيان وفقهاء بغداد ، والكل حاقد على ذلك الوضع(3) الذي تردت فيه الخلافة ، فالخليفة حدث لا يقدر المسؤولية فتدخلت امه وحاشيتها تدخلا مباشرا في الحكم ، واجلست قهرمانتها لتنظر في المظالم(4) ـ كذلك اصبح الاتراك في يدهم الحل والعقد فهم ولاة الامور الصغيرة والكبيرة ودفعت كل هذه المساوىء الداخلية بالحسين بن حمدان ، والقادة الاخرين ، اما من المنافسين او الحاقدين على غيرهم ليقوموا بثورتهم .

اما الرجل الذي اختاروه ليتولى الحكم فكان يتصف بالتدين والحكمة والعقل والذكاء ، وكان يقدر الأمور حق تقديرها ، وهو ابن المعتز(5) . اي ان الثوار كانوا

Muir the caliphate. P. 558 (1)

(2) مرآة الجنان وعبرة اليقظان 2 -225 .

(3) السيوطي ، الخلفاء ص 381 .

(4) صلة الطبري 42 ـ العيني ـ عقد الجمان 13 -226 .

(5) مرآة الجنان 2 -225 .

يريدون خليفة عاقلا حازما ولا يريدون حدثا عاجزا . ونضيف ملاحظة اخرى وهي ان الحسين بن حمدان كان معروفا بميوله الشيعية بينما كان ابن المعتز معروفا بتعصبه للسنة وكرهه لعلي بن ابي طالب[1] ، واذا عرفنا هذا فاننا نستبعد الهدف الشخصي للحسين ابن حمدان .

واذا عرفنا ان المقتدر كانت سلطته اسمية . ادركنا ان هذه الثورة كانت ضد العناصر التركية الدخيلة الحاكمة ولم تكن موجهة ضد شخص الخليفة ، لانه لم يمض على ولايته غير شهور قليلة ولذا تعتبر الثورة التي قادها الحسين بن حمدان ثورة اصلاحية بالمعنى المعروف وليس هدفها التخريب او التدمير او الاعتداء على سلطان الخلافة وحقوقها .

اما عن دور الحسين في المؤامرة ، فقد قام بقتل الوزير العباسي بن الحسن في البستان المعروف ببستان الورد[2] ، وكان مع الوزير فاتك المعتقدي ، فقتله الحسين ايضا ، ولم تفلح محاولة ابن حمدان في قتل الخليفة المقتدر ، ولكنهم رغم ذلك بايعوا لعبد الله بن المعتز بالخلافة ولقبوه المرتضى بالله[3] .

وفي اليوم التالي سار ابن حمدان الى دار الخلافة ليقبض على الخليفة ولقي مقاومة شديدة لم تمكنه من غرضه[4] مما دفعه الى ان يحمل اهله وامواله ويتجه ليلا الى الموصل ولا يدري احد لماذا اقدم على ذلك[5] . ولما علم اصحابه بامره ضعف حالهم واضطربت احوال ابن المعتز وتقوى اصحاب المقتدر وقال اصحاب ابن المعتز بعضهم لبعض « ان الحسين بن حمدان عرف ما يريد ان يجري فهرب في الليل وهذا تواطؤ بينه وبين المقتدر وهذا كان سبب هربه[6] » . وخرج اصحاب المقتدر يحملون النشاب

---

(1) بن الاثير6-121

(2) تجارب الامم1 -5

(3) تجارب الأمم1 -5

(4) مرآة الجنان2-225

(5) زبدة الفكرة5-148

(6) ابن الاثير6-121 ـ الكامل في التاريخ

والسيوف حتى فرّ ابن المعتز الى سامرا ، ولما لم يتبعه احد التجأ الى دار بن الجصاص ، وثارت الفتنة واعيد المقتدر الى الخلافة(1) وهدأت الأمور بعد ان تولى ابن الفرات الوزارة(2) ، والقى القبض على اصحاب ابن المعتز ثم اعتقل ابن المعتز نفسه ، فيقول ابن العماد ، صاحب الشذرات عن موت ابن المعتز : « ان المقتدر تسلم عبد الله بن المعتز من دار ابن الجصاص وسلمه الى مؤنس الخادم فقتله وسلمه الى اهله ملفوفا في كساء وقيل انه مات رغم انفه وليس بصحيح بل خنقه مؤنس يوم الخميس 12 ربيع ثان سنة 296 هـ ودفن بجوار داره(3) ، ولقد سار ابن الفرات بعد ذلك في القيام باعباء الملك واعادته الى وضعه الطبيعي بينما اخذ المقتدر في مطاردة المتآمرين لاجتثاثهم واراحة الدولة منهم ، وكان اخطرهم الحسين بن حمدان ، فجهز الخليفة جيشا وعهد به الى القاسم بن سيما مع عدد آخر من القواد ، وسار الجميع في مطاردته حتى وصلوا الى قرقيسا والرحبة والداليه ولم يظفروا به(4) ، فكتب المقتدر الى ابن الهيجاء عبد الله بن حمدان يتعقب اخاه الحسين(5) ، وكان « عبد الله واليا على الموصل فسار ابو الهيجاء في اثر اخيه ، حيث اراد ان ينال رضا الخلافة عليه ، وقد يكون مضطرا للوقوف هذا الموقف لعدم مقدرته على مخالفة الخليفة ، وقد يكون قد اراد ان يمنع ارسال قوات اخرى لتتبع اخيه خوفا عليه من القتل » . ومهما كان الرأي فان ابا الهيجاء تنقل وراء اخيه الحسين من سنجار الى البرية حتى هزمه واستولى منه على عشرة الاف دينار ، ثم عاد ابو الهيجاء الى الموصل(6) الا ان الحسين ارسل اخاه ابراهيم الى الوزير ابن الفرات ليتوسط له عند الخليفة ، وهناك رأى آخر يقول بان أبا الهيجاء هو الذي تدخل لدى الخليفة في الافراج عن الحسين(7) والمهم ان الخليفة اقتنع بوجهة نظر ابن الفرات أنه إذ أرادمعاقبة جميع من شارك ابن المعتز في فتنة فسيزداد بذلك عدد المتمردين والمنشقين فعفا الخليفة عن

---

(1) ابن كثير : البداية والنهاية 11 -107

(2) الذهبي دول الاسلام 1 -141

(3) ابن العماد شذرات الذهب 2 -221 .

(4) ابن خلدون 3 -358 ـ العبر

(5) تجارب الامم 1 -15

(6) ابن الاثير 6 -121

(7) ابو فراس الحمداني ص 12

الحسين بن حمدان وولاه اعمال الحرب بقم وفاشان(1) ، وحملت اليه الخلع . ولم يكن هدف المقتدر من هذا العفو الا مصلحة الخلافة نفسها ، ففي المشرق استفحل امر الصفاريين، وليس هناك اقوى من الحسين ليمنع توسعهم نحو الغرب واخماد الفتن في تلك المناطق الى جانب ابعاد الحسين عن مركز الخلافة نفسها . ولذا رحل الحسين الى قم وانصرف عنها العباس بن عمرو الغنوي(2) .

وفي تلك الفترة ، كان طاهر بن محمد الصفار قد امتنع عن ارسال الاموال الى الخلافة ، فاوعز الخليفة الى سبكري مولاه بالقبض عليه او طرده من فارس ، وبذل سبكري كل مجهوداته حتى انتزع فارس من سيده ، ولم يلبث هو الآخر ان طمع في الاموال ولم يرسلها الى الخلافة ، فسار مؤنس لتأديب عصاة المشرق. فوردت الانباء بان الحسين بن حمدان قد اتجه من قم الى البيضا لمعونة مؤنس ، فخاف الصفاري ان تؤخذ منه شيراز ، فوجه اخاه مع فريق من الجيش الى شيراز ليحفظها ، وصحب هو دليلا يرشده الى طريق مختصر قريب ليوقع فيه الحسين بن حمدان ، فسار به الدليل الى طريق صعب ضيق لا يتسع للجيوش ، فلقي مشقة عظيمة حتى تلفت دوابه ، فعدل عن هذا الطريق ، وخرج الى خوابذان ، وكان مؤنس قد وصل اليها ، فلما اشرف الليل على عسكر الصفاري ظن انها جند اخيه الذي انفذهم الى شيراز فكبر اصحابه ، فاوقع بهم مؤنس واسر الليث ، وعاد به الى بغداد ، بينما توجه الحسين الى قم(3) فأمن البلاد وقضى على الفتن بها وعاد بعد ان رفض البقاء في تلك المنطقة(4) واراد العودة الى بغداد الا ان الوزير ابن الفرات وقف على مؤامرة دبرت ضد الحسين بن حمدان فبعث اليه قبل ان يقع في المؤامرة « قرأت كتابك تذكر علتك بالنقرس والخلع توافيك بمكانك(5) » فاكرمه الخليفة وولاه ديار ربيعة في عام298(6) هـ وكان البيزنطيون

---

(1) مسكويه تجارب1-15

(2) ابن عريب ، صلة الطبري ص23-25 ـ مسكويه : تجارب 1 / 15 / 16

(3) مسكويه : تجارب 1-16

(4) شرح ابن خالويه ديوان ابو فراس2/129-130

(5) ابن هلال الصابي : الوزراء ص70

(6) ابن العماد : شذرات الذهب2-227 ـ الذهبي : دول الاسلام1-141

في تلك السنة قد اغاروا على اعمال ديار ربيعة ، واستولوا على بعض الحصون وخربوا ودمروا وسلبوا ما ارادوا ثم عادوا(5) .

وتقدم الحسين الى ولايته الجديدة ذات الأهمية الواضحة ،وخاصة . وان الخطر يكمن على حدودها الشمالية . ولكن المقتدر لم يكن ذلك السياسي الماهر ، حين ولى الحسين بن حمدان على منطقة تعتبر مركزا لتجمع قبيلته والقبائل العربية الاخرى التي لا شك في انها تساند حاكما عربيا الا ان المقتدر رأى في الحسين بن حمدان القائد القادر على حماية تلك المنطقة الهامة ولم يراع تلك الاعتبارات الاخرى .

وما ان استقر الحسين في ولايته حتى اخذ في تنظيم البلاد واعدادها لتكون مقرا له ، وجهز جيشه وتقدم الى الحدود البيزنطية في عام301 هـ . ووردت الاخبار بان الحسين فتح حصونا كثيرة وقرى عديدة وقتل خلقا كثيرا(1) .

وبينما كان الحسين في مواجهة البيزنطيين نجد ان اخاه ابا الهيجاء عبد الله بن حمدان يعلن عصيانه في الموصل يؤيده جماعة من الاكراد اخواله ، وعمت الفتنة في ارض الموصل ، وفسدت الاحوال وكان ذلك في عام301 هـ(3) .

سارت قوات الخلافة بقيادة مؤنس لتقضي على التمرد الذي اعلنه ابو الهيجاء بن حمدان ، الا ان هذا الاخير تقدم بنفسه مستأمنا بعد ان بذل له مؤنس الامان ، ومن المرجح ان ابا الهيجاء بن حمدان قد اقدم على هذه الخطوة ولم يقاوم قوات الخلافة لانه شعر بانه لا يستطيع قتال مؤنس من جهة ، ولانه لا يريد ان يوسع هوة الخلاف مع الخليفة المقتدر ، حتى انه ما ان وصل مع مؤنس الى بغداد حتى خلع الخليفة عليهما الخلع اللطيفة(3) .

اما الخليفة فانه خلع على ابي الهيجاء لانه كان لا يستطيع ان يفقد ثقة

---

(1) العيني : عقد الجمان 15 -166 .

(2) ابن الجوزي : المنتظم في اخبار الملوك والامم6 / 121 - ابن كثير البداية11 / 121 ، وانظر ابن عساكر 4 / 261

(3) ابن عريب ، صلة تاريخ الطبري ص30

(4) زبدة الفكرة5 -173 .

الحمدانيين ، لان القرامطة ما زالوا يهددون الخلافة تهديدا مباشرا والى جانبهم كما تأهبت الجيوش الفاطمية للتقدم نحو مصر للاستيلاء عليها لتكون مركزا لدعوتهم ثم الانقضاض منها على الشام ، ثم على عاصمة العباسيين . وبالفعل تقدمت القوات الفاطمية في حملتها الأولى على مصر في عام302 هـ(1) . وامام كل هذه الظروف ، كان على الخليفة ان يحافظ على علاقته الودية مع قادته البارزين ، وخاصة ابناء حمدان .

ارسلت الخلافة جيشا بقيادة مؤنس لصد قوات الفاطميين الزاحفة الى مصر ، وكانت الخلافة قد عفت عن ابي الهيجاء بن حمدان واعادته الى ولايته كما كان في عام 302 هـ(2) وما ان عاد ابو الهيجاء حتى كان اخوه الحسين قد مكن لنفسه في بلاد ربيعة ، ولقد اتضح ان عودة ابي الهيجاء كانت تؤدي الى ثورة اخيه الحسين ، اي ان رضا الخلافة على احد الاخوين يعني ثورة الآخر مما ادى في النهاية الى ضعفهما معا والزج بهما في السجن ، ولقد كانت اعادة ابي الهيجاء الى الموصل قراراً حكيما اذ وقفت الخلافة على مدى اطماع الحسين بن حمدان وطموحه في الاستيلاء على الموصل كما رأت الخلافة ان ترميه بأخيه فهو كفيل بان يحد من غلواء طمعه .

أعلن الحسين بن حمدان ثورته في عام303 هـ ، وادعى ان خروجه كان بسبب عدول الوزير عن عهوده للحسين وانه اي الوزير لم يفِ له بضمانات ضمنها له(3) ولقد اصبح عصيان الحسين امرا متوقعا عندما بعث اليه الوزير يطالبه بالاموال ، فامتنع الحسين وامره الوزير بتسليم البلاد الى عمال الخليفة ، فامتنع ايضا . وفي تلك الاثناء كان مؤنس الخادم غائبا بمصر(4) ، فجهز الوزير رائقا الكبير في الجيش لمطاردة الحسين ابن حمدان واخضاعه لسلطة الخلافة مرة أخرى(5) ، وكتب الوزير الى مؤنس يأمره بالمسير الى ديار ربيعة لقتال الحسين بن حمدان بعد فراغه من اصحاب العلوى(6) بمصر .

---

(1) ابن الاثير6 -144

(2) الذهبي : تاريخ الاسلام ج17 -7 ـ العيني عقد الجمان13 -184

(3) مسكويه : تجارب1 -16

(4) زبدة الفكرة5 -179 .

(5) ابن عريب : صلة تاريخ الطبري ص39 .

(6) الذهبي : تاريخ الاسلام17 -8

وما كادت قوات الخلافة تصل الى حدود اقليم نفوذ الحسين بن حمدان حتى وقعت بين الفريقين عدةمعارك .كان النصر فيها متأرجحا بين القوتين ولكن في نهاية الامر استطاع الحسين ان يحقق النصر على قوات الخلافة ، فغنم الحسين سوادهم واموالهم(1) . ولكن رغم هذا النصر فقد طلب الحسين من رائق ان يتوسط له عند الخليفة وقد قصد بذلك خداع قائد الخليفة(2) ، ومنعه من مطاردة قواته التي اخذت في الاصعاد وكان جيشه مكونا من الاعراب، والاكراد فقد عرف الحسين بن حمدان تقدم مؤنس بعد فراغه من حروبه في مصر ، ومواصلة سيره حتى حدود ديار ربيعة ثم الى آمد ، وانضمامه الى جيش رائق ، ثم تقدمه الى آمد ، وتراسل مع ابن حمدان الا ان المفاوضات اخفقت وتقدم مؤنس الى جيش الحسين بن حمدان واستعمل معهم الحيلة فاستمالهم بالاموال ، فاخذوا يتسربون منضمين الى مونس باغراء هذه الأموال(3) .

ولما فطن مؤنس الى ضعف الحسين ، تقدم اليه واشتبك معه في معركة حامية وقع في نهايتها الحسين أسيراً في يد مؤنس(4) إلا أن ابناً للحسين وابناً لأخيه تمكنا من الفرار وكانا قد حملا معهما الأموال الا أنه لم يقدر لهما النجاح في الفرار ، وفطن بهما صاحب آمد فقتلهما وبعث برأسيهما الى بغداد(5) .

وبعد ان وقع الحسين اسيرا في يد مؤنس عاد جيش الخليفة الى بغداد ، وكان في صحبة مؤنس اخو الحسين واهله ، وحمل الحسين على جمل مصلوبا على نقنق قابل للدوران(6) ، وكان على الحسين برنس الا ان ابنه رفض لباس البرنس فقال له والده « البسه يا بني فان اباك البس البرانس اكثر هؤلاء الذين تراهم » ، ونصبت القباب وخرج المقتدر لاستقبال مؤنس وعندما وصل الموكب الى سوق يحي في بغداد ، قال له

---

(1) الذهبي : تاريخ الاسلام17 -8
(2) ابن عريب ، صلة تاريخ الطبري ص39
(3) ابن العماد : شذرات الذهب2 -239
(4) ابن عريب : صلة تاريخ الطبري ص39
(5) مسكويه : تجارب1 -36
(6) ادم متز ـ الحضارة الاسلامية2 -156

رجل من الهاشمية : «الحمد لله الذي اوقع منك » فقال له الحسين : والله ان صناديقي قد امتلأت بالخلع والالوية ، وافنيت اعداء الدولة ، وان ما صار بي الى هذا الخوف على نفسي ، وما الذي نزل بي الا دون ما سينزل بالخليفة اذا فقد من اوليائه مثلي[1] . ويدلنا كلام الحسين على الدور الذي قام به في سبيل الخلافة ، وعما يتوقعه للخليفة من مستقبل مظلم على ايدي تلك الزمرة الفاسدة التي تلتف حوله ، في الوقت الذي تطوق الاخطار فيه الخلافة من كل مكان ففي الغرب كانت الدولة الفاطمية الفتية وفي الشرق قامت الامارات المستقلة عن الدولة ، وفي الشمال الخطر البيزنطي ، ومن الجنوب والداخل نجد حركة القرامطة التي انتفضت كالمارد الجبار تحرق وتدمر كل ما يقف في طريقها . وما ان القي الحسين بن حمدان في السجن حتى لحق به اخوته وبعض اصحابه[2] ، نتيجة كثرة الفتن والاضطرابات التي قام بها ابناء حمدان مما اضعف ثقة الخليفة فيهم . الا انه ما لبث ان عفا الخليفة عن ابناء حمدان واخرجهم من السجن وكان من بينهم ابو الهيجاء ، وخلع عليهم في سنة 305 هـ[3] .

وبينما كانت قوات الخلافة تطارد الحسين بن حمدان استغلت القوات البيزنطية فرصة انشغال الخلافة ، وتقدمت نحو الحدود الاسلامية لتقتل وتدمر ، واتجهت نحو حصن منصور* وسبوا من فيه بعد ان دمروه[4] ولكن الحسين لم تطلق الخلافة سراحه كما افرجت عن اخوته ، لشدة تخوفها منه فظلت نفسه تضطرم حقدا على الخليفة ، حتى بدأ اتصاله بالوزير ابن الفرات من وراء اسوار السجن ، ودبر معه مؤامرة اخرى ضد الخليفة ، وكان مؤداها امتناع ابن ابي الساج عن توريد الاموال المستحقة عليه للخلافة ، وكان الوزير قد طلب من الخليفة الأموال اللازمة ليصرفها الى الجند فامتنع الخليفة عن دفعها[5] ، اذ قيل له ان ابن الفرات ينوي الافراج عن الحسين بن حمدان لقيادة جيش ضد ابن ابي الساج ، فاذا ما وصل اليه اتفق الطرفان ضده ، فامر الخليفة

---

(1) ابن عريب ـ صلة تاريخ الطبري ص35
(2) زبدة الفكرة5-179 ـ ابن عريب : صلة تاريخ الطبري39
(3) تجارب الأمم1-53 . الذهبي ، تاريخ الاسلام17 - 11 .
(4) زبدة الفكرة5-179 .
(5) ابن خلدون3-371 ـ العبر
* غربي الفرات قرب سميساط ياقوت معجم البلدان2-277

عبد الله بن حمدان (أبو الهيجاء) وعلاقته بالخلافة :

لما تولى المكتفي عرش الخلافة بعد ابيه المعتضد كانت الفتن قد اشتدت واتسعت ، كما كانت الحدود العربية البيزنطية غير هادئة ، اما القرامطة فكانوا في بداية ظهورهم وفي اوج قوتهم ، فواجه المكتفي تلك المشاكل بحكمة وحزم ، ولو طال به العمر لحقق للدولة ما حققه ابوه واجداده من قبل ، ولكن ما كاد يتولى الخلافة حتى تحركت كل هذه الكوامن دفعة واحدة ، فسير اليها الحسين بن حمدان واخمد معظمها ولا سيما القرامطة .

وتحرك الاكراد كذلك في منطقة الموصل ، وعاثوا فسادا ، فرأى المكتفي ان يشهر سيفا آخر من سيوف الحمدانيين هو عبد الله بن حمدان ، فولاه على ولاية الموصل(1) . ونتوقف هنا لنبدي بعض الملاحظات .

كانت الموصل معروفة بموقعها الاستراتيجي الهام بالنسبة للخلافة فهي تحتاج الى شخص في مقدوره ان يتحمل اعباء هذه المهمة الصعبة ، فولت الخلافة ابا الهيجاء . وكان جديرا بمهمته اذ اثبت قدرته على القضاء على تمرد الاكراد .

وهناك ملاحظة هامة اخرى ، وهي اننا رأينا ان قبيلة تغلب وما يتبعها من القبائل العربية الاخرى قد اتخذت من الموصل مركزا لها فكان على الخلافة ان تقدر ان ابا الهيجاء بن حمدان لا بد طامع في تلك المنطقة ، تؤيده في ذلك عشيرته واتباعها . وخاصة اننا عرفنا ان الموصل بلد غنية وقادرة على انفاذ الأموال الكثيرة الى بغداد ، فاذا ما توفر لاحد الطامعين الأموال والرجال اعلن استقلاله او تمرده .

وكان الاكراد ايضا اخوالا لابي الهيجاء(2) وكان الاكراد يكونون عصبية قوية في الموصل ،مما يوفر الانصار لابي الهيجاء اذا ما اعلن استقلاله ، كما ان منطقة الموصل والجزيرة تعتبر مركزا للخوارج ، مما يهيء منطقة الموصل للانسلاخ عن الخلافة العباسية .

---

(1) ابن خلدون 3-356 ـ العبر

(2) ابن عريب : صلة تاريخ الطبري 30

لكن الخلافة لسبب ما اوفدت ابا الهيجاء الى الموصل ، ونرجح ان يكون ذلك كسبا للحمدانيين وارضاء لاهل الموصل ، لان الحمدانيين يعتبرون العنصر العربي هو العنصر الوحيد الذي اخذ يشق طريقه بصعوبة ويظهر على مسرح الاحداث السياسية والحربية منذ زمن غير قليل ، فارادت الخلافة ان تشجع هذا الاتجاه ، عساها ان تنتفع به في يوم من الايام . تقدم ابو الهيجاء من بغداد حيث كان مقيما الى الموسل ومعه جنود كثيرة ،ولما خرج في اليوم التالي يستعرض قواته والقوات التي بالموصل[1] اتاه الخبر بان الاكراد الهذيانية وعلى قيادتهم محمد بن بلال قد اغاروا على نينوى ونهبوها[2] .

فبدأ ابو الهيجاء في تعبئة جيوشه بسرعة ، وتقدم اليهم فعبر الجسر الى الجانب الشرقي ، ولحق بالاكراد ، حتى ادركهم قريبا من نهر الخازر ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، واستشهد من اصحاب ابي الهيجاء كثيرون ومنهم سيما الحمداني[3] .

ورجع ابن حمدان بعد ذلك ، نتيجة تكاثر الاكراد عليه ، واخذ يعيد تنظيم صفوفه ، وبعث الى بغداد يطلب النجدة ، الا ان الخليفة اخر عنه النجدة حتى وصلته في عام294 وسار ابن حمدان مرة اخرى في اتجاه الاكراد وكانوا قد اجتمعوا في خمسة الاف بيت[4] ، فلما رأوا ان ابا الهيجاء يتقدم في اتجاههم ، ساروا الى جبل عال مشرف على نهر الزاب ، ويسمى جبل السلق[5] . . وتحصنوا فيه ومن هناك اخذ قائد الاكراد ابن بلال يراسل ابا الهيجاء ووعده بالطاعة وطلب الامان ، كما وعده ان يحضر اليه باولاده ليجعلهم رهينة عنده ، فقبل ابن حمدان عرضه واعطاه مهلة ، ورجع ابن بلال ليأتي بمن ذكر ولكنه استحث اصحابه على المسير نحو آذربيجان . ولم يدرك ابن حمدان خدعة ابن بلال الا بعد ان طال انتظاره ، فادرك انه وقع في حيلة المقصود منها تأخير متابعة ابي الهيجاء للاكراد .

---

(1) زبدة الفكرة5 -137

(2) العيني : عقد الجمان15 -121

(3) نفس المصدر

(4) ابن الاثير6-111

(5) زبدة الفكرة5 -137

فاعد ابو الهيجاء قواته وتقدم نحو الاكراد ، ومعه اخوته سليمان وداود وسعيد وغيرهم ممن يثق في جلدهم ، وسار يقتفي اثر الاكراد الهاربين حتى لحق بهم ، وقد اعتصموا بالجبل المعروف بجبل القنديل (1) ، فقتل منهم جماعة ، وانهزمت البقية وفرت الى آذربيجان واعتصم الاكراد بذروة الجبل ، فانصرف عنها ابن حمدان وطلب نجدة اخرى من الخلافة وجمع جمعا آخر من الموصل (2) حتى وافته النجدات وظل قائما على حصار الاكراد لمدة عشرة ايام كاملة ، فلما رأى الاكراد صبر جماعة ابي الهيجاء وتساقط الثلج وشدة البرد وقلة المؤن (3) والعلف ولما لمسوا انهم غير قادرين على دفعهم نجا محمد ابن بلال واولاده ومن لحق بهم واستولى ابن حمدان على بيوتهم وسوادهم واموالهم وطلبوا الأمان لانفسهم واموالهم ، الا انه قتل منهم رجلا واحدا ، وهو الذي قتل سيما الحمداني ، فامنت البلاد شر الفتن التي اثارها الاكراد ، واحسن ابو الهيجاء السيرة في اهل الموصل وما يليها . ثم ان ابن بلال لما رأى انتصار ابي الهيجاء وحسن معاملته للاهالي ، بعث يطلب الأمان لنفسه ولاولاده ، فامنه ابو الهيجاء وسمح له بالاقامة في الموصل . ومن ثم تتابعت الاكراد الحميدية على تقديم الطاعة والولاء حتى استقام الامر واستتب الامن والهدوء (4) .

وهكذا استطاع ابو الهيجاء بعد جهد جهيد ان يقضي على فتنة الاكراد ، التي واجه فيها الصعاب والمشاق الجسيمة ، والتي كلفته الكثير من الاموال والرجال .

رأينا كذلك ان ابا الهيجاء قد اشترك في مطاردة اخيه الحسين ، وانه القى عليه القبض وسجن مع اخوته ، الا انه خرج من السجن ، وظل يتقرب الى الخليفة ثم شارك مؤنس الخادم في حربه ضد محمد بن ابي الساج سنة 307 هـ عندما امتنع هذا من انفاذ الأموال الواجب عليه تقديمها للخلافة ، فهزمه مؤنس في اردبيل واخذه اسيرا الى بغداد ، حيث اكرمه الخليفة (5) . وظل ابو الهيجاء على تقربه من الخليفة حتى اضطربت

---

(1) ابن خلدون 3 - 356

(2) زبدة الفكرة 5 - 137

(3) ابن الاثير 8 / 111 - 112

(4) ابن خلدون 3 - 356

(5) ابن عريب . صلة تاريخ الطبري ص 54

منطقة خراسان والدينور ، فلم يجد الخليفة رجلا اقدر من ابي الهيجاء فارسله الى هناك في عام308 هـ ، وخلع على اخوته ابي السرايا وابي العلاء[1] . ولقد اراد ابو الهيجاء ان يثبت للخليفة في ولايته هذه المرة . انه لا يزال على ولائه وتبعيته له، فاخمد الفتن وامن الطرق ، وعاد ابو الهيجاء تزينه اكاليل النصر ، ودخل بغداد التي لم يستقر بها غير شهور قليلة ، حتى هدد القرامطة طريق مكة والكوفة الى جانب غارات الاعراب ، فتعطل الحج الى بيت الله الحرام ، فرأت الخلافة ان تبعث ابا الهيجاء لكي يؤمن طرق الحجاج ولعلنا ندرك اهمية هذا التقدير لابي الهيجاء ، اذ عهد اليه بان يؤمن ذلك الطريق الهام بالنسبة لجميع المسلمين ، الى جانب ما يناله من رضا الخليفة عليه بصفة خاصة وتقدير العالم الاسلامي له بصفة عامة .

تولى ابو الهيجاء تلك المنطقة في عام312 هـ وكان القرامطة قد تقدموا واعترضوا قافلة للحجاج سلبوا ونهبوا الاموال ، وكان ابو الهيجاء قد نصحهم بالمسير في طريق آخر الا انهم لم يستمعوا اليه، فكانت النتيجة تلك المعركة التي وقع فيها ابو الهيجاء اسيراً[2] . وسبى ابو طاهر بن ابي سعيد الجنابي ما اراد من النساء والصبيان[3] ، وكان من جملة الاسرى احمد بن بدر احد اخوال الخليفة ،ثم عاد القرمطي باسلابه وسباياه الى هجر[4] .

وعلى اثر تلك المعركة التي اهدرت فيها دماء الحجاج الابرياء ، واسر ابو الهيجاء ، ثارت العامة في بغداد ومنعوا الصلاة في المساجد[5] ونادوا بالثأر للحجاج الا ان القرامطة اطلقوا سراح ابي الهيجاء وكلفوه ان يطلب من الخليفة ان يفرج عن البصرة والاهواز ويتركها لهم، الا ان الخليفة لم يستجب لهم ، وذكر ابو الهيجاء ان القرامطة قتلوا من الركب اكثر من الف رجل ومن النساء ثلثمائة نسمة[6] .

---

(1) تجارب الامم1 -75

(2) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة3 -211

(3) البداية والنهاية11 -149 ـ مسكويه : تجارب الامم1-110

(4) الذهبي : تاريخ الاسلام17 -115 ـ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة3 -212 .

(5) مرآة الجنان2 -264 ، العيني ـ عقد الجمان ج13 -235

(6) الذهبي : دول الاسلام1 -148 . ابن تغرى بردى النجوم الزاهرة3 -212 .

وقد يبدو لاول وهلة ان الخلافة تضمر لابي الهيجاء شرا مستطيرا ، فما يكاد يقضي على فتنة او ثورة حتى يقذف به الى ميدان آخر اكثر خطورة ، ولكننا نرى ان ابن حمدان كان وحده هو الذي يستطيع الصمود في كل تلك الميادين ، وان الخلافة لا تضمر له شرا فهو سيف تسله في وجه كل متمرد او ثائر، وذلك لثقتها فيه، مما اهله في النهاية لحكم الموصل وطريق خراسان مرة اخرى في عام314 هـ(1) . ولكننا نتساءل ايضا حين نرى ان ابن حمدان تغضب عليه الخلافة يوما لترضى عنه يوما آخر . ولكننا نجيب على هذاالتساؤل .بأن الخليفة لم يستطع ان يتخلى عن مساعدة الحمدانيين في مجابهة الثورات والاضطرابات خصوصا وان الحمدانيين عرفوا بصبرهم وجلدهم في مقاتلة اعداء الدولة من القرامطة والخوارج والاكراد والبيزنطيين لكن الحمدانيين في نفس الوقت ادركوا مركزهم القوي فلم يتهاونوا فيه بل فرضوا انفسهم على الخلفاء وكانوا يرقبون سير الحوادث بلباقة وحذر ، فتقبل ابو الهيجاء بصدر رحب ولاية الموصل التي طالما راودته وتمناها .

الا ان ابا الهيجاء في هذه المرة لم يشأ ان يغادر بغداد لان العاصمة اصبحت وكرا للدسائس والمؤامرات ، فاتخذ الحمدانيون لهم مقرا في بغداد يسكنه احدهم لتدبير شؤونهم في دار الخلافة عند مسيس الحاجة(2) . وكان هذا بمثابة السفارات الحديثة التي ترعى مصالح دولها عند دولة اجنبية اخرى .

ولقد واجهت الموصل بعد عزل ابي الهيجاء في المرة الاخيرة كثيرا من الفتن والاضطرابات ، فقد رفض الاهالي قبول محمد بن كنداج واليا عليهم وطردوه فحرض عليهم القبائل المحيطة بهم ولما علم المقتدر بحقيقة الامر استنكر على ابن كنداج هذا التصرف ، وعزله وولى بدله عبد الله بن محمد الفتان(3) الذي حاول بكل جهده ان ينشر الامن والهدوء بالموصل حتى كانت ولاية ابن الهيجاء عليها ، فأناب ابنه

---

(1) زبدة الفكرة 5- 199 ـ ابن خلدون 4 / 130

(2) سليمان الصايغ : تاريخ الموصل ج1 / 99

(3) المرجع السابق

الحسن[1] ، الذي واجه الفتن والقلاقل من اول وصوله ، فارسل اليه والده من بغداد بان يجمع الأموال والرجال وينحدر الى تكريت حيث العابثين هناك ، فسار اليهم الحسن وقضى عليهم ، وعاد الأمن والهدوء الى ما كان عليه[2] . لكن هذا الهدوء لم يستمر طويلا ، وهذا بطبيعة الحال يعود الى ان القبائل العربية كانت لا زالت على بداوتها وعاداتها وتقاليدها الأولى ، بل انها بعد الاستقرار لم تتخل عما اعتادته من اثارة الفتنة والفوضى في ربوع المنطقة التي سكنتها .

اعد الحسن عدته من جديد لمواجهة القبائل الثائرة ، الا ان الحسن بعد ان خاض معهم عدة معارك ضارية ، لم يستطع القضاء عليهم وحده فاستنجد بأبيه الذي لم يجد بدا من حمل السلاح والذهاب الى الموصل لتأديب الثائرين بها ، فانضم الى ابنه الحسن بالموصل ونازلوا الاعراب معا وحاصروهم واحضروا شيوخهم وطالبوهم بان يردوا على الناس ما سلبوه منهم ، وكان شيئا كثيرا ، ثم رحل بعدها ناصر الدولة الى شهر زور[3] فقاتل الاكراد الجلالية حتى طلبوا الامان ووعدوه بالكف عن اعمال الشر والفساد[4] .

وكان ابو الهيجاء بالاضافة الى ما بيده قد ضمن اعمال الخراج والضياع في مردى وبازندى وما يجري معهما[5] .

تجدد خطر القرامطة :

رأينا ان ابا طاهر القرمطي عندما اطلق سراح ابي الهيجاء بن حمدان في عام 312 ، طلب من الخليفة ان يطلق له البصرة والاهواز ، ولما رفض الخليفة ذلك تقدم نحو العراق ، وكان في الف فارس وخمسة آلاف راجل ، فالتقى ابن ابي الساج بهم وما كان من القرامطة الا ان فاجأوه بهجوم مركز وشديد حتى هزموه ووقع ابن ابي الساج اسيرا في يد القرمطي في آخر النهار[6] .

---

(1) زبدة الفكرة5 -199

(2) ابن الاثير6 -183

(3) كي استرانج ص225 ـ بلدان الخلافة الشرقية

(4) ابن خلدون4 -130

(5) ابن الاثير6 -184 ـ زبدة الفكرة5 -201

(6) مرآة الجنان وعبرة اليقظان2 -269 حوادث عام315

ولما وصلت اخبار هزيمة الجيش الى بغداد ، ثارت العامة وطالبوا الخليفة بالخروج لقتال القرامطة ، فتجهز مؤنس الخادم في اربعين الف جندي(1) غير الذين انضموا اليه من ابناء حمدان وعسكرهم ، فكان بينهم ابو الهيجاء ابن حمدان واخوته ابو الوليد وابو السرايا وابو العلاء واصحابهم ، وتقدم نصر الحاجب فأشار ابو الهيجاء بقطع القنطرة الا ان مؤنسا تثاقل في قطع القنطرة فقال له ابو الهيجاء ، ايها الاستاذ اقطعها واقطع لحيتي معها . فقطعها مؤنس(1) .

وعندما قدم القرمطي واراد العبور ، وجد ان القنطرة قد قطعت ، فعاد الى الانبار ، ولم يجسر احد من جند الخلافة على ان يتبعه ، فعرج الى هيت ، الا انه لم يستطع دخولها امام مقاومة الاهالي ، ولولا قطع القنطرة لعبر عليها القرمطي بجنوده ودخل الى بغداد(2) .

وقد قال ثابت بن سنان « ولقد كان ما اشار به ابو الهيجاء من توفيق الله تعالى(3) » .

وقد سئل بعض اصحاب القرمطي عن سبب هزيمة اصحاب الخليفة، وصبر القرامطة فقال: السبب ان اصحاب الخليفة يقدرون ان السلامة في الهرب فيقدمونه ، ونحن نقدر ان السلامة في الصبر فنثبت ولا نبرح(4) .

مقتل ابي الهيجاء بن حمدان :

كان سبب ذلك انه وقعت وحشه بين هارون بن غريب وبين نازوك صاحب الشرطة ، فاستنكر المقتدر ذلك الصراع ، فاستوحش هارون من الخليفة وخرج بأصحابه الا ان المقتدر بعث اليه وترضاه فارجف الناس وخافوا وقالوا قد صار هارون اميرا للامرا (5) وكان هذا مدعاة لغضب اصحاب مؤنس الذي عاد من الرقة ، وكان في

---

(1) مسكويه . تجارب الامم 1 -176 ـ النجوم 3-217

(2) ابن تغرى بردى . النجوم الزاهرة 3 -217

(3) العيني : عقد الجمان 13 -319

(4) مسكويه : تجارب الأمم 1 -176

(5) ابن الاثير 6-194 . الكامل في التاريخ

حرب القرامطة(1) ونزل ابو الهيجاء بعسكره عند مؤنس (2) وحاول ان يتوسط بين الطرفين الا ان مؤنس بعث الى الخليفة باخراج هارون بن غريب(3) فأخرجه الخليفة وولاه على امر الثغور الجزرية الشامية(4) ، وبعث لمؤنس رسالة قال فيها .

« اما نازوك فلست ادري ما سبب عبثه فوالله ما اعنت عليه هارون في حربه واما عبد الله بن حمدان فلا اعرف شيئا احفظه الا عزله عن الدينور وانما اردنا نقله الى ما هو اجل منه وما لأحد عندي من الجماعة الا ما يجب(5) . . . » .

كما قال : الا انني مستسلم لامر الله عز وجل غير مسلم حقا خصني الله به(6) .

ولكن الفتنة ما لبثت ان قامت بتشجيع من نازوك ، الذي دخل دار الخلافة مع اصحابه واعتقلوا الخليفة(7) . ومضى ابن حمدان الى دار ابن طاهر فاحضر محمد بن المقتدر وبايعوه ، واحضروا القاضي ابا عمر المالكي عند المقتدر للشهادة عليه بالخلع ، وقام بن حمدان يتأسف له ويبكي ويقول « يا سيدي يعز عليّ ان اراك على هذه الحالة وقد كنت اخشى عليك مثل هذا ونصحتك فلم تقبل وآثرت قول النساء والخدم على قولي ولاني كنت ارى هذا ومع ذلك فنحن عبيدك وخدمك ودمعت عيناه وعينا المقتدر(8) ».

ولما بويع للقاهر بالخلافة اقطع حلوان لابن حمدان(9) كما اقطعه الدينور(10).

---

(1) ابن عريب ، صلة تاريخ الطبري97

(2) ابن خلدون3-379 . العبر

(3) الذهبي ، تاريخ الاسلام17-229 .

(4) زبدة الفكرة5-208

(5) صلة تاريخ الطبري ص97

(6) ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الملوك والامم ج6-221

(7) الذهبي ، تاريخ الاسلام17-229.

(8) ابن خلدون3-379 ـ ابن الاثير6-201

(9) البلدان لليعقوبي ص170

(10) نفس المرجع والصفحة

وهمدان(1) وكرمان(2) والصميره ونهاوند(3) وشيراز وماسبذان(4) بالاضافة الى ما بيده من طريق خراسان والموصل . وفي نفس اليوم ، خرجت الجند تطالب بالارزاق وقتلوا نازوك وحاصروا دار الخليفة ، وبها القاهر وابن حمدان ، فاراد ابو الهيجاء الخروج من دار الخلافة ، فتعلق به القاهر وقال له : انا في ذمامتك . فأخذه أبو الهيجاء بيده وأرادوا الخروج فوجدوا الأبواب مغلقة ، فهاجمهم الخدم ودافع ابن حمدان عن الخليفة القاهر ، إلا أنه أصيب بسهم قاتل فصاح ابن حمدان : يا آل تغلب أأقتل هكذا بين الحيطان(5) .

وهكذا كانت نهايته التي انتهت بالدفاع عن الخليفة القاهر الى النفس الاخير .

الا ان هذه الفتنة كان لها آثار سيئة على الوضع الداخلي والخارجي ، فقد ضعفت الثغور الجزرية عن دفع البيزنطيين عنهم ، ومنها ملطية وآمد وميافارقين وارزن وغيرهما ، وطلبوا مساعدة بغداد الا انها لم تكن متفرغة لمساعدتهم ، فسالموا ملك الروم وسلموا اليه مدنهم(6) .

لكن بعد ان عاد المقتدر الى الخلافة بادر بالسؤال عن ابن حمدان وعن اخيه القاهر ، وكتب اليهما بالامان بخط يده وامر خادمه بالاسراع في تسليم الكتاب حتى لا يحدث مكروه لابي الهيجاء ، الا ان هذا كان بعد فوات الفرصة ، فقد قتل ابن حمدان وحمل رأسه الى الخليفة ، فحزن عليه كثيرا وقال : انا لله وانا اليه راجعون والله ما كان أحد يدخل علي ويسلبني ويظهر لي الغم في هذه الأيام غيره(7) وقال أيضاً : ما كان أحد بسيف في هذه الأيام غيره وفر أبو السرايا الى الموصل(8) .

---

(1) نفس المرجع ص272

(2) نفس المرجع ص286

(3) نفس المرجع ص272

(4) ابن الاثير6 -201

(5) تاريخ الذهبي17 -229

(6) الزيتي1 / 227 ـ الفتوحات الاسلامية ،

(7) زبدة الفكرة5 -214 ـ ابن الاثير6 -201

(8) ابن خلدون3 -379

علاقة بقية ابناء حمدان بالخلافة :

لم تقتصر علاقة ابناء حمدان بالخلافة العباسية على الحسين واخيه عبد الله فحسب . بل شاركهم فيها اخوة لهم لم يقلوا عنهم شجاعة ، بل لعبوا دورا هاما في شؤون الدولة وتولوا المناصب الرفيعة والولايات الهامة .

فكان منهم ابو العلاء سعيد بن حمدان الذي كان بطلا من ابطال الأسرة الحمدانية وكان المقتدر كثيرا ما يركن اليه ويأنس به[1] ، ودافع ابو العلاء عنه حين شغبت عليه الجند فهزمهم ، كما كانت له وقعة أخرى مع الجنود والقواد في دار الوزير ابن مقله[2] .

كما ولاه المقتدر على المعادن واعمال الحرب في نهاوند فقام بواجبه خير قيام[3] . وكان ابو العلاء سعيد قد شارك اخاه أبا الهيجاء في عدة معارك ، ولاسيا في معركة ضد القرامطة في عام 315 هـ ، عندما تقدم القرمطي واراد العبور الى بغداد فوجد أن القنطرة قد قطعت فاضطر للعودة ، وحاول في عودته أن يفتح مدينة هيت ، وكان المقتدر قد سير اليها أبا العلاء سعيد وهارون بن غريب ، فلما وصلا اليها ارتفعت الروح المعنوية عند الأهالي حتى أنه ما كاد القرامطة يهجمون عليها حتى دافع أهلها عنها دفاع الأبطال وهزموا القرامطة هزيمة مروعة ، وما أن وصلت أنباء هزيمة القرامطة على أسوار هيت حتى فرح الأهالي فرحاً عظيماً[4] .

كذلك كان لابي العلاء سعيد حظ ونصيب كبير في اخماد الفتن الداخلية التي اثارتها القبائل ، فقد أغارت أعراب بني سليم على قافلة للحجاج كان بها أبو العلاء سعيد ، فدافع عن الحجاج حتى ألحقوا الهزيمة ببنى سليم ، كذلك حارب بني عقيل واوقع الهزيمة بهم في منطقة يقال لها « سرح » ، فقال ابو العلاء عن نفسه بعد انتصاره على بني عقيل .

يا ليتها تسأل عن موطني   بارض سرح والقنا شرع

---

(1) احمد ابو حاقه « ابو فراس الحمداني ص29

(2) د . مصطفى الشكعة . سيف الدولة الحمداني ص27 .

(3) زبدة الفكرة 5-198

(4) زبدة الفكرة 5-201

وعـن عقيل اذ صبحناهم وقـد تلاقى الحشـد والدرع
انـا سعيد وابـي احمد بالسيف ضرى وبـه انفع(1)

وقال ابو فراس يعدد شجاعة والده واعمامه :

اولئـك اعمامـي ووالـدي الذي حمـى جنبـات الملك والملك شاغر
له بسـليم وقعـه جاهليه تقـر بهـا قيد وتشهـد حاجر
واذكت خداكيه سرح وارضها من الغـرب ناراً جمرهـا متطاير
شفـت من عقيل انفسـا شفهـا السرى فهـدم عجـلان ونـوم ساهر(2)

كذلك ولى المقتدر ابا العلاء سعيد مع اخيه نصر ديار ربيعة ، وعزل عنها ناصر الدولة وولاه نصيبين وسنجار وخابور ورأس العين ومن ديار بكر ميافارقين وارزن ، وكان قد ضمن ذلك عنها مثال معلوم(3) . وفي عهد سعيد هذا ، ظهر صالح بن محمود من عصاة البوازيج ، وكان صالح قد سار بجماعته الى سنجار ثم الشجاجية من ارض الموصل ، وطالب اهلها بالعشر ، ثم صعد الى الحديقة وطالب المسلمين منهم بالزكاة وطالب المسيحيين بالجزية الا انهم تمكنوا منه وطـردوه واسروا ابنـه ، وهـرب هو الى الجانب الغربي بجوار الموصل واقام عند الزاب الاعلى ، وكان نصر بن حمدان قد اسر ابنه فارسل اليه يهدده ان لم يطلق سراح ابنه ، فصار نصر اليه وطارده الى البوازيح وحاصره فيها وقبض عليه وقاده الى الموصل ، ومن هناك بعث به الى بغداد(4) .

وفي عام319 هـ سار البيزنطيون الى سميساط فحاصروها ، فاستصرخ اهلهـا بسعيد بن حمدان صاحب الموصـل وديار ربيعـة ، وكانـت الخلافـة اذ ذاك مشغولـة بمشاكلها حيث دبت الوحشة بين مؤنس والمقتدر فأهملوا الدفاع عن الحدود مما أطمع البيزنطيين . فجهز أبو العلاء سعيد وهـرع على رأس جيشـه(5) وكاد البيزنـطيون أن

(1) احمد ابو حاقه « ابو فراس الحمداني ص29 » .
(2) ديوان ابو فراس شرح بن خالوديه2 -113
(3) ابن الاثير6 -208 . زامباور ـ معم انساب الاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي .
(4) سليمان الصايغ : تاريخ الموصل ص 1018
(5) الذهبي : تاريخ الاسلام17 -241 .

يفتحوا سمساط ، وتقدم أبو العلاء فسارع البيزنطيون بالفرار . ثم تقدم سعيد الى ملطية ، وكان أهلها قد استسلموا وصالحوا البيزنطيين ، وسلموا اليهم مفاتيح البلد ، وكان في ملطية جمع كبير من الروم ومن أصحاب مليح الأرمني ، ومعهم بني ابن نفيس صاحب المقتدر وكان قد تنصر وانضم الى الروم ، فلما أدرك البيزنطيون تقدم أبو العلاء سعيد بن حمدان نحوهم خرجوا منها وخشوا أن يأتيهم سعيد من الخارج في عسكره ، ويثور أهل المدينة بهم من الداخل ، فيهلكوا ، ففاوضوها ودخلها سعيد بن حمدان ، ثم استخلف عليها أميراً ينظم أمورها ثم غادرها ليغزو بلاد الروم وعاد بكثير من الأسرى الروم[1] عاد أبو العلاء منتصراً لكي يشارك في الدفاع عن الخليفة المقتدر ضد أحد قادته من الأتراك وكان على خلاف معه لتعارض سياسة الخليفة مع الأتراك ، فدخل أبو العلاء في صراع ضد مؤنس والى جانب المقتدر ، إلا أن الحظ لم يحالفه في هذه المرة ، وهزم الخليفة وقتل في تلك المعركة سنة 320[2] .

ثم تولى الخلافة اخوه القاهر الذي استهل عهده بقتل قائدين من اكبر قواده وهما اسماعيل النوبختي وابو السرايا نصر[3] . ثم تولى الراضي بعد القاهر ، وكان على الموصل اذاك الحسن بن عبد الله بن حمدان ، فقد كان المقتدر. تقديرا لخدمات ابيه الجليلة التي قدمها للخلافة قد اقر الحسن بن عبد الله على ما كان بيد ابيه من الولايات .

اخذ الحسن يعمل على تدعيم مركزه وتثبيته في الموصل مقتديا بأبيه واعمامه وطموحا منه الى الولاية والسلطات ولذا ضرب بسلطة خليفة بغداد عرض الحائط وامتنع عن توريد كل الأموال التي كانت تأتي لبغداد من الموصل ، مما زاد في حفيظة الخليفة عليه ، ولكنه كان عاجزا عن اخضاعه في ذلك الوقت . غير ان الراضي لجأ الى الحيلة والدس ، وهو الذي خبر التنافس القديم بين ابناء حمدان وطموح كل منهم ، فرأى ان يرمي الحسن بعمه سعيد ، فليحارب العم ابن اخيه كما حارب الاخ اخاه بالامر

---

(1) ابن الشحنة : الدر المنتخب ص197 ـ الزيني 1 -229 ـ الفتوحات الاسلامية .

(2) الذهبي : تاريخ الاسلام17 -243

(3) الذهبي : تاريخ الاسلام17 -243

ولم يفكر ابو العلاء سعيد في التدبير الذي حبكه الراضي ضد اسرتهم ، وكانت اطماعه اكبر من ان يفكر في المصلحة الشخصية لقبيلة تغلب او غيرها ، ولم يفكر الا في الملك والسلطان ، ولقد نجح الراضي فعلا في سياسة « فرق تسد » وسار ابو العلاء سعيد في اتجاه الموصل حيث ابن اخيه الحسن فما ان وصلت طلائع ابي العلاء الى حدود الموصل حتى تلقفتها طلائع ابن اخيه واوقعت بها ، وقبض على عمه وامر بقتله . وهكذا فقد ابو العلاء حياته نتيجة حرص الحسن على امارته واستقلاله(1) .

ولم يكن داود بن حمدان بأقل من أخوته شجاعة وبسالة ، فقد اطلق عليه اسم المجفجف ، وقد مدحه احد الشعراء وكان اذاك يعرض ببعض الأمراء فقال :

لو كنت في الف الف كلهم بطل ... مثل المجفجف داود بن حمدان
وتحتك الريح تجري حيث تأمرها ... وفي يمينك سيف غير خوان
لكنت اول فرار الى عدن ... اذا تحرك سيف في خراسان

وكان داود هذا من اشجع الناس(2) .

هذه هي سير أبناء حمدان الأوائل وعلاقتهم مع الخلافة ، فقد شهدنا كيف بدأ أبوهم حياته ثائراً على الخلافة ، الا أن علاقة أبنائه دخلت في دور جديد هو خدمة الخلافة ، فأصبحوا سيوفها المسلطة على أعدائها ، وكانوا يقفون بالمرصاد ضد كل معتد يريد النيل من الخلافة ، لكننا لا نستطيع أن نجد أحسن من قول الثعالبي حين يقول فيهم :

« كان بنو حمدان ملوكا اوجههم للصباحة والسنتهم للفصاحة وايديهم للسماحة وعقولهم للرجاحة . . .(3) » . . .

---

(1) نفس المرجع 17-155
(2) ابن الاثير 6-220
(3) الثعالبي 1 / 8-9 يتيمة الدهر .

الفصل الثالث

الدولة الحمدانية بالموصل وعلاقتها بالخلافة

الحسن بن عبد الله بن حمدان مؤسس الدولة وعلاقته بالخلافة .
الخليفة المتقي وعلاقته بالحمدانيين .
امرة الامراء في يد بني حمدان .
العلاقة بين الخلافة والحمدانيين قبل مجيء البويهيين.
امرة الامراء في يد بني بويه .
البويهيون في بغداد وعلاقتهم بالموصل .
القبض على ناصر الدولة والعلاقات بين الموصل وبغداد .
استيلاء بختيار على الموصل .
تنافس البويهيين وعلاقتهم بالحمدانيين .
انهيار دولة الحمدانيين في الموصل .

يرى بعض المؤرخين ان ابا الهيجاء عبد الله بن حمدان هو مؤسس الدولة الحمدانية بالموصل منذ توليه عليها سنة 293 هـ[1] ، الا ان هذا الرأي لا يمكن الأخذ به وذلك لان ابا الهيجاء لم يستقر في الموصل طويلا حتى تتاح له الفرصة لكي يرسي قواعد دولته بل عزلته الخلافة عنها وولته حكم بعض البلاد الاخرى .

كما انه لم تتوفر لابي الهيجاء الظروف والامكانيات لكي يعلن استقلاله ويستقل بامور الموصل. فقد رأينا انه ما كاد يعلن عصيانه في عام 302 حتى تقدم يطلب الأمان من قائد الخلافة مؤنس الخادم ، وكان قد توجه نحو الموصل للقضاء عليه ، فخلع الخليفة عليه وعلى مؤنس كما رأينا ، كما ان البيت الحمداني في ذلك الوقت كان منقسما على نفسه نتيجة المنافسة التي قامت دائما بين الاخوين الحسين بن حمدان واخيه ابي الهيجاء ابن حمدان مما أدى الى ضعف شأنهما أمام الخليفة في بغداد، وأمام الأحزاب المنافسة لهم في العاصمة وفي بلاط الخليفة .

كما ان موقف العناصر الاخرى المؤيدة للاسرة الحمدانية في الجزيرة والموصل كان تائها بين الاخوين ، ولو انهم اتحدوا لكان ذلك اقوى لهم واحسن اثرا لمستقبل اسرتهم وبلدهم التي يقيمون فيها .

ولكل ما سبق نستطيع ان نقرر مطمئنين بان ابا الهيجاء بن حمدان ليس هو

---

(1) ابن خلدون 4 -229 ـ سيديو ـ تاريخ العرب ترجمة زعيتر ص236 دائرة المعارف الاسلامية .

الحسن عبد الله بن حمــدان مؤسس الدولــة وعلاقتــه بالخلافة

قتل والده كما رأينا في عام317 في الفتنة التي قامت لخلع المقتدر وتقديرا من الخلافة لخدماته اقرت ابنه الحسن على ما كان يحكمه ابوه من الولايات(1) يضاف اليها قردى ويازندي(2) . الا أن الحسن لم يكد يستقر في ولايته حتى ثارت في وجهه الفتن والاضطرابات،فكان من اهم الخارجين عليه ابن مطر(3) الذي قوي امره في تلك المنطقة فسار اليه الحسن ولم يمهلهوتقابل معه في نصيبين واشتد القتال بينهما حتى وقع ابن مطر اسيرا في قبضته(4) .

ولم تمض مدة طويلة حتى غيرت الخلافة رأيها في الحسن بن عبد الله وعزلته عن الموصل وولتها لعميه سعيد ونصر(5) ، وقلدته بدلها ديار ربيعة ونصيبين وسنجار والخابور ورأس العين ومعها من ديار بكر ميافارقين وارزن(6) .

وفي تلك الفترة حدثت وحشة بين مؤنس قائد جيش الخليفة والخليفه نفسه فثار عليه(7) ، فأرسل الخليفة كتبه الى جميع قواده كبني حمدان بالموصل وابن طغج في دمشق والى غيرهم يأمرهم بقطع الطريق على مؤنس والقبض عليه(8) ، وكان الوزير في بغداد قد أصدر مرسوما بمصادرة املاك مؤنس(9) .

---

(1) للذهبي ـ دول الاسلام ـ1 -156
(2) ابن خرداذبه ـ المسالك والممالك ص245
(3) العيني ـ عقد الجمان13 -125 مخطوط بدار الكتب (مصور)
(4) زبدة الفكرة5 -218 مخطوط بجامعة القاهرة (مصور)
(5) ابن كثير ـ البداية11 -165
(6) ابن الاثير6 -208
(7) لابن العبري ـ مختصر الدول ص273 .
(8) ابن عريب ـ صلة تاريخ الطبري118
(9) لابن كثير ـ البداية والنهاية11 -168

تقدم مؤنس في اتجاه الموصل حيث بني حمدان ، وكان يعتقد انهم سوف يقفون الى جانبه لاحسانه اليهم وفضله عليهم فقد كان يقول عندما يأتي ذكرهم « هؤلاء اولادي وانا اظهرتهم[1] » ولما علم ابناء حمدان بمسير مؤنس اليهم بعثوا اليه برسالة يطلبون فيها منه عدم التوجه اليهم حتى لا يحرجهم مع الخليفة ، فقال للرسول « قل لهم عني قد كنت ظننت فيكم غير هذا وما اخذت نحوكم الا لثقتي بكم وطمعي في شكركم »[2] .

وسار مؤنس في طريقه الى الموصل حيث كان يكتب الى رؤساء العرب يستميلهم ويبذل لهم الأموال والخلع ويقول لهم قد ولاني الخليفه الموصل وديار ربيعه[3] . فاجتمعت بنو حمدان لحربه بعدما تردد داود بن حمدان لفضل مؤنس عليه الا انهم ظلوا به حتى اقنعوه ليكسبوا رضا الخليفة ويظهروا اخلاصهم له ولكي يكفروا عن اخطاء الحسين وعبد الله ابني حمدان مع الخلافة .

تقابل مؤنس مع الحمدانيين وكانوا في ثلاثين الفا الا ان مؤنس انتصر عليهم واقام بالموصل حتى سار اليه الحسن بن عبد الله مستأمنا ،بعد ان يئس من امدادات الخلافة وعاد اخوه سعيد الى بغداد وتوافدت العساكر من بغداد وبعض الجهات الاخرى لاحسانه اليهم وبره عليهم[4] . ولم يمكث مؤنس طويلا في الموصل وعاد الى بغداد ليطالب بأرزاق جنده فخاف الخليفة منه واراد الهرب الى واسط[5] ، لكن قواده وعلى رأسهم هرون بن غريب وسعيد بن حمدان .شجعوه على الخروج لقتال مؤنس واوهموه ان جيش مؤنس سوف ينضم اليه بمجرد ظهوره لهم لكن المعركة حدثت فكانت نهاية المطاف لعهد المقتدر الذي انحطت الخلافة في عهده[6] ، واصبحت الخلافة في ايامه اشبه بالدولة التركية.عندما كانت دول اوروبا تسميها « بالرجل المريض » ولما تولى القاهر

---

(1) ابن عريب ـ صلة تاريخ الطبري118 .

(2) نفس المصدر .

(3) ابن الاثير .

(4) ابن خلدون3 -390 ـ بن تغري بردى النجوم الزاهره3 / 232 -233

(5) ابن العماد ـ شذرات الذهب2 -281

(6) ابن كثير ـ البداية والنهاية11 / 168 ابن خلدون3 / 391 الصبر وديوان المبتدأ والخبر .

الخلافة بعد المقتدر لقي مؤنس مصرعه على يد الخليفة الجديد[1] ، ووقعت الفتنة بين بني ثعلبة وبني اسد ومعهم طبي ضد بني مالك ومـن معهـم من تغلـب[2] ، فركب الحسن بن عبد الله ومعه ابو الاغر بن سعيد بن حمدان ليصلح بينهم فوقعت خلافات بينهم ادت الى قتل ابو الاغر على يد رجل من بني ثعلبه ، فحمل عليهم الحسن بن عبد الله وطاردهم حتى الحديثةوهناك لقيهم يانس غلام مؤنس واليا على الموصل فانضم اليه بنو ثعلبة وبنو اسد وعادوا الى ديار ربيعه[3] .

ولم تطل ايام القاهر وتولى بعده الراضي . وفي عهده سنرى ان سياسة الحسن بن عبد الله بن حمدان ازاء الخلافة ستتخذ اتجاهين مختلفين .الأول هو اتباع والده في خدمة الخلافة وحمايتها الى ان تسقط في يد العنصر الفارسي الجديـد « البـويهيين » ، وعندئذ سيبدأ الاتجاه الثانـي حيث يصبـح الصراع على اشـده بـين العنصر العربـي والعنصر الفارسي .

بعد أن استقر الحسن بن عبد الله في الموصل اخذ يعمل على تدعيم مركزه هناك وتثبيت دعائم ملكه. يشد ازره ويساعده اهله وعشيرته وقام باصلاحات زراعية هدفها زيادة الثروة وكثرة الانتاج لان الثروة في ذلك الوقت كانت تعتبر عصب الدولة وعمادها فأدخل حاصلات زراعية جديدة . . . . ادت الى ارتفاع دخل الموصل فزادت ثرواتـه وكثر أتباعه[4] .

استبد الحسن بن عبد الله بن حمدان بالسلطة في الموصل واستأثر بأموالها لنفسه حتى انه لم يهتم بالخليفة في بغداد والذي وقف عاجزا لا يستطيع القضاء عليه ،ولشدة حقد الراضي على الحسن بل على الحمدانيين بصفة عامة والى ان يرميه باقرب اقربائه وهو ابو العلاء سعيد الذي كان الراضي يتخذ منه صديقا حميا وذلك لانه نصر والده في حروبه[5] .

---

(1) ابن كثير - البداية والنهاية 11 - 173 .

(2) زبده الفكرة 5 - 229 .

(3) ابن خلدون 3 - 409 .

(4) ابن حوقل - صورة الأرض - ص 212 - 219 .

(5) العيني - عقد الجمان 13 - 431 - مخطوط بدار الكتب (مصور)

وهكذا اراد الخليفة ان يوقع العداوة والبغضاء بين رجال هذه الاسرة الباسلة التي اقضت مضجعه .فلم يجد من وسيلة الا ان يستعمل معهم سياسة « فرق تسد » حتى يغري ابناء العمومة ببعض وان يحاربهم بسلاحهم ويطعنهم برماحهم ، فاذا ما انتصر احدهم على اخيه هلل له وكبر ونثر فوقه ازهار المديح والثناء ، وهو يرى في دخيلة نفسه انه قد استراح من فريق عظيم منهم وان الفرصة لا بد آتية للقضاء على الفريق الآخر ، وهذه حيل الضعفاء فانهم اذا ما فقدوا سلاح القوة برعوا في نسج الحيل ونصب الشراك وتدبير المؤامرات .

وتقدم ابو العلاء سعيد بن حمدان الى الموصل وكان قد ضمنها من الراضي سرا على مال يحمله(1) ، وكانت جواسيس وعيون ناصر الدولة قد طيروا اليه الخبر فاستعد لاستقبال عمه الذي يطمع في امارته فاخذ اهبته على عجل وما كاد ابو العلاء يصل الى ارض الموصل حتى وقع في يد ابن اخيه وتخلص منه على الفور (2) . ولا نستبعد ان تكون هذه الحيلة التي دبرها الراضي قد دفعه اليها بعض الاحزاب او الشخصيات المنافسة للاسرة الحمدانية التي بدأت تلعب دورا هاما وخطيرا على ارض شمال العراق .

ولما بلغ الخبر الى الراضي عظم عليه الامر وحسب ان الفرصة قد اتت للخلاص من الحسن بن حمدان فامر الوزير ابن مقله بان يجهز جيشا ويسير الى الموصل ويوقع بالحسن بن عبد الله بن حمدان .او يحمله الى بغداد على ان يدفع للخليفة عشرة الاف دينار(3) ، وخلف الوزير ابنه ابا الحسين في موضعه(4) وما كاد ابن مقله يطأ ارض الموصل حتى رحل عنها الحسن بن عبد الله فتبعه(5) الا انه لم يتعقبه وعاد الى الموصل يستخرج الأموال ويقترض من التجار على غلات البلد فجمع اربعمائة الف دينار(6) . وهكذا اصبح هؤلاء المتغلبون لا هم لهم الا ابتزاز الأموال واستثمار خيرات البلاد .

---

(1) ابو الفداء ـ المختصر في اخبار البشر 2-83 .

(2) الذهبي ـ دول الاسلام 1-156 .

(3) الصولي 64 : الاوراق ـ او تاريخ الدولة العباسية من سنة 322 الى سنة 333 هـ .

(4) ن . م

(5) ابن كثير ـ البداية والنهاية 11-182

(6) الذهبي ـ تاريخ الاسلام 17-105 ـ مخطوط بدار الكتب ـ ابن العماد ـ شذرات الذهب 2-297

ولما طال المقام بالوزير ابن مقله في الموصل احتال بعض اصحاب ابن حمدان ببغداد على ابن الوزير ودفعوا اليه عشرة آلاف دينار على ان يستحث اباه على الرجوع الى بغداد (1) ، وقبل ابن الوزير العرض وكتب الى ابيه بان اموراً خطيرة في العاصمة تستلزم عودته فورا ، وما ان تسلم ابن مقله كتاب ابنه حتى عاد بسرعة بعد ان ولّى على الموصل احد ثقاته ، وكان من الطبيعي ان يعود ابن مقلة وذلك لان الكتاب من ولده كما ان الحالة في بغداد كانت غير مستقرة فما اسرع ان تحاك فيها المؤامرات وتثار الفتن والاضطرابات .

وعندما عاد ابن مقلة الى بغداد عاد الحسن بن حمدان الى الموصل وهزم نائب الخليفة وطرده (2) ، وكتب الى الراضي يعتذر له ويطلب منه العفو وان يضمن البلاد التي بيده فاجيب الى طلبه على ان يعجل خمسمائة الف درهم (3) ، وقلده الخليفة حكم البلاد من آمد الى تكسريت نظير مال يدفعه فاستقام امره وازيل عنه من بالموصل (4) .

استغل الروم هذه الفرصة وتقدموا نحو الحدود الاسلامية في عام 324 الى آمد وسمباط فتقدم اليهم علي بن حمدان ـ وكان اخوه الحسن قد دعم امره في الموصل ـ وكان هذا اللقاء مع البيزنطيين يعتبر اول صدام بين علي بن عبد الله وبينهم وكانت له معهم جولة ، وفي نفس السنة عاشت أعراب بني نمير وقشير ملكوا ديار ربيعة وشنوا الغارات (5) ، وكانت نتيجة المعركة التي خاضها علي بن حمدان ضد الروم ان هزمهم عند مروج وطردهم الى ناحية سنجار وبعث الراضي بالله بالخلع الى صاحب الموصل الحسن بن عبد الله بن حمدان وبعث هذا ابن عمه الحسين بن سعيد الى آذربيجان وكان على ديار بكر اخوه علي (6) . وهكذا نلاحظ ان الحسن بن عبد الله وضع اسس دولته باعتراف من الخليفة الراضي نفسه كما قرر الذهبي حين قال « ونفذ الراضي بالله خلع الملك الى صاحب الموصل » وعين من قبله نوابا على ولاياته .

---

(1) زبده الفكرة 6 ـ ابن خلدون 4-231 مسكويه ـ تجارب الامم 1-323

(2) العيني ـ عقد الجمان 13-431 .

(3) ابن خلدون 4-231 .

(4) الصولي 71 : كتاب الاوراق : أو تاريخ الدولة العباسية من سنة 322 الى سنة 333 هـ .

(5) ابن تغرى بردى ـ النجوم الزاهره 3-258

(6) الذهبي ـ تاريخ الاسلام 18-161

وفي نفس الوقت كانت الخلافة في غاية الضعف فقد قلت الثروات وانتشر الغلاء في العاصمة بسبب استقلال امراء الاطراف[1] .

فارسل الحسن بن عبد الله صاحب الموصل بمائة كر من الدقيق يفرق بسر من رأى وبغداد على الاشراف ففرح به الناس وشكروه[2] ، ولكن الراضي عندما رأى توقف الحال وعجز وزرائه عن تدبير امور الدولة كاتب ابن رائق الذي كان ابرز شخصية في ذلك الوقت وجعله الخليفة اميرا للامراء فتولى الأمور كلها حتى اصبح الخليفة الى جانبه صورة بلا معنى[3] ، وبالتالي ضعف امر الوزارة حتى ان الوزير لم يعد في يده امر من الامور[4] ، ولقد كان من الطبيعي ان يؤدي ضعف الخلافة الى ضعف الوزارة وذلك بشهادة من الراضي نفسه عندما قال « ان الوزارة قطعة من الخلافة ووهنها وهن الخلافة[5] » .

اذن فما هو اثر هذا المنصب الجديد ؟

الواقع ان هذا المنصب لم يكن له اي اثر ايجابي بل اضر بالخلافة ولم يحقق الغرض .وهو انقاذ البلاد من الهوة السحيقة التي انحدرت فيها بل ازدادت سوءاً واضطرابا حتى اضحى هذا المنصب مدار الصراع والنضال .كما كان منصب الخلافة من قبل[6] . فقد رأينا ان امير الامراء يستبد بالسلطة كلها دون الخليفة والوزير ، ورأينا ايام الراضي والمتقي انها كانت عبارة عن سلسلة من المنازعات والمنافسات التي لم تنقطع بين رجالات الدولة العباسية الذين عمل كل منهم على الاستئثار بالسلطة وتولى أمرة الامراء ، فقد وقع الصراع بين ابن رائق وابي عبد الله البريدي صاحب الاهواز وخرج بجكم على ابن رائق وانتزع منه السلطة وسنرى ان الحمدانيين سيسلكون نفس الطريق لكي يصفو لهم ويتصدروا السلطة في بغداد .

---

(1) ن كثير ـ البداية والنهاية 11-184 .

(2) الصولى 71 : كتاب الاوراق : أو تاريخ الدولة العباسية من سنة 322 ـ سنة 333 هـ .

(3) لذهبي ـ دول الاسلام 1-156 .

(4) كانار ص 9 ـ اخبار الامير سيف الدولة الحمداني

(5) الصولي 135 : كتاب الأوراق أو تاريخ الدولة العباسية من سنة 322 الى سنة 333 هـ .

(6) سيديو ـ تأريخ العرب العام ص 238 .

استطاع بجكم ان يتغلب على ابن رائق ويستبد بالسلطة دونه فخلع عليه الخليفة، وقال له « قد جعلتك أميراً » وعقد له لواء، فقال بجكم يا مولاي ما أريد الا ان تزاح علتي في ارزاق اصحابي وقت استحقاقهم وعقد له لواء المشرق(1) ، الا ان سيديو يقرّران بجكم قد ارغم الراضي على توليه أمرة الامراء(2) ، ومن الممكن ان يكون سيديو على حق لان بجكم كان يدرك ان خزانة الدولة خاوية حتى ان الخليفة عجز عن ان يسدد ارزاق جنده ، وقد قال الراضي عن افلاس خزينته عندما هاجمه القرامطة قال «لو كان لي مال كمال المكتفي حين فعل ذكرويه بالحجاج ما فعل فطلبه بالجيش والاموال حتى فصمه لما رضيت والله الا ان اخرج بنفسي الى البحرين ولكن ما حيلتي في جند مستحثين قد ملكوا الامر دوني وعوز مال وانخراق هيبة الى الله اشتكي وبه استقر »(3).

هذه هي حال الدولة وميزانيتها بينما بجكم يطلب بارزاق جنده ويعتقل الناس ويطالبهم بالأموال(4) وبينما كان الحسن بن عبد الله يمتنع عن انفاذ الأموال المستحقة عليه ولذا اتفق الخليفة مع بجكم على مهاجمة ابن حمدان وطرده من الموصل وانتزاع امواله لكن مشاعر العامة لم تشاركهم في هذه المؤامرة ويقول الصولي « كرهت العامة خروج السلطان الى الموصل لمحبتهم للحسن بن عبد الله وعنايته بانفاذ الدقيق اليهم ولبره بالاشراف وما يتصدق به على الضعفاء بسر من رأى وبغداد ولكفاية اخيه علي في آمر الثغور والغزو وعنايته بغزو الصائفة وغيرها(5) » .

تقدم بجكم على رأس قواته في اتجاه الموصل والتقى في طريقه بعدة زواريق تحمل الشعير والدقيق الى الخليفة الا ان بجكم صادرها وفرقها في اصحابه(6) ثم تابع سيره حتى التقى بالحسن بن حمدان فلحقت الهزيمة ببجكم في بداية المعركة الا انه انتصر في النهاية(2) ، وبعث بجكم الى الراضي يبشره بالفتح فتقدم الخليفة من فوره الى

---

(1) الصولي 106-107 : الاوراق - او تاريخ الدولة العباسية سنة 322 هـ الى سنة 333 هـ .

(2) سيديو - تاريخ العرب العام ص 238

(3) الصولي - 69-70 : الاوراق : تاريخ الدولة العباسية سنة 322 - سنة 333 هـ .

(4) آدم متز - تاريخ الحضارة الاسلامية 1-224 .

(5) الصولي ص 108 : الاوراق تاريخ الدولة العباسية من سنة 322 الى سنة 333 هـ .

(6) مسكويه - تجارب الامم 1-405

(7) ابن كثير - البداية والنهاية - 11-189

الموصل[1] ، وكان ذهاب الخليفة الى الموصل فرصة استغلها ابن رائق وظهر في بغداد ومعه الف من القرامطة فخربوا العاصمة وقاموا باعمال السلب والنهب [2] ، وقوي امر ابن رائق حتى انه فكر في عزل الخليفة فيقول الصولي « حتى كاتب في امر الخلافة جماعة . . . [3] » .

اما بالنسبة للحسن بن حمدان فقد سارت الرسل بينه وبين بجكم وتعهد الحسن بان يدفع الأموال المستحقة عليه ، لكن الخليفة رفض في البداية توقيع الصلح مع ابن حمدان لشدة غضبه عليه ، وما زال بجكم يضغط على الخليفة حتى قبل الصلح[4] ، وكان بجكم مضطرا الى عقد الصلح حتى يتفرغ للقضاء على منافسه ابن رائق الذي ظهر في بغداد ولان جنده اخذوا في التسلل الى بغداد كما حدثت وحشه بين اصحابه واهل الموصل مما جعل موقف بجكم حرجا حتى انه عندما طلب ابن حمدان الصلح من بجكم اجابه الى ذلك[5] ، وفي نفس هذه السنة تعاهد بجكم مع الحسن بن حمدان وتبادلا الهدايا الثمينة[6] ، وبهذا قوي مركز الحسن بن حمدان حتى اصبحت بغداد سندا له يساعده بجكم رجل الموقف في ذلك الوقت .

ولما كانت المراسلة ما زالت بين ابن حمدان وبجكم وصلت رسل ابن رائق الى الخليفة بالموصل واتفق الطرفان على ان يخرج ابن رائق من بغداد ويتولى ديار مضر (حران ـ الرهان ـ الرقة) ويضاف اليها العواصم وقنسرين [7] ، فخرج ابن رائق ودخل بجكم والخليفة بغداد وكان قد غرق كثير من اصحاب بجكم فكان الناس يقولون أنه عقابهم على عدوانهم على أهل الموصل[8] ، وعاد الحسن بن عبد الله الى ديار ربيعة

---

(1) مسكويه ـ تجارب الامم 1-405 .

(2) ابن الجوزي ـ المنتظم 6 / 295-296 .

(3) الصولي ص120 ـ الأوراق : تاريخ الدولة العباسية من سنة 322 ـ سنة 333 هـ .

(4) الصولي 131 .

(5) الذهبي ـ تاريخ الاسلام 18 -170

(6) ابن العماد ـ شذرات الذهب 2 - 308 .

(7) ابن خلدون 4 -231 ـ الصبر .

(8) الصولي 131 : الاوراق : تاريخ الدولة العباسية من سنة 322 ـ سنة 333 هـ

والموصل ليرتب اموره من جديد ويعيد تنظيم دولته .

ويعلل سيديو تدعيم مركز الحسن بن حمدان في تلك المنطقة . قد ساعد الاخشيديين على اعلان استقلالهم في مصر ، ويرى ايضا ان الخلفاء قد اخطأوا اذ تركوا الوحدة المصرية الشامية قائمة بعد سقوط الطولونيين مكتفين بتبديل ولاتهم بعد حين وآخر فلما ادرك الاخشيديون قرب سقوط دولتهم اعلنوا استقلالهم [1] .

ومن الجائز ان يكون استقلال الحمدانيين في الموصل وتركزهم هناك قد ساعد الاخشيديين على اعلان استقلالهم لان الخلافة بضعفها اصبحت خاضعة لضغط شديد في منطقتين. فالحمدانيون يضغطون من الشمال ، والاخشيديون يضغطون من الجنوب فلم تجد الخلافة امام هذا الموقف بدا من ان تقر كلا في منطقته لان الحاكمين في بغداد عاجزون عن المقاومة كما ان الضرورة الاستراتيجية كانت تتطلب ان تحيط الخلافة نفسها بسياج قوي يحميها ضد غارات البيزنطيين من الشمال وضد اطماع الفاطميين من الغرب . ولكن رغم ان الاخشيديين والحمدانيين كانوا في الحقيقة مستقلين ولا يرتبطون بالخلافة الا بذلك الرباط الديني والتبعية الاسمية الا انهم حافظوا على هذه التبعية حتى لا يصبحوا خارجين على طاعة الخلافة مما يضعف من مركزهم وهيبتهم في نظر العالم الاسلامي .

اما عن خطأ الخلفاء في المحافظة على الوحدة المصرية الشامية فمن الواضح ان الموقف وطبيعة الظروف كانت تتطلب ان تظل الوحدة قائمة وذلك لان كلا البلدين كانت مهددة بالأخطار. فالشام يهدده خطر الزحف البيزنطي وغارات القرامطة التي لم تنقطع اما مصر فهي مهددة هي الاخرى بالخطر القرمطي من جهة وبالخطر الفاطمي اذ استقر الفاطميون في بلاد المغرب العربي واخذوا يتطلعون الى مصر لتصبح قاعدة الانطلاق نحو الشام والعراق من جهة ونحو البيزنطيين من جهة اخرى .

كل هذه الاخطار كانت تتطلب يدا قوية في مصر والشام كيد الاخشيد الذي حشد جيوشه ووقف صامدا امام الخطر الفاطمي والقرمطي وامام البيزنطيين . ولقد كان

---

(1) سيديو ص236 : تاريخ العرب العام .

واحدا من تلك الاخطار كافيا لزعزعة امبراطورية قوية. وما الحال وقد تجمعت كل تلك الاخطار في فترة عصيبة من فترات ضعف الخلافة ؟

اما عن موقف الخليفة الراضي المتعنت من الحسن بن عبد الله بن حمدان فيتضح في قول الخليفة : « نظرت فاذا الدنيا لا تفي برزق جند بجكم ومؤونتي وان هذه المستخلصة التي في يدي احتاج ان اتمم فيها مال اصحابه فقلت نسير الى الموصل وهي الناحية العامرة، واكثرها ضياع آل حمدان فأقبضها كلها وانفرد بأولئك واجعلها لبجكم واصحابه وهي كفاية وفاضلة عنهم ويخلص لي مال ضياعي فاوسع على الناس منه واعطي من حرمت واجعل في بيت المال شيئا يرجع الناس اليه». كان الحديث للصولي ـ فقلت له « ان هذه الناحية انما عمرت بعناية بني حمدان ونزولهم فيها ، ولو صارت الى غيرهم لعادت خرابا »[1] .

هذا هو موقف الخليفة وعلاقته بالاسرة الحمدانية التي اخذت تنمي نفوذها في الشمال ، فقد كان الراضي كما رأينا هو الذي كان سببا في قتل ابي العلاء سعيد بن حمدان ، وهو الذي حاول التخلص من الحسن ، الا انه فشل ، واليوم نراه يريد تجريدها من الأراضي التي تملكها والتي استصلحتها وزرعتها ، مما يدل على ان الخليفة حسد الحمدانيين وبغضهم الا انه لم يفلح في الاطاحة بهم لقوتهم ونبوغهم السياسي من جهة ومنزلتهم عند الناس. فنحن نجد ان الصولي وهو من المقربين الى الراضي يقول له ويحثه على الصلح مع الحسن بن حمدان .

امواله نحونا موجهة بنائل لا تحت ورده
يعلى لنا الحال والمحل به فلا سؤال له نردده

لو جاز ان يعبد العباد سوى الخالق كنا للبر نعبده

وقال ايضا :

ومؤثر لحقن الدماء فقد قافت اليه للعيش ترده

---

(1) الصولي 131 -132 : الاوراق او تاريخ الدولة العباسية من سنة 322 ـ سنة 333

مستيقظا نعمه المطيع له يحمل ما في الضمان يعقده
يقبل منه ضمان موعده فليس يخشى فيه تزيده.[1]

هذا هو موقف الخلافة وموقف العامة من الدولة الحمدانية في الموصل والتي اخذت على عاتقها مهمة الدفاع عن الحدود الاسلامية في الشمال فقد استغل الدمستق فرصة انشغال الخلافة وضعفها وتقدم الى الحدود الاسلامية فتصدى لهم علي بن عبد الله ابن حمدان الاخ الاصغر للحسن وهزمهم فوصلت انباء هزيمتهم الى بغداد ففرح الناس[2] .

كان على الحسن بن عبد الله بن حمدان وهو يرسم الخطوط العريضة لمعالم دولته الجديدة ، يضع في حسابه الاخطار والفتن في مواقعها الحقيقية ويستعد لمواجهتها والتغلب عليها ، فهو يواجه موقف بغداد التي تتطلع لاجلائه عن الموصل كما يواجه الفتن الداخلية وخطر الروم وتهديد الاخشيد الذي كان يتطلع اليه بعين القلق لان الحمدانيين اعتبروا ان الشام منطقة نفوذ لهم،وان لم يحن الوقت ليتقدموا اليه .

في ظل هذه الظروف السيئة توفي الراضي ثم تبعه بجكم بعد عام واحد واستراحت الاسرة الحمدانية بموتهما وتولى المتقي .

---

(1) الصولي ـ113 : الأوراق او تاريخ الدولة العباسية من سنة 322 ـ سنة 333 هـ

(2) ابن تغري بردى ـ النجوم الزاهرة 3 -266 ـ ابن العماد ـ شذرات الذهب 2 -310 ـ الذهب دول الاسلام 1 -157 .

(الخليفة المتقى وعلاقته بالحمدانيين .)

عندما مات بجكم انقسمت جنده على نفسها فسار فريق منهم الى البريدي بالبصرة وانضم الفريق الآخر الى الحمدانيين في الموصل[1] ، ولم يكن انصراف الجند على هذا النحو شيئا عفويا بل كان الجند يمارسون السياسة ويعرفون تياراتها فالذين انضموا الى الحمدانيين كانوا يدركون انهم يمسكون بزمام الموقف بينما كان الذين انضموا الى البريدي يرون فيه أنه بطل الموقف ، وسنرى ان كلا من فريقي الجند كان على حق ، فقد تولى البريدي امرة الامراء ثم تولاها بعده الحمدانيون . تقدم البريدي الى بغداد مستغلا فرصة موت بجكم الا ان المتقي لم يرحب به كامير للامراء حيث ان البريدي لم يكن تلك الشخصية القوية التي يمكن ان تنقذ البلاد،كما انه كان يصانع بني بويه في الاهواز وفارس والقرامطة في البحرين ولا تظهر قوته الا في الجبهة الضعيفة اى في بغداد[2] ، ولهذا كاتب الخليفة محمد بن رائق ليوليه امرة الامراء مرة اخرى[3] ، واستطاع ابن رائق ان يحقق نصرا ساحقا على كورتكين الديلمي بمساعدة اهالي بغداد وطرده منها واستوزر البريدي الا انه عزله فيما بعد[4] . ثار حنق البريدي واخذ يحشد جموعه ويستعد لدخول بغداد وطرد ابن رائق منها وقاد ابو الحسين أخو ابو عبد الله البريدي الحسين ودخل بغداد فقاتله اهلها وتفاقم الحال وزاد الغلاء وانتشرت الامراض[5] ، وانهزم ابن رائق امام جيش البريدي الذي دخل بغداد وقام بالسلب والنهب والقتل واستخراج الاموال والتشفي من الاعداء واحتوى على دار الخلافة وما فيها[6] . وكان الخليفة قد راسل الحسن بن عبد الله وطلب معونته وانقاذ بغداد من يد البريديين[7] ، فارسل الحسن اخاه علي نجدة له في جيش كثيف والتقى مع المتقي لله

---

(1) ابن الاثير 8-131

(2) العالم الاسلامي 379-380 ـ د . حسن محمود ـ د . احمد الشريف .

(3) ابن خلدون 4-231 .

(4) الصولي 223-224 الاوراق : او تاريخ الدولة العباسية من سنة 322 الى سنة 333 هـ .

(5) مسكويه ـ تجارب الامم 2-25

(6) كانار ص 11 ـ اخبار الامير سيف الدولة الحمداني

(7) ابن كثير ـ البداية والنهاية 11-202

وابنه وابن رائق بتكريت[1]. فحمل اليهم علي بن حمدان الاموال والثياب كما اكرم سائر القـواد والجنـد حتـى لهجـت الألسنـة بشـكره[2] . ثم اصطحبهـم الى اخيه الحسن بالموصل .

ومن المعروف ان الحسن بن حمدان كان على علاقة غير طيبة مع ابن رائق ورغم انه كان شهماً مقداما الا انه كان عظيم الكبر مستبدا برأيه [3] ،وكان يبدي احتقاره لبني حمدان ، وقال لعلي بن عبد الله بن حمدان : اي شيء تسوون انتم واي يوم كان لكم ،وهل انتم الا اعراب[4] ولهذا فعندما علم الحسن بن عبد الله بقدوم ابن رائق عليه خرج من الموصل الى حلثايا[5] ، وأوصل التحف والضيافات ولم يجيء الى الخليفة خوفاً من الغائلة من ابن رائق[6] ، وسارت بينهما الرسل وقيل لابن رائق بألاّ يلجأ الى بني حمدان فقال « لو وقع سوطى ما نظروا اليه[7] ». وسار هو وابن الخليفة الى الحسن بن عبد الله للسلام عليه فاحتفل بهما[8] ، ولما هم ابن رائق بالانصراف مع ابن الخليفة اعترضه اصحاب الحسن بن عبد الله وتخلصوا منه وارسل الحسن الى الخليفة يخبره بالامر وان ابن رائق كان ينوي قتله فاستدعاه الخليفة وولاه امرة الامراء ولقبه ناصر الدولة ولقب اخاه عليا بسيف الدولة[9] ، وامر الخليفة ان تنقش اسماؤهما على الدنانير والدراهم وهذه فضيلة لم يسبقهم اليها احد[10] ، ولقد كان غرض الخليفة من الانعام عليهما بمثل هذه الالقاب ان يوهم الناس بأنه هو الذي منحهما هذه السلطة وهما في الحقيقة يتمتعان بالاستقلال من قبل[11] .

---

(1) الطباخ ـ اعلام النبلاء1 -242

(2) كاتار ص11 : اخبار جامعة للامير سيف الدولة الحمداني

(3) ابن العديم ـ زبدة الحلب في تاريخ حلب1 -102

(4) آدم متز . 1 -28 ـ تاريخ الحضارة الاسلامية .

(5) زبدة الفكرة جـ6 .

(6) ابن كثير ـ البداية والنهاية11 -202

(7) ابن سعيد ـ المغرب ص29 ـ في حلى المغرب

(8) الذهبي ـ تاريخ الاسلام18 -179 ـ ابن الاثير8 -124

(9) الذهبي ـ دولة الاسلام1 -159 ـ

(10)كاتار ص11 ـ اخبار الامير سيف الدولة الحمداني .

(11)فيليب حتي ـ تاريخ سورية2 -193

وقال الشاعر في هذه المناسبة .

من كان شرفه فيما مضى لقب　　فناصر الدين ممن شرف اللقبا
دعوك ناصرا لما نصرتهم　　واعجز العجم ما حاولت والعربا[1]

لكننا نرى أن إقدام الحمدانيين على قتل ابن رائق يرده أبو فراس الى أنه كان لهم ثأر عند أبي رائق الذي كان قد قتل عمار العقيلي .

فيقول ابو فراس :

لقد علمت قيس عيلان أننا　　بنا يدرك الثأر الذي قل طالبه
وانا نزعنا الملك من عقر داره　　وننهك القرم المنيع جانبه
وانا فتكنا بالاغر بن رائق　　عشية دبت بالفساد عقاربه
اخذنا لكم بالثأر ثأر عماره　　وقد نام لم يهد الى الثأر صاحبه[2]

والحقيقة ان قتل ابن رائق على يد الحمدانيين كان نتيجة طمعهم في السلطة وكان الحمدانيون يعتبرون ان ابن رائق عقبة في طريقهم للاستقلال بالشام وهي في رأيهم منطقة نفوذ لهم[3] .

ولم يكن هذا الحادث سوى حلقة في سلسلة متصلة الحلقات من الصراع السياسي على امرة الامراء في بغداد ورأينا كيف كانت البلاد تقاسي مرارة الحروب الاهلية والمنافسات بين رجالات الدولة وكل يريد الاستئثار بهذا المنصب . وهكذا اصبحت امرة الامراء في يد بني حمدان ذلك المركز الذي حرم منه العنصر العربي ، ومن هنا.فقد اخذ الحمدانيون يعملون على تثبيت مركزهم في بغداد وكسب الأصدقاء. ومن هنا بدأت تظهر عظمة الحمدانيين شامخة عالية . . .

وما ان علمت بغداد بما حدث في الموصل حتى فارقتها الاتراك وانضموا الى

---

(1) ابن خلدون ـ ديوان ابي فراس 2 -110 الصيئي ـ عقد الجمان 13 -499 .
(2) الديوان 2-43 ـ ابو فراس .
Muir the caliphate 576 (3)

امرة الامراء في أيدي بني حمدان .

بعد ان تخلص الحمدانيون من ابن رائق. صفا لهم الجوليتولوا هذا المنصب الذي يعتبر من اهم مراكز الدولة آنذاك ، وكانوا يحكمون الجزيرة والموصل ويقومون بصد هجمات الروم ضد الدولة العباسية ، ولهذا اهتموا باستقرار الامور في العراق ليصمدوا أمام هجمات المعتدين . الا ان اهتمامهم بالموصل كان اكثر لطبيعة موقعها واهميته الثغرية الذي يكسبهم رضى وعطف العالم الاسلامي .

تدخل الامير الحمداني في امور الخلافة من اجل اصلاح أمورها فكان يهدف الى طرد العناصر القديمة فبدأ بالتخلص من ابن رائق ثم عاد مع الخليفة الى بغداد ليكمل المهمة التي أخذها على عاتقه .

وما ان علم البريدي بتقدم الخليفة في صحبة بني حمدان حتى غادر بغداد[1] ، واقيمت القباب لاستقبال الخليفة ومعه امير الامراء الجديد حاملا الاموال لعمارة العاصمة فضج الناس بالدعاء له وشكروه[2] ، وما ان حل ابن حمدان في بغداد حتى استوزر القراطي وولى توزون التركي شرطة جانبي بغداد[3]، وخلع الخليفة على ناصر الدولة واخيه سيف الدولة وعلى ابي عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان[4] .

وبعد فترة وجيزة جاء الخبر بان البريدي قد تقدم من واسط قاصدا بغداد فخاف أهل بغداد من أعماله الوحشية التي شهدوها من قبل .

وأما الخليفة فانه عبر الى الزبيدية بحيث يظل الى جانب ناصر الدولة وفي حمايته من البريدي[5] ، كذلك هربت جماعة من وجوه بغداد وأهلها فتقدمت قوات ناصر الدولة

---

(1) ابن تغري بردي - النجوم الزاهرة 3 -275 - شذرات 2 -324

History of the moslem wold. p. 1 234

(2) الصولي 225 : الاوراق أو تاريخ الدولة العباسية من سنة 322 الى سنة 333 هـ

(3) ابن كثير - البداية والنهاية 11 -203 .

(4) تجارب الامم 2 -29 .

(5) الذهبي - تاريخ الاسلام 128 -179 .

وعلى رأسها اخوه سيف الدولة [1] ، وكان الخليفة قد كتب الى سيف الدولة كتابا قبل مسيره الى حرب البريدي يقول فيه . « بسم الله الرحمن الرحيم . ـ عرفت لا أخلاني الله منك ما تقرر عليه العزم في رواحك ـ فتعجلت الاستيحاش لبعدك والتحسر لما يفوت من قربك ولا يزال قلبي متطلعا الى معرفة خبرك الى أن يرد علي في مستقرك بماترى به وتمضيه وتدبره وتمشيه ، فتعمل على ملاحظتي من ذلك . في كل وقت وساعة بما تعلم حسن موقعه والسلام[2] » .أ

تقابل جيش سيف الدولة مع قوات البريدي عند القرية المعروفة « بكيل » اسفل المدائن بفرسخين وكان مع سيف الدولة عدد من القاده الاتراك[3] ، وفي بداية المعركة مني سيف الدولة بالهزيمة[4] ، الا ان ناصر الدولة المقيم في المدائن أمدهم بنجدة كبيرة حولت الهزيمة الى نصر ساحق على البريدي واعوانه فوقع عدد كبير من اصحابه في الاسر وعاد البريدي منهزما الى البصرة[5] ، وكان علي بن حمدان قد استقر في واسط مع اصحابه وقد نال منهم التعب والاعياء[6] ، فلما وصلت انباء انتصارات سيف الدولة على البريدي الى بغداد استبشر الناس وأمنوا على انفسهم وحرمهم واموالهم وأكثروا الدعاء له في المساجد والطرقات[7] ، ورجع الخليفة من الزبيدية الى دار الخلافة وعادت حرمه ومن هرب من أهل بغداد ودخل ناصر الدولة بغداد وبين يديه الاسرى وقوادهم[8] ، وتقدم سيف الدولة الى واسط فوجد البريدى قد انحدروا منها الى البصره واقام بها ومعه الاتراك والديلم وكان يتحفز لغزو البصره .

لكن هل انتهت مهمة ناصر الدولة بعد تخلصه من البريدي وانقاذ بغداد من

---

(1) ابن خلدون ـ 4 ـ 232

(2) كاتا ـ ص11 -12 : اخبار الامير سيف الدولة الحمداني .

(3) مسكويه ـ تجارب الأمم2 -29 .

(4) ابن العماد ـ شذرات الذهبي2 -324 -325

(5) مرآة الجنان وعبرة اليقظان 2/296 -297 ـ الذهبي دول الاسلام1 -159 .

(6) الذهبي ـ تاريخ الاسلام18 -179

(7) كاتا ـ ص12 : اخبار الامير سيف الدولة الحمداني

(8) ابن الاثير8 / 128-129 .

تعسفه ؟ الواقع ان ناصر الدولة لم ينته من مشاغله بل واصل نضاله ضد المنشقين مثل عدل البجكيمي الذي سيره ناصر الدولة الى ديار مصر والشام «وكانت من أملاك ابن رائق » الا أن نفسه ساورته بالطمع فيها وامتلاكها فأعلن عصيانه واستولى على الخامور وجمع الأموال واشتد خطره وسار الى نصيبين فلما علم ابن حمدان سير اليه الجيش وهزم عدل البجكيمي وهزم هو وابنه وأسروا ثم سلمهم ناصر الدولة(1) ، وقام يا روح أحد غلمان ناصر الدولة بمطاردة البريدي حتى أخرجهم من الجامدة(2) .

وهكذا جرد ناصر الدولة سيفه في وجه المتمردين واعداء الخلافة فهزمهم واسكت فتنهم وتفرغ بعد ذلك لمهامه الداخلية التي لم تكن باقل أهمية عن شواغله في الخارج . فأخذ يعمل على نشر العدل وسيادة القانون في ربوع الخلافة فولى عيسى جال على ميافارقين وواقع سيف الدولة جماعة من الدبلم أرادوا الفتك به فظفر بهم ووجههم الى بغداد في زورقين وقتل بعضهم(3) ، كذلك خلع على ابي عبد الله الحسين بن سعيد ابن حمدان وولاه أرمينية وأذربيجان وعقد له لواء، ولكن ناصر الدولة وصل الى قمة المجد والعظمة عندما صاهر الخليفة المتقي فقد زوج ابن الخليفة المنصور الى بنت ناصر الدولة(4) ، ولقد كانت هذه المصاهرة تدعيماً لمركز الحمدانيين حتى أصبحت دولتهم حصن الخلافة الوحيد وقام ناصر الدولة باصلاح السكة وحال دون عبث العيارين والصيارفة وعرف أنهم يتعاملون بالربا فأحضرهم وحذرهم وهددهم واشتدعلى مثيري الفتن والشغب وقضى عليهم حتى استقرت الامور في عاصمة الخلافة ، وأمر بأن تضرب عملة جديدة ضاف في وزنها وزاد عليها بعد محمد رسول الله ـ عبارة (صلى الله عليه وسلم(5)) .

ولكن سرعان ما ساءت العلاقات بين الخليفة وناصر الدولة الذي استأثر بالسلطة

---

(1) ابن الاثير 8 - 129

(2) الصولي 240 : الاوراق او تاريخ الدولة العباسية من سنة 322 الى سنة 333 هـ

(3) الصولي 229 الاوراق او تاريخ الدولة العباسية من سنة 322 الى سنة 333 هـ

(4) ابن العماد ـ شذرات الذهب 2 - 328 .

5) الصولي 231 : الاوراق او تاريخ الدولة العباسية من سنة 322 الى سنة 333 هـ

وضيق على الخليفة في نفقاته وعلى أهل داره ، وانتزع ضياعه[1] ، حتى تحدث الناس عن معاملته للخليفة وتمنى الناس عودة حكم البريديين رغم ما نالهم من المظالم[2] .

اما عن الحالة في بغداد بصفة عامة ، فقد عادت اليها الفوضى وكثر عدد اللصوص الذين سطوا على دور المياسير من التجار والاغنياء ، وفرض ناصر الدولة على الناس الضرائب الباهظة فعلت الاسعار حتى مات الناس جوعا . . . . . وكثر الجراد في تلك الايام فانتفع به الفقراء واكلوه[3] .

وتعرض ناصر الدولة نتيجة لذلك الى مؤامرة كادت تودي بحياته على يد احد أتباعه[4] ، واطلق الارزاق للخدم الا أن الخليفة كان يصادر هذه الارزاق ليوغر صدور خدمه وحاشيته عليه فغضب ناصر الدولة من سياسة الخليفة نحوه وأخذ يشعر بالضيق في بغداد ولقد اجتمعت الظروف السيئة كلها في آن واحد فناصر الدولة ضاق بالمقام في بغداد ـ وأخوه سيف الدولة على خلاف مع الاتراك واما البريدي فانه استولى على الجامد واراد ناصر الدولة العودة الى الموصل قائلا . « لا أقمت ببغداد » فضج الناس من ذلك واجتمعوا اليه وسألوه الا يغادر بغداد الى الموصل فيسيطر الاتراك على بغداد . ثم ان ناصر الدولة احتاج الى مال فطلبه من الخليفة الا ان طلبه قوبل بالرفض[5] ، فكان هذا نهاية المطاف لبقاء الحمدانيين في بغداد وصمم ناصر الدولة على الخروج الى الموصل وكان قد رفض انتظار الخليفة ليذهب معه الى الموصل[6] ، فقال الخليعي بهذه المناسبة يمدح ناصر الدولة .

بالله ربك دع بغدادهم لهم ... وأحفظ بلادك واحم الدين والثغرا
فما افتقرت في أمر تدبره ... حتى يكون اليك الامر مفتقرا[7]

---

(1) ابن الجوزي ـ المنتظم 6-330
(2) الصولي 234-235 : الاوراق او تاريخ الخلافة العباسية من سنة 322 الى سنة 333 هـ .
(3) الصولي 235 : الاوراق او تاريخ الخلافة العباسية من سنة 322 الى سنة 333 هـ
(4) الصولي 239 : الاوراق : او تاريخ الخلافة العباسية من سنة 322 الى سنة 333 هـ .
(5) الصولي 230 : الاوراق : او تاريخ الخلافة العباسية من سنة 322 الى سنة 333 هـ .
(6) ن . م : الاوراق : او تاريخ الخلافة العباسية من سنة 322 الى سنة 333 هـ .
(7) ابن خلدون ـ ديوان ابي فراس 2-110 .

والواقع ان الخليفة وأهل بغداد عاشوا سنوات طويلة يقاسون من ظلم الاتراك واستبدادهم واقدامهم على سمل عيون الخلفاء وعلى قتلهم ولم يكن هم الجند الاتراك سوى جمع الاموال باي وسيلة كانت .

كما ان تولي الحمدانيين امرة الامراء في بغداد اشعرت العنصر العربي من جديد بان العرب ما زالوا على أهميتهم وحيويتهم رغم ابتعادهم طويلا عن مسرح الاحداث السياسية في بغداد ، فقد استطاعت الاسرة الحمدانية العربية أن تشق وسط الزحام طريقها لتتصدر السلطة ، مما اثار عليها حقد العناصر والفئات المنافسة لها تركية كانت أم فارسية . لكن رغم كل هذا فان ناصر الدولة لم يستجب الى نداء العامة وأعيان بغداد والخليفة بالبقاء في بغداد وسار الى الموصل حيث موقعه الطبيعي .

يرى البعض أن ضعف العنصر العربي وعجزه عن مقاومة العناصر الاخرى هي التي أدت الى خروج الحمدانيين من الموصل فيقول موير « رغم القوة التي كان يتمتع بها الحمدانيون في الموصل بين اخوانهم من العرب ورغم الانتصارات الرائعة ضد البيزنطيين . . . . . . فان العرب لم تعد لديهم القدرة على مناوأة العناصر المتبربرة التي اصبحت لها السيادة في بغداد في ذلك الوقت وان الجند المرتزقة من الاجانب وقوادهم قد قدموا منذ زمن بعيد الاحترام والطاعة لرؤسائهم من غير العرب. . . . في حين ان الجند من العرب قد أهمل شأنهم ولم يقووا بعد على التماسك . . . . بهذا لم يستطع زعماء الحمدانيين من العرب البقاء في بغداد اكثر من سنة واحدة واضطروا بعدها الى العودة الى الموصل(1) »

ومن الممكن أن نعتبر رأي موير واحداً من عدة أسباب وليس هو السبب الجوهري كما يراه . ونستطيع القول كذلك بأن الشعب دائماً في أي زمان ومكان في حالة حدوث فتن واضطرابات داخلية يقضي فترة تخلخل عصبية حتى اذا ما وجد رجلاً ينقذه من تلك المشاكل التفوا حوله التفاف السوار بالمعصم ، وكان من الممكن أن يحدث هذا في بغداد لو طالت أيام ناصر الدولة ،لأن الشعب هناك كان يقاسي من فتن ومؤامرات

---

(1) Muir the Caliphate. P. 576

الأتراك والنزعـات الحزبية ما بين الأتراك والفرس . فكان من الممكن أن ينهض العنصر العربي ويأخذ دوره كبقية العناصر الأخرى وراء ناصر الدولة .

الا أن هناك من الاسباب ما هو أهم من السبب الذي أورده موير ومنها أن الموصل هي المركز الاساسي والقاعدة الرئيسية التي يمكن لناصر الدولة ان ينشىء فيها ملكا وذلك لتركز عشيرته فيها الى جانب القبائل العربية الاخرى المؤيدة لها .

هذا بالاضافة الى كثرة الموارد في الموصل التي اشتهرت بثرائها، ونضيف أسباباً أخرى .منها كثرة الفتن والاضطرابات التي كانت تمزق بغـداد فرأى ناصر الدولـة أن الاصوب ألا يقذف بنفسه وسط هذه الأحداث حتى لا تتبعثر قوته ومجهوداتـه كما أن موقع الموصل كان مجاوراً لعدو متحفز يريد الانقضاض على أراضي الخلافة فإذا صمد لهذا العدو فإنه ولا شك يكسب رضا عامة المسلمين ورضا الخليفة خاصة إذ أنه سيظهر بمظهر قائد الحرب المقدسة دفاعاً عن الخلافة والاسلام ضد البيزنطيين المسيحيين .

العلاقة بين الخلافة والحمدانيين قبل مجيء البويهيين

رأينا كيف ان ناصر الدولة عاد الى الموصل وكان اخوه سيف الدولة لا يزال مقيما مع اصحابه من الاتراك في واسط وكان ينوي ان يسير الى البصرة ليفتحها ويطرد البريدي منها(1) ، وكان قد بعث الى ناصر الدولة يطالبه بالأموال اللازمة الا ان الأموال تأخرت عليه ،ولهذا تعرض سيف الدولة الى امتهان الاتراك واحتقارهم لتأخر أرزاقهم فتطاولوا على سيف الدولة حتى انه عندما وصل ابو عبد الله الكوفي حاملا الاموال من عند أخيه ناصر الدولة حاول الأتراك الاستئثار بها ووبخوا ابا عبد الله في حضرته فقال لهم سيف الدولة « أما تستحيان مني وتجاملاني في كاتبي »(2) ،واراد سيف الدولة أن يتخلص من زعماء الأتراك فأوكل الى توزون الجامدة على أن يقوم بحمايتها وكذلك بعث خجنج الى المذار ليجمع اموالها على أن يحميها هو الآخر(3) .

ولكن العلاقة بين سيف الدولة والاتراك ما زالت سيئة فقد هاجم الاتراك سيف الدولة ليلا فهرب من معسكره الى بغداد واشعل الاتراك النار في معسكره وسار سيف الدولة الى بغداد وكان توزون قد تغلب على الاتراك في واسط وترأسهم وتبع سيف الدولة الى بغداد ، وما ان اقترب سيف الدولة من بغداد حتى طالب الخليفة بالاموال ليمنع تقدم توزون الى بغداد(4) ، فبعث اليه الخليفة باربعمائة الف درهم .وزعها على عساكره ، وعلم بوصول توزون الى بغداد فرحل الى أخيه في الموصل ودخل توزون بغداد(5) ، وقلده المتقي امرة الامراء فاستغل البريدي خروج توزون الى بغداد وتقدم بقواته الى واسط ودخلها واخرج من بها من اصحاب توزون بعد ان هزمهم(6) وعندما استقر توزون في بغداد استكتب له ابن شيرزاد رغم ان الخليفة كان قد عارض في

---

(1) كاتا ـ ص18 : اخبار الامير سيف الدولة الحمداني

(2) مسكويه ـ تجارب الامم 2-39 .

(3) ن . م .

(4) ابو الفدا 2-90 : المختصر في اخبار البشر .

(5) ابن كثير : البداية والنهاية 11-205-206 .

(6) العيني : عقد الجمان 16-3 .

استكتابه واستأثر توزون بكل السلطات في بغداد بحيث لم يعد للخليفة اي سلطة[1] .

وحاول توزون ان يفرض كلمته على الخليفة عندما طلب منه كما يقول الصولي « ان يتركه يصالح البريديين على مال يحملوه ويفرغه لابن حمدان فابى عليه الخليفة ذلك »[2] .

ويبدو ان المتقى كان يدرك انه سيحتاج يوما الى بني حمدان لأنه ضاق بتوزون ومخالفته اوامر الخلافة اضف الى ذلك عبث الاتراك في بغداد وقيامهم بعمليات السلب والنهب ، كما ان الخليفة عرف بتجربته انه اذا حاول القضاء على العنصر العربي فانه يفقد بذلك سندا قويا من مؤيدي الخلافة الذي يرتبط واياهم بوحدة الدم ولقد عرف الخليفة هذا خلال قتال الحمدانيين ضد البريديين ، كما كان المتقى يرتبط بالحمدانيين برباط المصاهرة .

ومن الاسباب المباشرة التي دفعت بالخلافة الى اهمال مطالب توزون هو حرصها على ان تكون حدودها الشمالية في قبضة قوية تستطيع المحافظة عليها اي في قبضة ناصر الدولة .ولقد شغل توزون بعض الوقت في محاربة اعدائه مما اضطره الى مغادرة بغداد فاستغل الخليفة الفرصة وبعث يستنجد بالحمدانيين[3] ، فلقي طلبه قبولا من الحمدانيين وبعث ناصر الدولة الجيش بقيادة ابن عمه الحسين بن سعيد ونزل حتى قارب بغداد فخرج اليه الخليفة وحرمه وأعيان بغداد[4]، واختفى ابن شيرزاد وسار المتقى مع الحسين حتى وصلوا الى تكسريت وبعد ان خرج الخليفة من بغداد ظهر ابن شيرزاد مرة اخرى وادار الامور ببغداد وسلب وقتل الاهالي[5] ، ثم انحدر سيف الدولة لمساعدة الخليفة وقابله في تكريت [6] ، الا ان الخليفة اصر على حضور ناصر الدولة

---

(1) الذهبي ـ تاريخ الاسلام19 -77 .

(2) الصولي ـ42 : الاوراق او تاريخ الخلافة العباسية من سنة 322 الى سنة 333 هـ

Muir the caliphate. P. 576 (3)

(4) كاتار ص24 : اخبار الأمير سيف الدولة الحمدانية .

(5) مسكويه ـ تجارب الأمم2 -48

(6) زبده الفكرة6

شخصيا[1] ، لانه كان اكبر من اخيه سنا واقدم منزلة عند الخلفاء بصفة عامة[2] .

ولما علم توزون بامر المتقى ومسيره مع بني حمدان الى تكريت إرتعدت فرائصه وخاف أن يصبح معهم حلفا عليه. فأمر بانزال قواته في بغداد ثم لحقها هو الآخر بعد ان عقد للبريدي على واسط وصاهره[3] ، وشعر توزون بان الحمدانيين يقتربون من بغداد وهذا ما يهدد سلطته لانه سيضطر ان يخوض حربا معهم وكان الخليفة الى جانبهم وان هذا سيظهره امام الجميع بانه يحارب ضد الخليفة مما يثير مشاعر المسلمين ولكن رغم هذا فقد تجمعت قوات توزون استعدادا لقتال الحمدانيين[4] ، وتقدم ناصر الدولة على رأس جيشه حتى وصل الى تكريت[5] ، فاستقبله المتقى بنفسه واكرمه وتقدم الخليفة الى الموصل بينما اقام ناصر الدولة بتكريت استعدادا لحرب توزون[6] .

« ويجب الا يغيب عن الذهن بان توزون كان احد الاتراك البجكمية الذين انضموا الى الحمدانيين بعد موت بجكم » .

ودارت المعركة بين جيش الحمدانيين بقيادة سيف الدولة وبين جيش الاتراك الذي خرج على رأسه توزون عند تكريت ، فهزم سيف الدولة[7] ، وغنم توزون سرادقه وسرادق اخيه ناصر الدولة ثم جرت معركة اخرى انهزم فيها سيف الدولة ثانية[8] وانسحب الى الموصل فتبعه توزون ، ثم رحل بنو حمدان من الموصل الى نصيبين ومعهم الخليفه وتقدم توزون حتى دخل الموصل[9] ، وبدأت المراسلات بينه وبين الخليفة واشترط توزون ، ان يرجع الخليفة الى داره ويحمل ابن حمدان اليه فضلا مما كان يحمله

---

(1) مرآة الجنان 2 - 310. ابن الاثير 8 - 132

(2) ابن خلكان 1 - 387 وفيات الاعيان

(3) ابن كثير - البداية والنهاية 11 - 207

(4) مرآة الجنان 2 - 310.

(5) مسكويه - تجارب الامم 2 - 48

(6) كاتار ص 24 : اخبار الامير سيف الدولة الحمداني

(7) الذهبي - دول الاسلام 1-161 .

(8) العيني - عقد الجمان 16 -8 .

(9) ابن كثير - البداية والنهاية 11 -207 .

على ان تكون الامارة لعبد الواحد بن المتقى فوافق ناصر الدولة على تلك الشروط بينما لم يوافق اخوه سيف الدولة والخليفة كما رفض الاتفاقية ايضا اصحاب ناصر الدولة(1) . وهنا بدأ الخليفة يشعر بملل الحمدانيين منه وان ناصر الدولة خذله في المعاهدة فكاتب الاخشيد صاحب مصر(2) ، وخرج من اعمال ناصر الدولة معتمدا على ابن طغج(3) ، ولحق سيف الدولة الخليفة بالرقة وهناك بدأ الخليفة في مراسلة توزون في الصلح واخبره الخليفة بان الوحشة بينهما كان سببها ممالأة توزون للبريديين ، وعرض عليه مصالحة الحمدانيين. ان كان يرغب في الاتفاق معه(4) ، فقبل توزون عرض الخليفة بعد ان راسله كثيرا . ثم بعث الى توزون. من اخذ عليه الايمان والمواثيق بالا يخون الخليفة(5) .

واذا دققنا النظر فاننا نجد ان توزون كان مخلصا في طلبه مصالحه الخليفة وآل حمدان وذلك لأن الخطر البويهي بات قريبا من حدوده بل نزل احمد بن بويه الى واسط ودخلها في طريقه الى بغداد(6) ، فضمن لناصر الدولة البلاد التي تحت يده ثلاث سنين على ان يدفع كل سنة ثلاثة ملايين وستمائة الف درهم وعاد بعدها توزون لمواجهة البويهيين الذين اصبحوا قاب قوسين او ادنى من بغداد(7) وعاد الخليفة الى بغداد وسار الاخشيد الى مصر بعد ان فشل في اقناع المتقي في السير معه الى مصر(8) ، وفي نفس هذه السنة. ولى ناصر الدولة ابن عمه الحسين بن سعيد على قنسرين والعواصم(9) ، ولما وصل الخليفة الى بغداد واستقبله توزون استقبالا حسنا وقبل الارض بين يديه ولكنه قبض عليه وسمله سنة 333 وخلعه(10) وعين اخاه بدله ولقبه بالمستكفي(5) .

---

(1) الصولي256-257 الاوراق او تاريخ الخلافة العباسية من سنة 322 الى سنة 333 هـ .

Muir the caliphate P. 576 (2)

(3) حسن ابراهيم3-81 ـ تاريخ الاسلام السياسي والاجتماعي

Muir the caliphate 576 (4)

(5) ابن الجوزي ـ المنتظم6-338- Muir 575

(6) الذهبي ـ تاريخ الاسلام19-77 .

(7) ابن خلدون3-415 .

(8) الذهبي ـ دول الاسلام1-161.

(9) ابو الفدا ـ المختصر في اخبار البشر2-91 ـ النجوم الزاهرة3-28 ـ تاريخ الاسلام19-79 .

(4) الفخري209 ـ مرآة الجنان2-312

Muir - the caliphate 577 (5)

وهـذا يبـين لنـا مدى قوة شخصية توزون التـركي فقـد تحـكم في الخلافـة وتصرفاتها ، فهو يحارب الحمدانيين ويسمل عيني الخليفه ولم يستنكر احد هذا العمل البشع بل ان اصوات العلماء خفتت ولم تعد تطالب بحقوق الشعب كما رأينا في ايام الخلفاء الأوائل .

ويقول الدكتور حسن ابراهيم بان حادثة سمل المتقـى لم ترجع على توزون وحده لان الخليفة لم يستجب لسياسة السلام التي عرضهـا توزون عليه وعلى ابنـاء حمدان ، ثم ان بطانة الخليفة ساعدته على انتهاج سياسة العداء ضد امير الامراء[1] .

استغل سيف الدولة كل هذه الظروف وتقدم الى حلب وانتزعها من يد الاخشيد حيث يقول سيديو « ان ما عجز عنه بنو العباس اقدم عليه بنـو حمـدان فتنازعـوا هم والاخشيد سهول سورية[2] .

سار توزون لحرب بني بويه واشتبك معهم في عدة معارك فكانت معظمها تدور على توزون الذي اصيب بمرض الصرع فعاد الى بغداد بعد ان اشتد به المرض وعاد ابن بويه الى الاهواز بعد ان ضاقت عليه الميرة ومات توزون في بغداد اثر وصوله اليها[3] ، ولما علم ابن شيرزاد وهو بهيت بموت توزون سار الى بغداد وتولى امرة الامراء وكان قد عزم على ان يوليها لناصر الدولة بن حمدان[4] ، وطالبه ان يحمل اليه الاموال نظير ذلك فحمل اليه ناصر الدولة الدقيق وخمسمائة الف درهم الا ان ابن شيرزاد طمع في الامارة لنفسه[5] .

وقاست البلاد من ظلم ابن شيرزاد الذي ولى على تكريـت الفتح اليشـكري فسار هذا الى ناصر الدولة ابن حمدان بالموصل ودعا له فولاه عليها[6] .

---

(1) حسن ابراهيم ـ تاريخ الاسلام السياسي 3-82 .

(2) سيديو ـ تاريخ العرب 236 .

(3) الذهبي ـ دول الاسلام 1-162 ـ تاريخ الاسلام 19-88

(4) ابن خلدون 3-419 ـ تجارب الامم 2-82

(5) ابن كثير ـ البداية والنهاية 11-211 ـ تجارب 2-83

(6) ابن خلدون 3-419 .

امرة الامراء في يد بني بويه :

بدخول البويهيين بغداد وتسلطهم على الخليفة يبدأ دور جديد من ادوار علاقة الخلافة بالدولة الحمدانية في الموصل وذلك لأن المنافسة بين العنصر العربي والفارسي الدخيل سوف تزداد وتشتد وذلك لخوف كل طرف من الآخر على نفوذه وسلطانه فالبويهيون ينظرون الى الحمدانيين على انهم القوة العربية الفتية التي تساعدها امكانياتها المادية والبشرية على تهديد سلطانهم في بغداد بعد ان ضعف نفوذ العناصر الاخرى تحت ضربات معز الدولة .

ونظر الحمدانيون بدورهم الى البويهيين على انهم القوة التي وضعت حدا لنفوذهم في بغداد وسيطرت على الامور ، ولولا ظهور البويهيين في تلك الفترة في بغداد لسيطر الحمدانيون على ناصية الامور في بغداد مع احتفاظهم بما تحت ايديهم من البلاد لان العناصر التركية والفارسية قد بدأت تضعف لكثرة المنافسات بينهم من ناحية ولانهم كانوا اولا وقبل كل شيء يؤيدون صاحب الثراء الاكبر اي انهم لم يكونوا يحاربون عن عقيدة او ايمان بهدف معين مرسوم حتى يتحمسوا له بل كانوا يحاربون من اجل المال فقط .

ولهذا سنرى ان الصراع يظل على اشده وسنرى ان كل طرف من الطرفين ينتهز فرصة انشغال وضعف الطرف المنافس للقضاء عليه والتخلص منه .

البويهيون في بغداد وعلاقتهم بالموصل

رأينا كيف عانت بغداد من طغيان وظلم ابن شيرزاد بعد موت توزون حتى دخل احمد بن بويه بغداد. ويقال أن أهل بغداد هم الذين طلبوا مساعدة البويهيين للتخلص من ظلم ابن شيرزاد وتعسفه، وبناء على دعوتهم تقدم احمد بن بويه واختفى ابن شيرزاد(1) ، وما ان دخل ابن بويه الى بغداد حتى استقبله الخليفة وخلع عليه ولقبه معز الدولة وولاه امرة الامراء(2) ، الا ان معز الدولة اتهم الخليفة بمكاتبة بني حمدان واطلاعهم على اسراره فقبض عليه وسمله، وولى المطيع الخلافة في نفس السنة(3) .

وهكذا أصبح الخليفة مع الجانب الاقوى لانه فقد القدرة والقوة التي تمتع بها خلفاء العصر الاول وما يكاد اي متغلب يدخل بغداد حتى يستقبله الخليفة ويخلع عليه الخلع والهدايا .

ولم تكن حالة الخلافة في عهد معز الدولة بأحسن حالا مما كانت عليه قبله بل ان امرها زاد ادبارا لان ايدي بني بويه تطاولت على حقوق الخلفاء(4) ، حتى ان معز الدولة حدد للخليفة راتبا شهريا ضئيلا لنفقته(5) ، واراد معز الدولة منذ دخوله بغداد ان يحول الخلافة من ايدي العباسيين الى ايدي العلويين الا انه عدل عن ذلك بعد ان نصحه رفاقه بان وجود خلافة علوية قوية تهدد مركزه(6) ، ولم يكن هذا هو موقف معز الدولة من الخليفة فحسب. بل اراد ان يشل يده عن كل املاكه التابعة له وسنراه يصطدم مع الحمدانيين مرارا للقضاء عليهم الا انه عجز ليقظة العنصر العربي الذي اخذ يعد العدة هو الآخر لطرد ذلك الاجنبي الدخيل الذي استولى على الخلافة وهددهم في عقر دارهم وكذلك ضاق الحمدانيون بما قام به معز الدولة من مضايقات للخليفة . فجهز ناصر

---

(1) Klhan Bahadur. the History of the Moslem wodd. i 34

(2) ابن الجوزي - المنتظم 6 -338 .

(3) المسعودي - مروج الذهب 2 -551

(4) المقريزي 1 -18

(5) دول الاسلام 1 -163 .

(6) المقريزي - السلوك 1-19 .

الدولة قواته واستعد لحرب بني بويه وطردهم من بغداد وسارت قواته حتى نزل بسر من رأى وسار كذلك جيش معز الدولة اليها وتقابل جيش ناصر الدولة مع البويهيين في عكبرا[1] ، وخلال المعركة انضم ابن شيرزاد الى الحمدانيين وحكم ابن شيرزاد باسم ناصر الدولة بن حمدان واستمرت الحرب دائرة في سر من رأى[2] ، وتقدم معز الدولة الى تكسريت ومعه الخليفة المطيع كالأسير فنهبوها وخربوها لانها كانت تابعة للحمدانيين وعادوا الى بغداد ونزلوا بالجانب الغربي وكان ناصر الدولة قد نزل بالجانب الشرقي[3] ، وقام بمحاصرة البويهيين فمنع عنهم الميرة حتى تضايق البويهيون وزاد الغلاء فعزموا على الرحيل الى الاهواز[4] ، اما بالنسبة للخليفة فان ناصر الدولة قطع الخطبة للمطيع في بغداد ،ومنع المعاملة بسكته وضرب سكه على غرار تلك التي ضربها في عام 331 ودعا للمتقي[5] .

وظل الحال على هذا المنوال الى ان شرع اصحاب معز الدولة في تدبير حيلة استطاعوا بها النفاذ الى قوات ناصر الدولة فاربكتها وهزمتها[6] ، وامتلك الديلم الجانب الشرقي وسلبوا ونهبوا وهرب الناس على وجوههم خوفا من الديلم لانهم كانوا قد وقفوا ضدهم[7] ، وسار ناصر الدولة وابن شيرزاد ومعهم الجنود التوزونية «الذين انضموا الى ابن حمدان عقب موت توزون[8] » الى عكبرا واستقروا بها وتراسلوا فيما بينهم فتقرر الصلح في النهاية على ان يكون لناصر الدولة البلاد من تكريت الى الشام[9] ، الا ان مسكويه يرى ان الاتفاقية ضمت مصر والشام الى ناصر الدولة على ان لا يحمل عن الموصل وديار ربيعة شيئا مما كان يحمله من المال وان يحمل عن مصر والشام ما كان يحمله

---

(1) الذهبي ـ تاريخ الاسلام19 -94 .

(2) مسكويه ـ تجارب الامم2 -89

(3) ابو الفدا2 -94 : المختصر في اخبار البشر

(4) ابن خلدون3 -422 .

(5) العيني ـ عقد الجمان16 -26

(6) مسكويه ـ تجارب2 -93 ـ الذهبي ـ دول الاسلام1 -163 .

(7) ابن الجوزي ـ المنتظم6 - 349 .

(8) ابن خلدون4 -236 .

(9) ابن تغري بردي ـ النجوم الزاهره3 -293 .

الاخشيد[1] ، ولم يكن اتراك ناصر الدولة على علم بالصلح الذي تم فثاروا ضده وهموا بالقبض عليه الا انه تمكن من الفرار الى الموصل[2] ، فاتحدت كلمة الاتراك وانتخبوا تكين الشيرازي عليهم وقبضوا على كتاب ناصر الدولة واعوانه ثم ساروا لحربه فلما قربوا منه ترك الموصل وانهزم الى نصيبين وطلب النجده من البويهيين في بغداد[3] ، فسير اليه معز الدولة جيشا وكان معهم وزيره الصيمري فهزم تكين الشيرازي قائد الاتراك واسر وسمل بين يدي ناصر الدولة[4] ، ثم عادت قوات معز الدولة من الموصل محملة بالهدايا الفاخرة[5] ، وفي العام التالي لما تأخر الحمدانيون في توريد الاموال الى بغداد تظاهر معز الدولة بالزحف نحوهم وكتب اليهم جوابا على لسان الخليفة يطالبهم بالاموال فحملت الى بغداد وتم الصلح[6] .

وتفرغ ناصر الدولة لمواجهة جمان الذي رفع راية العصيان بالرحبة وحدثته نفسه بالتغلب على ديار معز فسار الى الرقة وحاصرها الا ان اهل الرحبة وثبوا باصحابه وهزم هو امام ياروخ صاحب ناصر الدولة وقضى على جمان وفتنته واستأمن من اصحابه الى ناصر الدولة[7] .

تطلع معز الدولة الى القضاء على الدولة الحمدانية الشبه مستقلة في اقليم الجزيرة[8] ، فطالب الحمدانيين بالأموال المستحقة عليهم الا انهم تأخروا في دفعها[9] ، فجهز البويهيون جيوشهم واستعدوا للتقدم نحو الموصل .

ولما علم الحمدانيون بتقدم القوات البويهيةتنحوا عن الموصل الى نصيبين ودخلت

---

(1) مسكويه ـ تجارب الامم 2-108 .

(2) يحي بن سعيد ـ التاريخ المجموع ـ ص110.

(3) مسكويه ـ تجارب 2-108 .

(4) يحيى بن سعيد ـ التاريخ المجموع ص110 ـ العيني ـ عقد الجمان 16-33

(5) ابن الاثير 8-154 .

(6) تجارب 2-113 .

(7) ابن خلدون 4-236 .

(8) د . محمد جمال سرور ص75 ـ تاريخ الحضارة الاسلامية .

(9) ابن تغرى بردى ـ النجوم الزاهره 3-297 .

القوات البويهية الموصل [1] ، فاضطهدوا اهلها واخذوا اموالهم وكثر الدعاء عليه ثم عزم معز الدولة على اخذ البلاد كلها من يد ناصر الدولة [2] ، لولا ان الاخبار وافته من جهة اخيه بان العسكر الخراسانية قد قصدت بلاده وطلب النجدة من معز الدولة [3] ، فاضطر معز الدولة الى توقيع الصلح مع الحمدانيين على ان يؤدي ناصر الدولة الضمان عن الموصل وديار الجزيرة كلها والشام كل سنة ثمانية ملايين درهم [4] ، ويضيف العيني وابن الاثير ان معز الدولة اشترط عليه ان يخطب له ولاخوته في ولايته فوافق ناصر الدولة على مطالبه [5] ، وبعد هذا الصلح عاد البويهيون الى بغداد بعد ان اكدوا سيطرتهم في الشمال واخضعوا الحمدانيين بعد ان تعهدوا بدفع الاموال لهم،وهكذا ساد الهدوء بين الطرفين وسكنت الحروب لفترة من الزمن الى ان شغل معز الدولة باحد الخارجين عليه وهو روزبهان الديلمي [6] ، فاستغل الحمدانيون بالموصل الفرصة وتقدموا الى بغداد علهم يحققون بعض المكاسب الا ان معز الدولة لم يمكنهم من ذلك وعاد مسرعا الى بغداد يحمل اسراره قبل ان يوافيها ناصر الدولة واولاده [7] ، فاضطر ناصر الدولة الى العودة الى الموصل ليواجه الفتن والاضطرابات التي اثارها الاتراك والديلم [8]. فتمكن منهم ناصر الدولة وقتل جماعة وهرب الباقي الى بغداد [9] ، وبعد ان انتهى معز الدولة من القضاء على روزبهان حدثته نفسه بغزو الموصل وطرد ابن حمدان منها لانه نسي المعروف الذي قدمه اليه اثناء صراعه مع الاتراك ، وتقدم الى املاكه ليستولى عليها في غيبته ،ولكنه قبل ان يسير اليه كتب له رسالة يعاتبه فيها فقال .

« انت ذاكر ما جرى عليك من تكين الشيرازي . . . . فلجأت الي بعد

---

(1) الذهبي ـ تاريخ الاسلام19 -101 ابن الاثير8 -158 .

(2) العيني ـ عقد الجمان16 -62 .

(3) ابو الفدا2 -98 المختصر في اخبار البشر .

(4) ابن العماد ـ شذرات الذهب2 -344 ـ تاريخ الاسلام19 -101 ـ دول الاسلام1 -165 .

(5) عقد الجمان16 -62 ـ ابن الاثير8 -158 .

(6) ابن تغرى بردى ـ النجوم3 / 314 -315 .

(7) مسكويه ـ تجارب2 -165 .

(8) النجوم3 -319 ـ تجارب2 -168 .

(9) النجوم الزاهره3 -319 ـ تجارب2 -168 .

عداوة سبقت منك لي ومنازعة نازعتنيها عن بلاد لم يكن لك فيها شيء . . . فآثرتك على تكين وهو يبذل لي الطاعة والخدمة . . . . حتى اخذت بناصيته وسلمته لك وحصلت في يد وزيري . . . . ولو شاء لاستولى على بلادك وظننت انك تعرف لي هذا المعروف فابيت إلا غدراً . . . . . . الخ » ثم اتبع هذا العتاب تهديدا بالمسير الى بلاده واستئصاله ، ولكن ناصر الدولة رد عليه ردا جميلا واعتذر بانه لا ذنب له وان أولاده هم الذين ارتكبوا هذا الخطأ وانه شيخ لا حول له ولا قول والتزم بان يدفع في كل سنة الف الف درهم لكنه رغم هذافقدتأخر في الدفع في عام346 فغضب معز الدولة وصمم على المسير اليه وقمعه بسبب هذا التأخير[1] ، وما كاد معز الدول يطأ ارض الموصل حتى تركها ناصر الدولة الى نصيبين ودخل معز الدولة قاعدة الحمدانيين في الشمال[2] ، وكانت من عادة ناصر الدولة انه اذا تنحى عن الموصل فانه لا يترك فيها ما يستفيد منه العدو[3] ، وكان يأمر اصحابه بعد ان يتخلى عنها بان يقوموا بمراقبة حدود البلدة حتى لا يتمكن احد من نقل المسيرة والمواد اللازمة ويوصيهم بالا يتعرضوا للجيوش الضخمة التي تفوقهم حتى لا يكشف امرهم[4] ، وكان هذا يشبه نظام الفدائيين وحرب العصابات في عصرنا الحاضر ، وكان هدف ناصر الدولة من هذه العمليات ان يضيق الحياة على معز الدولة واصحابه بمنع المسيرة عنهم حتى لا يطيب لهم المقام في البلد فيغادرها ولكن عندما علم معز الدولة بان هناك اموال كثيرة في نصيبين سار اليها وترك حاجبه سبكتكين في الموصل[5] ، فرحل ناصر الدولة عن نصيبين الى ميافارقين فلحقه معز الدولة فسار الحمداني الى حلب حيث اخاه سيف الدولة فاستقبله واكرمه[6] ، ومن الجدير بالذكر ان ولدين لناصر الدولة كانا مقيمين في سنجار فاوقعا بقوات البويهيين هزيمة ساحقة واستنجد معز الدولة ببغداد فارسلت له قوة ساعدته ضد ناصر الدولة ولجأ

---

(1) مسكويه ـ تجارب الامم 2 -169 .

(2) تاريخ الاسلام19-237 عقد الجمان16-115

(3) ابن خلدون 4-238

(4) مسكويه ـ تجارب 2 / 170-171

(5) ابن تغرى بردى ـ النجوم 3-319

(6) ابن كثير ـ البداية والنهاية 11-233

ايضا الى الحيلة حتى اخذ جند ناصر الدولة يطلبون الامان فامنهم [1] ، وظلوا هكذا حتى ضعف امر ناصر الدولة وتدخل اخوه سيف الدولة لدى معز الدولة لعقد الصلح بين الطرفين [2] ، وتم الصلح على ان تكون الموصل وديار ربيعه والرحبة لسيف الدولة على مال يحمله في كل سنة وقدره مليوني وتسعمائة درهم ، ورفض معز الدولة ان يضمنها لناصر الدولة لانه لا يثق فيه وغدر به مرارا واتفق على ان يحمل من الأموال المستعجلة مليون درهم [3] ، وعاد بعدها معز الدولة الى بغداد وعاد ناصر الدولة الى الموصل .

ومن الجدير بالذكر ان معز الدولة كان مضطرا لعقد الصلح مع الحمدانيين لعجزه عن ضبط النواحي وخاصة ان كثرة جند ناصر الدولة المستأمنين اليه قد أربكوه ، كما انه عجز عن جباية الأموال وتقاعد الناس عن حمل الخراج محتجين بانهم لا يقدرون ان يصلوا الى غلاتهم من مضايقات جنود ناصر الدولة واعوانه في الموصل ونواحيها [4] .

وكانت هذه الجولة التي خاضها ناصر الدولة ضربة اضعفت من مكانته لدرجة ان سلطان بغداد لم يعد يثق فيه ورفض ان يضمنه ثانية فضمنها عنه اخوه سيف الدولة مما اثر في نفسه تأثيرا قاسيا ونستطيع ان نقول في هذه الحالة بان ناصر الدولة كان يحكم في الموصل باسم اخيه الذي نال رضى السلطان معز الدولة .

الا ان فترة الهدوء ما لبثت ان عادت الى الاضطراب في عام353 . فقد تقدم معز الدولة محتجا بتأخر الأموال الى جهة الموصل فغادرها الحمدانيون حيث لم يكن في مقدورهم مواجهة معز الدولة ونزلوا في نصيبين [5] ، فتبعهم معز الدولة الى نصيبين فغادروها الى ميافارقين الا ان ابناء ناصر الدولة خالفوا معز الدولة ودخلوا الموصل واحرقوا الزيازب والزواريق واستأمن اليهم الديلم فأخذوا تراسهم منهم واحرقوها [6] . واستولوا على ما كان لمعز الدولة بالموصل من كراع وسلاح وثياب وحمل

---

(1) النجوم الزاهرة30-319

(2) دول الاسلام1-168

(3) تجارب2 / 174-175 ابن خلدون4-238

(4) تجارب الامم2-175

(5) ابن خلدون ـ العبر4-240

(6) الذهبي ـ تاريخ الاسلام20-106 النجوم الزاهرة3-336

القبض على ناصر الدولة وتطور العلاقات بين الموصل وبغداد

رأينا كيف وقع معز الدولة معاهدة الصلح مع الحمدانيين بعد ان عجز عن البقاء في الموصل ، وظلت الاتفاقية بين الطرفين سارية المفعول حتى توفي معز الدولة في عام 356 وخلفه ابنه عز الدولة « بختيار » وكان ابوه قد اوصاه بالحذر من الاتراك ومداراة الديلم وطاعة عمه ركن الدولة[1] ، لكن بختيار لم يتبع نصائح والده وانصرف الى اللهو فأثار عليه سخط الجند وخرج عن طاعة عمه فانحطت هيبته[2] ، ولهذا اراد اولاد ناصر الدولة استغلال الفرصة ويتقدمون الى بغداد ويطردون منها ابناء بويه[3] ، الا ان اباهم لم يوافقهم ونصحهم بالتروي والتريث فقال : « لا تعجلوا الامر فان معز الدولة قد خلف لابنه خميرة من المال . . . . سيصرفها على جنده . . . . . . ولستم بمستظهرين عليه ولا متمكنين من دولته الا بعد ان تخلو يده فاذا كان ذلك الوقت فانحدروا اليه وكاثروه بالمال وافسدوا عليه قلوب الرجال فانكم تملكونه لا محالة »[4] .

ولقد كان رأيا صائبا لانه متى افلس بختيار فان الجند سوف يتخلون عنه حتما فقد كان الجند في ذلك الوقت كالمرتزقة .

غضب أبو تغلب على والده وقبض عليه وسجنه ولو أن ابن خلكان يرجع القبض على ناصر الدولة الى سبب آخر ، فهو يقول « فلما مات سيف الدولة تغيرت احوال ناصر الدولة لأنه كان شديد المحبة لأخيه وساءت أخلاقه وضعف عقله ، ان لم يبق له حرمة عند أولاده وجماعته فقبض عليه ابنه أبو تغلب »[5] . وقبل أن يقبض ناصر الدولة

---

(1) حسن ابراهيم حسن (تاريخ الاسلام السياسي ، 3 / 107-108

(2) مسكويه ـ تجارب الامم 2-238

(3) ابن خلدون 4-242

(4) ابن الاثير 8-191

(5) ابن خلكان 1-387 وفيات الاعيان (يقول الزركلي أنه عند ما مات أخيه سيف الدولة أصيب بالسويداء فحجر عليه بنوه : الاعلام 2-210

شعر بالخلاف بينه وبين ابنه ابي تغلب فارسل الى ابنه حمدان يطلب منه التوجه اليه وكان اذاك يلي الرحبة وماردين من قبل والده[1] كذلك سار حمدان واستولى على الرقة بعد موت عمه سيف الدولة[2] ، ولما علم حمدان ما آل اليه أمر ابيه سار الى نصيبين حيث اتصل بأقاربه واهله ممن اطاعه وحرضهم ضد ابي تغلب الذي سجن اباه[3] ، وبعث حمدان الى اخيه يستنكر ما فعله بابيه ويطلب باطلاق سراحه .

وهكذا انقسم البيت الحمداني الى فريقين فريق يناصر حمدان وفريق آخر يؤيد أبا تغلب[4] ، اما ابو تغلب فانه اتصل بعز الدولة بصفته وريث ابيه وطلب منه تجديد الضمان عليه والتمس الخلع والعهد والعقد ليحتج بذلك على الجنود ويستظهر به على اخوته المخالفين والمؤيدين[5] ، لكن بختيار لم يستجب لطلبه الا بعد ان بذل له مليونا ومائتي الف درهم في كل سنة فجدد له الضمان[6] ، وصمم حمدان على مخالفة اخيه ابي تغلب حتى تواجها للقتال الا ان حمدان انهزم قبل الاشتباك[7] ، وتراسلا واصطلحا على مضض[8] ، وظل ابوهم في سجنه حتى توفي سنة 358[9] ، ورغم الصلح بين الطرفين الا ان ابا تغلب ظل يضيق على حمدان وعماله في ضياعه[10] ،حتى بعث اليه أخاه ابو البركات في جيش كثيف فاستأمن اليه معظم أصحاب حمدان وسار مستأمناً الى بختيار في بغداد فاستقبله واكرمه وتعهد له بالتوسط بينه وبين اخيه[11] ، وسار في الصلح بينهما ابو احمد الحسين بن موسى نقيب الطالبين .

---

(1) العيني ـ عقد الجمان 14-230

(2) ابن الاثير 8-195

(3) مسكويه ـ تجارب الامم 2-255

(4) حسن ابراهيم 3 / 207-308

(5) دائرة المعارف البستاني (مادة ابو تغلب)

(6) ابن الاثير 8-191

(7) ابن خلدون 4-243

(8) ابن الاثير 8-195

(9) ابن خلكان 1-388 وفيات الاعيان

(10) الدول المنقطعة ص22

(11) ابن الاثير 8-195

ومن المحتمل ان يكون اختيار نقيب الطالبين بالذات له هدف فان الحمدانيين كانوا يتشيعون ويمكن ان يؤثر عليهم هذا الرجل لمركزه بين العلويين وتم الصلح بين الاخوين وعاد حمدان الى الرحبة فاهداه بختيار الهدايا الثمينة(1) ، وترك اهله واسبابه في بغداد وبعث اليه اخوه ابو تغلب مرة اخرى على ان يسير اليه ليتفقا فيما بينهما الا ان حمدان رفض طلب اخيه الذي ارسل اليه جيشا بقيادة ابي البركات لطرد حمدان من الرحبة واستولى عليها ثم عين عليها احد انصاره وانصرف راجعا(2) ، فعاد عليها حمدان وهاجمها ليلا ودخلها وقتل كثيرا من اعوان اخيه فيها(3) ، وقد علم ابو البركات بما آل اليه أمر حمدان ودخوله الرحبه فعاد اليه وتراسلا فلم يتم بينهما صلح وكان قد انضم الى حمدان مائتي فارس من بني نمير فتقوى بهم(4) ، والتقى مع اخيه في معركة حربية انتهت بفوز حمدان وهزيمة ابي البركات الذي قتل في هذه المعركة(5) ، وصلت الاخبار الى ابي تغلب بموت اخيه ابي البركات فحزن عليه كثيرا ، واقسم على الانتقام من اخيه حمدان حتى ولو فقد كل املاكه .

سار ابو تغلب الى قرقيسيار وأنفذ اخاه هبة الله في جيش كثيف الى الرحبة ليهاجم اخاه حمدان بها ، وعلم ابو تغلب بان اخاه محمد ابو الفوارس وكان اذاك والي نصيبين يكاتب اخاه حمدان ويمالأه عليه(6) ، وظل يحتال عليه ويغريه بالقدوم حتى قدم اليه فقبض عليه وسجنه في عام 360 فاستوحش منه بقية اخوته(7) .

وتابعت قوات هبة الله سيرها الى حمدان الذي فر ومعه أخوه ابراهيم الى بغداد وكان بختيار في ذلك الوقت مقيما في واسط . فبعث اليهم ان يقدموا عليه هناك فأكرمهم واحسن اليهم ثم ردهم الى بغداد(8) .

---

(1) تجارب 2-256

(2) مسكويه . تجارب 2-289

(3) الدول المنقطعة ص 22

(4) ابن الجوزي ـ سبط ابن الجوزي مرآة الزمان 11-3

(5) الدول المنقطعة 24

(6) الدول المنقطعة ص 23

(7) الدول المنقطعة ص 24

(8) سبط ابن الجوزي ـ مرآة الزمان 11-3

ولم يكتفِ ابو تغلب بمطاردة اخيه حمدان بل زحف الى املاك ابناء عمومته في حلب واستغل فرصة انشغالهم مع عمالهم واقتطع اجزاء من ارضهم ودخل حران ، لكنه عجز عن دخول ميافارقين بسبب تحصن والده سعد الدولة بها ولم تكتفِ بالدفاع عن المدينة بل باغتته ليلاً واخذت امواله واسرت رجاله[1] ، ثم عاد بعد ان وقع معها الصلح وردت عليه بعض امواله وكان قد بلغه بان بني نمير قد عاثوا بالموصل فاسرع عائدا اليهم للقضاء على فتنتهم[2] ، ثم سار ثانية الى اخيه حمدان وتسلم منه قلعة ماردين واخذ جميع امواله وحرمه ونقلها معه الى الموصل[3] . وقف البيزنطيون على ما يدور في ارض جيرانهم المسلمين من الفتن والاضطرابات والحروب الاهلية فكانت فرصة لهم حيث جمع الدمستق قواته وتقدم الى ارض الجزيرة فاغار على نواحيها ثم بلغ نصيبين واستباحها واعمل فيها السلب والنهب ثم تقدم الى ديار بكر[4] ، وعجز ابو تغلب عن رده فقد ارهقته الحروب التي خاضها ولم يجد بدا من ان يدفع له الأموال حتى يعود[5] ، وخرج الاهالي الى بغداد يستنجدون بالخليفة ويطلبون منه العون ، ولكن بختيار كان في ذلك الوقت يلهو في الصيد[6] ، وتراسل الخليفة مع بختيار في شأن الغزو وطلب بختيار من الخليفة ان يؤدي اليه الأموال حتى يقوم بالغزو فرد عليه الخليفة « بان الغزو يلزمني اذا كانت الدنيا في يدي ولي تدبير الأموال والرجال اما الان وليس لي منها الا القوت . . . . وهي في ايديكم وايدي اصحاب الاطراف فما يلزمني غزو ولا حج ولا شيء مما تنظر الأئمة فيه وانما لكم مني هذا الاسم الذي يخطب به على منابركم تسكنون به رعاياكم فان احببتم ان اعتزل اعتزلت عن هذا المقدار ايضا وتركتكم والامر كله » .

وترددت الرسل بينهما حتى اضطر الخليفة الى بيع ثيابه[7] ، وهكذا وصلت حالة

---

(1) ابن الجوزي ـ مرآة الزمان 11-12

(2) ابن خلدون 4-245 دائرة معارف البستاني ـ ابو تغلب

(3) العيني ـ عقد الجمان 14-257 الدول المنقطعة 25

(4) سبط ابن الجوزي ـ مرآة الزمان 11-20

(5) ابن خلدون 4-246

(6) مسكويه ـ تجارب الامم 2-305

(7) ابن كثير ـ البداية والنهاية 11-272

الخلافة على عهد بني بويه الذين ساروا على العكس تماما من اجدادهم الفرس الذين كانوا طوع بنان الخلفاء في العصر الاول . وثارت العامة في بغداد وطالبوا بالجهاد المقدس والانتقام من اعداء الاسلام فاجابهم بختيار وطيب قلوبهم وكتب الى ابي تغلب ابن حمدان باعداد المسيرة والعلوفات والتجهيز وانه عازم على الغزو ثم وقعت فتنة في بغداد اخرت الغزو[1] ، ولذا تقدم الدمستق طامعا واتجه الى آمد وكان بها هزامرد فاستنجد بابي تغلب بن حمدان فبعث له جيشا بقيادة اخيه هبة الله[2] ، ونزل الجيش على آمد وتقابل مع الدمستق واوقع به هزيمة منكرة واعز الاسلام بوقوع الدمستق نفسه اسيرا في يد هبة الله بن ناصر الدولة وكتب ابو تغلب الى الخليفة بالفتح كتابا مضمونه « بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله ابي القسم الفضل الامام المطيع . . . . من عبده وضيعته بن حمدان » . . . .

ولقد اطال في جوابه حتى قال وقد علم سيدنا ومولانا ما كان من طاغية الروم في استحكام طمعه وتسلطه واستيلائه على الثغور الشامية عند تشاغل المسلمين عنها وبعد ذوي الثبات والبصائر منها وانه اتى الى نصيبين وفعل ما فعل . . . وذكر اسم هبة الله وان الدمستق اسيرا في يده مع عدد من بطارقته فكتب اليه الخليفة كتابا يشكره فيه ويقوي عزيمته وهمته[3] ، وظل الدمستق عند ابي تغلب الى ان مات[4] .

---

(1) ابن خلدون 4-246

(2) الدول المنقطعة 25

(3) سبط ابن الجوزي ـ مراة الزمان 11 -20

(4) تجارب الامم 2-312

استيلاء بختيار على الموصل سنة363 :

رأينا ما كان من التجاء حمدان واخيه ابراهيم الى بختيار في بغداد فوعد بنصرتهم على ابي تغلب لكنه تأخر عنهم لبعض مشاغله فوجد ابو تغلب الفرصة مواتية لان بختيار اطال على اخوته ولم يتوسط لهم وراسل اخاه ابراهيم فهرب اليه بعد ان رأى ان حياة اخوته عند ابي تغلب منتظمة فاستقبله ابو تغلب واكرمه(1) ، فانزعج بختيار لهروب ابراهيم وقرر العزم على السير الى الموصل بعد ان شجعه حمدان وهون عليه امر اخيه ابو تغلب كما شجعه الوزير ابن بقيه الذي احتقره ابو تغلب في رسائله حيث انه لم يراسله كالوزراء السابقين(2) والحقيقة ان بختيار كان يطمع في الاستيلاء على الموصل واموالها مثله في ذلك مثل ابيه .

تقدم بختيار الى الموصل وتخلى عنها ابو تغلب بعد ان اخلاها من المؤن والميرة اللازمة فكان يتبع نفس خطط والده في الدفاع عن املاكه انحاز ابو تغلب من الموصل الى سنجار ومنها انحدر الى بغداد ، وعندما علم بختيار بمسيرة ابي تغلب الى بغداد انفذ اليه سبكتكين وابن بقيه الذين دخلوا بغداد وتنحى منها ابو تغلب وتراسل مع سبكتكين ودبرا امر القبض على الخليفة وبختيار الا ان سبكتكين لم ينفذ ما وعد به(3) ، وعقدمعه صلحاً على أن يحمل أبا تغلب مالاً يضمنه عن الموصل وأن يطلق ثلاثة آلاف كرغلة لبختيار وان يرجع اقطاعات حمدان اليه ما عدا ماردين(4) وبعد هذا الاتفاق سار ابو تغلب الى الموصل وكان يعتقد انه سينفرد ببختيار وقواته الضئيلة لكنه ما لبث ان اقترب من بختيار حتى تم الصلح بين الطرفين وكان ابن حمدان في موقف اقوى ، لكثرة جنده، وتعصب أهل الموصل للحمدانيين وكرههم لبختيار وعساكره(5) ، فتم الصلح

---

(1) ابن خلدون 4-246

(2) ابن الجوزي - مرآة الزمان 11 - 30 تجارب الامم 2 - 315

(3) تجارب الامم 2 / 318-319

(4) ابن الاثير 8-208

(5) ن . م

بينهم على ان تخفض الأموال المفروضة على ابي تغلب وان يلقبه الخليفة لقبا سلطانيا وطلب بختيار من ابي تغلب الافراج عن املاك حمدان واسبابه وان يرجع اليه قلعة ماردين وكل ما اخذه منها لان والده اعطاها اياه الا ان ابا تغلب لم يلتزم بهذا كله وتم الصلح بينهما وعاد ابو تغلب الى الموصل وعاد بختيار الى بغداد[1] .

ولم يكن انسحاب البويهيين على هذا النحو سوى هزيمة ساحقة لهم ، ونصرا للحمدانيين ولكن هذا النصر كان وقتيا لان الضعف بدأ يدب في اوصال الدولة الحمدانية بعد وفاة ناصر الدولة مباشرة اذ تنازع اولاده فيما بينهم كما رأينا ،دخل ابو تغلب الموصل واخذ يعيد تنظيم امورها ويقضي على مثيري الشغب والفتن وقتل جماعة ممن وقفوا الى جانب بختيار وعندما عاد بختيار الى بغداد رفض اصحابه امثال سبكتكين وابن بقيه شروط الصلح التي وقعها مع الحمدانيين واعتبروها مهينة لهم وعقدوا العزم على محاربتهم مرة اخرى[2] .

واحتجوا في عودتهم الى الموصل بان ابا تغلب هو الذي نقض معاهدة الصلح باعتدائه على انصار بختيار في الموصل[3] ، وما ان علم ابو تغلب بتقدمهم نحوه حتى خرج عن الموصل ودخلها بختيار[4] ، ثم تم الصلح بينهم على ان يفرج ابو تغلب عن ضياع حمدان ما عدا ماردين وان يمنح ابو تغلب لقبا سلطانياً وعاد كل منهم الى موقعه وبعث بختيار بالخلع السلطانية الى ابي تغلب ولقب بلقب عدة الدولة .

---

(1) ابن الجوزي ـ مرآة الزمان 11-31

(2) ن . م

(3) مسكويه ـ تجارب الامم 2-321

(4) ابن خلدون 4-247

تنافس البويهيين واثره في علاقتهم بالحمدانيين :

بعد ان عاد بختيار من الموصل وكان قد عقد مع الحمدانيين معاهدة صلح طالبه جنده بصرف مرتباتهم الا ان خزينة الدولة ليس فيها ما يكفي مرتبات الجند فثاروا عليه وبالاضافة الى ثورة الجند فقد وقعت فتنة في بغداد ما بين الاتراك والديلم(1) ، واراد بختيار ان يستغل هذه الفتنة لصالحه ويقضي على الفريقين المتنازعين(2) ، فانضم الى الديلم ضد الاتراك وفكر في القبض على زعيمهم سبكتكين .وكان بختيار اذاك قد انحدر الى الاهواز(3) ، وقد ادرك سبكتكين خطة بختيار وقبض على اولاده وحرمه وارسل بهم الى واسط في اثر والدهم واجبر المطيع على ان يتنازل عن الخلافة لابنه الطائع(4) .

وعندما شعر بختيار بقوة سبكتكين راى ان يطلب المساعدات الخارجية فاستعان بابي تغلب بن حمدان ووعده باسقاط ما عليه من الأموال المستحقة عليه وطلب نجدة من ابن عمه عضد الدولة وارسل كذلك الى عمران شاهين في البطائح يسأله النجدة(5) ، وعبأ قواته واستعد لقتال الاتراك وكان سبكتكين قد اغرى حمدان بن ناصر الدولة بالانضمام اليه وجعله على رأس قواته وظل كذلك حتى بعد وفاته عندما جدد له الفتكين القيادة(6) ، وصارت القوات المتحاربة في مواجهة بعضها البعض فأستأمن حمدان الى بختيار فاستقبله واكرمه واثر هذا في نفوس الاتراك حتى ارتبكوا وصار حمدان على رأس قوات بختيار وفي يده زمام المبادرة اذ كان يهاجم الاتراك دائما حتى جرح مرة ووقع اسيرا في ايديهم(7) ، وظلت الحرب قائمة بين الطرفين حتى انهكت قوات الديلم فارسل بختيار يستعجل ابا تغلب ويقول له :

فان كنت مأكولا فكن خير آكل والا فادركني ولما امزق

---

(1) حسن ابراهيم حسن 3-108 تاريخ الاسلام السياسي

(2) ابن الجوزي سبط ابن الجوزي 11-32

(3) ن . م

(4) ن . م

(5) ابن الاثير 8-212

(6) مسكويه ـ تجارب الامم 2-335.

(7) مسكويه ـ تجارب 2-336

وقال له ان المملكة قد خرجت من يده وانه احسن بها ممن غلب عليها فوعده ابو تغلب بالقدوم ونزل على بغداد وقضى على الفتنة التي بها، وظفر بالكثير منها[1] ، وبعث بابي عبد الله الحسين في طائفة من الجيش الى تكريت لينتظر نتيجة المعركة[2] .

اما عضد الدولة فانه بعث الى ابن عمه يقول ان الواجب الا تفارق واسطا حتى نلحق بك ونتفق على ما فيه الرأي اما عمران شاهين فانه لم ينجده بشيء[3] . سار عضد الدولة الى ابن عمه فلما علم الفتكين بتجمعهم انسحب الى بغداد ليتحصن بها فرحل عنها ابو تغلب بن حمدان واصبح الفتكين محصورا في بغداد اذ منع أبو تغلب الميرة الواردة من الموصل وقام بختيار وابن عمه بتطويق بغداد من الشرق والغرب حتى ساءت الحالة فيها وثار الناس واضطر الفتكين الى خوض معركة مع بني بويه فهزم[4] ، وبعد الهزيمة جمع فلول جنده وسار الى الشام التي كانت هي الاخرى مثار نزاع بين الفاطميين وولاة العباسيين والحمدانيين ودخل دمشق بدعوة من اهلها فاستقبلوه واكرموه وعاهدوه على حرب الفاطميين لانهم كانوا قد كرهوا حكمهم لسوء سيرتهم ومعاملتهم[5] ، اما بني بويه فانه بعد ان انسحب الاتراك من بغداد عادوا الى التنافس فيما بينهم فكان هذا مظهرا من مظاهر الضعف الذي اخذ يدب في اركان الدولة البويهية كما حدث تماما في بيت الحمدانيين بعد موت ناصر الدولة .

تقدم عضد الدولة الى بغداد بعد النصر فاعجبته العراق وقبض على ابن عمه وتقرب الى الخليفة ومنحه الأموال والهدايا وقد حفظ له الطائع صنيعه هذا فقربه اليه وعقد في نفس الوقت على ابنته على صداق قدره مائتا الف دينار[6] ، وطلب ابو تغلب من عضد الدولة ان يجدد له عقد الضمان على الموصل فاستجاب له واعفاه من حمل المال

---

(1) مسكويه ـ تجارب الامم2/ 336-337

(2) ابن الاثير8-212

(3) ابن الجوزي ـ مرآة الزمان 11/ 36-37

(4) مسكويه ـ تجارب الامم2-338-339

(5) ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق ص11

(6) حسن ابراهيم3-109 (تاريخ الأسلام السياسي)

انهيار دولة الحمدانيين في الموصل

رأينا كيف بدأ التنافس بين ابناء البيت البويهي وكيف ان عضد الدولة حاول ان يطرد ابن عمه ويحل مكانه في بغداد الا ان والده حال دون ذلك . ولكن عضد الدولة كان من الطموح حتى انه ما ان اتيحت له الفرصة حتى تقدم على رأس قواته في عام 367 ودخل بغداد فتنازل له ابن عمه حيث كان قد ضعف امره وليس في مقدوره مقاومته وخرج بختيار طريدا ذليلا وبرفقته حمدان بن ناصر الدولة(1) ، وقد اشترط عضد الدولة على ابن عمه الا يتعرض لاعمال ابي تغلب لمودة كانت بينهما فحلف له بختيار على ذلك(2) ، وكان بختيار قد اخذ من ابن عمه الأموال والدواب بعد ان تنازل له(3) ، وبهذا وبعد ان صفا الجو لعضد الدولة اصبح اميرا للامراء وخلع عليه الخليفة الخلع السلطانية وطوقه وسوره(4) ، وعضد الدولة هذا هو اول من خوطب بالملك في الاسلام وكان يلقب على المنابر بشاهنشاه الاعظم ملك الملوك(5) ، وهكذا استبد البويهيون بالسلطة في بغداد .

خرج بختيار من بغداد الى الشام الا ان حمدان اغراه بالمسير الى الموصل لانها اطيب واكثر مالا من الشام(6) ، فاستجاب لاغراء حمدان الذي تكفل بحمايته ومعونته عن طريق انصاره في الموصل(7) ، وهكذا نقض بختيار عهده الذي قطعه على نفسه امام ابن عمه وسار حمدان وبختيار حتى نزلا الى تكريت فلما علم ابو تغلب بذلك وكان ذكيا بارعاً طلب من بختيار ان يسلمه اخاه حمدان وهو بدوره يضع امواله وسلاحه تحت تصرف بختيار ليطرد عضد الدولة من بغداد(8) ، لكن بختيار رفض عرض ابي تغلب

---

(1) العيني ـ عقد الجمان 14-320

(2) ابن كثير ـ البداية والنهاية 11-290

(3) مسكويه ـ تجارب الامم 2-378

(4) لابن العميد ـ تاريخ المسلمين 235 عن حسن ابراهيم

(5) تاريخ المسلمين 236 عن حسن ابراهيم

(6) البداية والنهاية 11-290

(7) مسكويه ـ تجارب الامم 2-378

(8) ابو الفدا ـ المختصر في اخبار البشر 2-119 ابن خلدون 4-248

لانه عاهد حمدان فكيف يخونه ويجب ان نتذكر ان بختيار بمسيره الى الموصل نقض العهدالذي قطعه على نفسه أمام ابن عمـه وأرسل أبو تغلب ثانية حتى أن حاشية بختيار الحت عليه وهددوه بان ابا تغلب سيسير اليه ويهاجمه ان هو رفض طلبه وليس في مقدور بختيار ان يلقاه. فضعف امره في النهاية وقبض على حمدان وسلم الى ابي تغلب وفر ابنه ابو السرايا واستأمن الى عضد الدولة في بغداد[1] ، وبعد تمام هذا الامر استعد ابو تغلب وحشد جيوشه وانضم الى بختيار وتحالفا وتعاهدا بالحديثة فكانت قواتهم نحو عشرين الفا[2] ، ولما علم عضد الدولة بذلك وعرف قصدهم فكر في حيلة يوقع بها بينهم فكتب الى ابي تغلب رسالة على لسان أحد ثقاته بأن بختيار وعضد الدولة قد تآمرا عليه حتى إذا كانت المعركة قبض عليه وسار عز الدولة الى الموصل وعاد عضد الدولة الى بغداد وهكذا فإن أبا تغلب لم يزج بكل ثقله في المعركة[3] ، وهزم بختيار عند سر من رأى وقتله أصحاب أخيه أما أبو تغلب فإنه هزم وانسحب الى الموصل[4] ، لكن هل كانت هذه نهاية معارك عضد الدولة ؟

الواقع انعضدالدولة ما ان حقق النصر على ابن عمه وحليفه حتى عاد الى بغداد ليخرج منها من جديد بعد ان نظم قواته وذلك لمحاربة ذلك الذي كان صديقه بالامس واصبح عدوا لدودا له اليوم فصمم على طرده من الموصل وكانت سياسة عضد الدولة نحو الموصل تسير على نفس المخطط البويهي الذي رسمه معـز الدولـة ، للقضاء على منافسيهم الحمدانيين بها .

تقدم عضد الدولة الى الموصل فرحل ابو تغلب عنها واخلاها من الميرة والكتبه ورؤساء الدواوين فدخلها عضد الدولة واراد ابو تغلب ان يكسب الوقت فراسل عضد الدولة وطلب منه الافراج عن الموصل ولكنه رد عليه ردا حازما بقوله « انا اذا ملكنا ناحية بالسيف وبعد الحرب والمقارعة لم نصالح عليها » وتشدد في لهجته لدرجة انه قال

---

(1) تجارب الامم 2/ 379-380

(2) ابن خلدون 4-248

(3) سبط ابن الجوزي 11/ 80-81

(4) الذول المنقطعة ص28

« ان الموصل وديار ربيعه احب اليه من العراق » وكان قد احتاط لنفسه من ناحية المبره فحملها معه قبل القدوم الى الموصل(1) .

وأنفذ عضد الدولة سراياه في طلب ابي تغلب وظلت القوات في اثره من مدينة الى اخرى ونزل ابو تغلب في نصيبين وسار منها الى ميافارقين ، ولم يستطع ابو الوفا قائد عضد الدولة ان يفتحها لحصانتها وانتقل منها الى آرزن ثم الى الحسنيه واخيرا خرج اليه عضد الدولة بنفسه(2) .

والتجأ ابو تغلب في نهاية المطاف الى الروم وكان عليهم اذاك المعروف بورد وكان هذا مشغولا بمحاربة بعض الخارجين عليه(3) ، فيئس ابو تغلب من مساعدته وعاد الى آمد وكان عضد الدولة قد فتح ميافارقين واحسن الى اهل ابي تغلب فيها(4) ، ثم قصد عضد الدولة الى آمد وهكذا ظل الامير البويهي يستولي على حصون وقلاع الحمدانيين الواحدة بعد الاخرى حتى سقطت في يده سائر ديار بكر ، ولما يئس ابو تغلب من توقف عضد الدولة سار الى الرحبة(5) ، وبعث الى عضد الدولة يستبعطفه فاشترط عليه القدوم اليه فرفض ابو تغلب خوفا على نفسه من الاغتيال(6) وتقدمت القوات البويهية الى ديار مضر وكان سعد الدولة ابن سيف الدولة قد بعث اليها جيشا من حلب فاقتسمها مع عضد الدولة الذي اخذ الرقة لنفسه واعطى الباقي لسعد الدولة(7) ، وأمام هذه الضربات التي قصمت ظهر الدولة الحمدانية في الموصل لم يجد ابو تغلب بدا من الرحيل الى الشام وكان لا يقل عن منطقة الموصل والجزيرة اضطرابا، وصل ابو تغلب في رجاله القلائل الى الشام وكان المتولي على دمشق في ذلك الوقت قسام نائبا عن العزيز الفاطمي صاحب مصر وكان قد غلب عليها بعد الفتكين(8) ، وقصدها ابو تغلب فمنعه

---

(1) تجارب 2-384

(2) الدول المنقطعة ص30

(3) ن . م

(4) ابن الاثير 8-231

(5) ن . م

(6) ابن الجوزي ـ مرآة الزمان 11-89

(7) ابن خلدون 4-248 عقد الجمان 14-322

(8) ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق ص 21

قسام من دخولها ووصل كتاب العزيز بمنعه من دخولها[1] ، فسأل ابو تغلب عامل الخراج في دمشق ان يسمح لرجاله بابتياع ما يحتاج اليه رجاله من اسواق دمشق فسمح لهم بذلك الا ان قساما خاف ان ينتزع ابو تغلب دمشق منه فمنع اصحابه من دخول المدينة ورحل ابو تغلب الى طبريه وكتب الى مصر يطلب النجدة لفتح دمشق وكان قسام قد ارسل الى مصر باخبار ابي تغلب[2] ، فجاءته كتب الخليفة الفاطمي تستدعيه الى مصر الا انه رفض وخاف ان يغدر به وهناك فارقه ابن عمه ابو الغطريف مستأمنا الى عضد الدولة[3] ، وفي تلك الفترة وقع خلاف بين والي الرملة دغفل بن الجراح وبني عقيل وكان القائد الفاطمي قد وصل الى طبريه ووعد ابا تغلب خيرا على لسان الخليفة الفاطمي واوهم دغفل بان ابا تغلب انما يطمع في الرملة[4] ، ووقعت الفتنة ما بين بني عقيل ود غفل بن الجراح فاستعانت بنو عقيل بابي تغلب وانضمت قوات الفاطميين الى دغفل بن الجراح وبهذا غدر القائد الفاطمي بابي تغلب لانه كان قد وعده بنصرته وبعد معركة دامية هزمت بنو عقيل وحليفهم ابو تغلب الذي قتل في المعركة عام369هـ[5] .

وهكذا وبموت ابي تغلب يسدل الستار على فترة تاريخية هامة من فترات حياة الدولة الحمدانية بالموصل ولكن نفوذهم ما زال قائما في حلب وان كان ضعيفا نتيجة تعرض دولتهم للاطماع المحيطة بهم من الشمال والجنوب .

وانقضت عشرة اعوام على نهاية الحمدانيين بالموصل حتى عادت اليهم من جديد لكن هذه العودة كانت تشبه صحوة الموت .

بعد ان مات ابو تغلب رحل اخواه ابراهيم والحسن الى بغداد ودخلا في خدمة شرف الدولة فلما مات وجاء بهاء الدولة استأذناه في المسير الى الموصل فاذن لهما وكان عليها اذاك خواشاذ[6] ، لكن السلطان في بغداد بعث الى خواشاذه ان يمنعهم من

---

(1) الدول المنقطعة ص31

(2) ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق ص21

(3) مسكويه ـ تجارب الامم2-401

(4) ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق ص22

(5) العيني ـ عقد الجمان14-332 الدول المنقطعة32

(6) ابن الاثير8-232

دخول الموصل وكتب اليهم طالبا منهم العودة الا انهم رفضوا الاستجابة له وواصلوا سيرهم حتى نزلوا بظاهرها[1] ، وما ان علم اهل الموصل بقدومهم حتى انتفضوا ترحيبا بهم وثاروا على الديلم والاتراك بعد ان كانوا قد ارهقوهم بالسلب والنهب وفرض الضرائب فنهب الاهالي دورهم .

وكانت الدماء العربية هي التي حركت اهل الموصل للترحيب بالحمدانيين وقد شعروا بالحنين اليهم بعد غيبة طويلة ودخل الحمدانيون الموصل ووفدت القبائل العربية عليهم من كل صوب[2] ، وعلم باد بن دوسك الكردي بسقوط الموصل في يد الحمدانيين وكان هو في ديار بكر «وكانت قد آلت له بعدما عقد صلحا مع صمصام الدولة البويهي » فصمم على طردهم ، خصوصا انه يعلم انهم يفتقرون الى الأموال والرجال فاستنجد الحمدانيون بابي عبد الله محمد بن المسيب امير بني عقيل على ان يعطوه جزيرة ابن عمرو ونصيبين ويلد وتقدم باد نحو الموصل وما ان وصل اليها حتى وقع ما بين القوات الحمدانية وقوات بني عقيل وقتل باد في المعركة سنة :380[3] ، وبعد ان قتل باد طمع الحمدانيون في استرجاع ديار بكر وكان ابو علي بن مروان الكردي وهو ابن اخت باد قد فر الى حصن كيفا حيث يقيم اهل ياد الكردي فتزوج امرأة خاله وملك جميع امواله وزحف في ديار بكر فملك ما كان لخاله وواصل حربه ضد الحمدانيين[4] ، حتى وقع ابو عبد الله الحسن بن حمدان في اسره الا ان ابا علي اطلقه بعد ان احسن اليه واكرمه فحث هذا اخاه على الصلح مع ابي علي وترك ديار بكر والاتجاه الى غيرها الا ان اخاه رفض رأيه وواصل سيره فوقع الحسن مرة اخرى في اسر ابي علي فقال له « ما رأيت احساني اليك حتى عدت الى قتالي وحبسه حتى توسط له صاحب مصر[5] » ، اما ابو طاهر فانه هزم وانسحب الى نصيبين وكان بها ابو الدرداء محمد بن المسيب امير بني عقيل ، فتخلص هذا من ابي طاهر الحمداني وسار الى الموصل وامتلكها وصار له الامر

---

(1) العيني ـ عقد الجمان 16-412 ابن خلدون 4-252

(2) ابن الاثير 8-240

(3) ابن خلدون 4-252 عقد الجمان 16-414

(4) ابن الجوزي ـ مرآة الزمان 11-149

(5) ن . م

الفصل الرابع

الدولة الحمدانية في حلب وعلاقاتها بالاخشيديين الفاطميين والبيزنطيين

1 ـ سيف الدولة قبل توليه الحكم

2 ـ لماذا اختار سيف الدولة حلب ؟

3 ـ مملكة سيف الدولة .

4 ـ العلاقات الحمدانية الاخشيدية .

5ـ العلاقات الحمدانية البيزنطية .

6ـ حروب سيف الدول الداخلية .

7 ـ علاقات الدولة الحمدانية بعد وفاة سيف الدولة .

أ) ظهور الفاطميين وبداية علاقتهم بالحمدانيين .

ب) الوحشه بين باكجور ـ وسعد الدولة وتدخل الفاطميين .

ج) سقوط حلب في يد الفاطميين .

سيف الدولة قبل توليه الحكم

كان العصر الذي ولد فيه علي بن عبد الله بن حمدان ، مليئا بالاضطرابات والحروب الأهلية ، كثير الدسائس والفتن ، وسيطر الدخلاء على مجريات الامور في بغداد ، وأهملوا شؤون الخلافة وشلوا أيدي الخلفاء فأصبحوا مسلوبي السلطة والنفوذ ، وبالتالي أهمل الدفاع عن حدود الدولة ، مما أطمع أمراء الاطراف في ولاياتهم وكونوا لهم امارات مستقلة انسلخت كلها من جسم الخلافة فأضعفها وقلت مواردها ونقص جيشها لدرجة أن ضعفها أغرى البيزنطيين على تجديد هجماتهم على الحدود الاسلامية لاسترداد ما كانوا قد فقدوه على أيام الخلفاء الأوائل ، ونضيف لكل ما سبق ما كان يجري في داخل أروقة قصور الخلفاء من الدسائس والمؤامرات لدرجة أن سحل الخلفاء وقتلهم أصبحا أمرين مألوفين لدى الدخلاء في ذلك العصر الذي خفتت فيه الاصوات التي تنادي بتطبيق مبادىء القرآن والسنة النبوية . وبالاضافة الى ما سبق فقد كانت الانقسامات الدينية والمذهبية كثيرا ما تجر البلاد الى حرب أهلية تكون نتيجتها سفك الدماء . ولم يعد الدين في ذلك الوقت أداة تجمع كما هو في الحقيقة بل استغله ذوو الاطماع والمآرب الشخصية أداة لتفرق كلمة المسلمين طوائف ونحلا . ومن الطبيعي أن يترتب على ذلك كله فوضى اقتصادية فلم تكن الثروة موزعة توزيعاً عادلا ، وقاسى عامة الشعب الفقر المدقع .

ولقد كانت بغداد في ظل هذه الظروف العصيبة مسرحا لظهور المتغلبين ممن لهم كثرة في الاتباع والانصار ولم يكن هم هؤلاء غير جمع الاموال بأية وسيلة كانت ، وفي وسط تلك الاحداث الخطيرة رأينا كيف شقت الاسرة الحمدانية طريقها بصعوبة وكان

من أبرز شخصياتها عبد الله بن حمدان (أبو الهيجاء) والد كل من سيف الدولة وناصر الدولة اللذين كانت على يدهم عظمة الاسرة الحمدانية بصفة خاصة ، ثم رأينا فيما سبق كيف أن ناصر الدولة نجح في فرض سيطرته ونفوذه على منطقة الموصل وما حولها وحاول أن يستقل بها كلية الا انه لم يوفق في ذلك وكون دولة مستقلة استقلالا ذاتيا وظل تابعا لبنى بويه الحاكمين انذاك في بغداد ، بعكس ما سنرى عند أخيه سيف الدولة .

ولد سيف الدولة بن حمدان في عام301 هـ وقيل في عام303 (1) بميفارقين(2) الا أن المصادر العربية لم تخبرنا بأية معلومات عن طفولته ولكن المستشرق اندريه دايفتس يقول متحدثاً عن طفولته في روايته الطريفة التي كتبها عن تاريخ حياته « أنه عندما ابتدأ الامير سيف بالمشي عرف الناس أنه سيكون الاكثر جمالا في بني حمدان . . . وكان ذكاؤه حادا مستغربا لهذا دفعه والده بين أيدي حكماء الموصل الذين لقنوه العلوم والشعر وكان يريد أن يجعله عالماً يفوق كل العلماء ، انما الله وحده يعرف كل شيء . . . وما قدر يكون ». هذا بالاضافة الى ما كان يحيط بعلي من مظاهر الحياة الحربية فقد تربى في بيئة عسكرية وأسرة عريقة في الحرب والادب فنشأ شاباً أديباً فارساً شجاعاً طموحاً. فقد رأيناه كيف وقف الى جانب أخيه الحسن ، فكان سنده الاول دائماً في كل حروبه وغزواته وما أن بلغ العشرين من عمره حتى أوقع بعمرو بن حابس الأسدي هزيمة ساحقة عند رأس العين ، وببنى ضبه ورياح التميمي وقد وصف هذه الواقعة المتنبي بقوله(3) :

واذا امتحنت تكشفت عزماته عن اوحدي النقض والابرام*

---

(1) بيبرس : زبدة الفكرة5-179 « يقرر سنة303 هـ وكذلك الذهبي (تاريخ الاسلام17-8 . ابن ظافر الازدى : الدولة المنقطعة ص21

(2) اشهر مدن ديار بكر

(3) خزانة الادب1/381-382 عن الدكتور مصطفى الشكعة ـ سيف الدولة ص44

* واذا سألت بنانه عن نيله لم يرض بالدنيا قضاء ذمام
مهلا الا لله ما صنع القنا في عمرو حاب وضبة الاغتام
لما تحكمت الاسنة فيهم جارت وهن يجرن في الاحكام
فتركتهم خلل البيوت كأنما غضبت رؤوسهم على الاجسام

ومرت الايام والاعوام بسيف الدولة بن حمدان وأخيه الحسن يدفعه في وجه الروم حيث خاض معهم المعارك الضارية وانتصر عليهم وطاردهم وعاد منتصراً، فلم يلبث أن يعود الى الموصل حتى يرجع لمطاردتهم مرة أخرى ، ويفتح الحصون والقلاع ويسبي القرى ويحرق البساتين ثم رأيناه مرة أخرى وفي ميدان آخر في بغداد ، فقد رأينا أن البريديين تقدموا وطاردوا الخليفة وأمير امرائه ففروا الى الموصل حيث استنجدوا بالحمدانيين في الموصل ، فاستجابوا له وبعث ناصر الدولة بأخيه سيف الدولة حيث تمكن من ايصال الخليفة الى أخيه بالموصل فأكرمه بنو حمدان ثم عادوا معه بجيوشهم وكان على رأس هذه الجيوش سيف الدولة بن حمدان الذي خاض المعارك الضارية ضد البريديين حتى خرجوا من بغداد ، ولكنه لم يكتف بهذا بل أراد القضاء على خطرهم تماما فطاردهم حتى أخرجهم من واسط ثم انه أراد أن يتعقبهم الى البصرة لولا أن الظروف حالت دون تحقيق ذلك الغرض ، فاستقر سيف الدولة في واسط .

وفي هذه الفترة بلغت الاسرة الحمدانية أوج مجدها فقد أصبح ناصر الدولة أميراً للامراء واخوه سيف الدولة أصبح من أعظم قادة الخلافة وحامي ذمارها ضد أعدائها لدرجة أنه حاز رضى الخليفة ثم رضى الشعب الذي أخذ يدعو له في الطرقات والمساجد ، ولكن زملاءه من الاتراك حسدوه على هذه المكانة وكبسوه ليلا ، مما اضطره الى العودة لاحقاً بأخيه ناصر الدولة في الموصل(1) وما أن استقر سيف الدولة في الموصل حتى حدثته نفسه بأن اخاه لا بد أن يكافئه بامارة أو ولاية له يحكمها نظير ما قدمه له من خدمات جليلة ، الا أننا رأينا أن ظن سيف الدولة قد خاب حين ولى اخوه ابن عمه الحسين بن سعيد امارة الثغور والعواصم مما كان له أثر سيء في نفس سيف الدولة ، وبدأت الوحشة بين الاخوين واضحة حتى يقول سيف الدولة عن نفسه عندما بدأ نشاطه وطموحه حدثني أبو يعلى محمد بن يعقوب البريدي الكاتب قال لما قصدت سيف الدولة أكرمني وانسَ بي وأنعم علي وكنت أحضر ليلا في جملة من يحضر فقال لي ليلة من الليالي . « كان قتل أبيك أبرك الاشياء علي » فقلت كيف ذاك أطال الله بقاء مولانا

---

(1) راجع صفحة 132 من هذه الرسالة

الأمير؟[1] . قال: لما رجعنا من بغداداقتصربي أخي ناصر الدولةعلى نصيبين فكنت مقيماً فيها ولم يكن ارتفاعها يكفيني ، فكنت أدافع الاوقات وأصبر على مضض من الفاقة مدة ، ثم بلغتني أخبار الشام وخلوها الا من يانس المؤنس وكون ابن طغج بمصر بعيداً عنها ورضاه بأن يجعل يانس عليها ، ورضاه بأن يحمل اليه الشيء اليسير منها ، ففكرت في جمع جيش وقصدها وأخذها وطرد يانس ومدافعه ابن طغج ان سار اليَّ بجهدي ، فان قدرت على ذلك والا كنت قد تعجلت من أموالها ما تزول به فاقتي مدة ووجدت جمع الجيش لا يمكن الا بالمال وليس عندي مال فقلت اقصد أخي وأسأله أن يعاونني بألف رجل من جيشه يزيح هو علتهم ويعطيني شيئا من المال وأخرج بهم فيكون عملي زائد في عمله وغيره ، قال وكانت تأخذني حمى فرحلت الى الموصل على ما بي ودخلت الى أخي وسلمت عليه ، فقال: ما أقدمك؟فقلت أمرأ أذكره فيما بعد، ورحب، وافترقنا فراسلته في هذا المعنى وشرحت له فأظهر من المنع القبيح والرد الشديد غير قليل ، قال سيف وبعثت اليه من أوجه الرجال فامتنع ثم قصدت امرأته الكردية والدة ابي تغلب ، قال :وكنت جالسا يوما بحضرته اذ جاءته رسالة تخبره بان ابا عبد الله البريدي قتل أخاه يوسف وتولى البصرة[2] ، قال سيف فخفت من ان أخي ناصر يظنني كالبريدي ورحلت عنه مع غلماني حتى وصلنا الى بلد[3] ، ثم رحلنا عنها وأصبحنا على بعد فرسخين من بلد ،فاذا بجيش واعلام لاحقين بنا ، فلم أشك ان أخي أنفذهم للقبض علي ، فأخذت للأمر أهبته ودعوت غلماني بالاستعداد للحرب وعدم المبادأة ، الا أن أحد الاعراب لحق بي وأخبرني أن رسالة من أخي ناصر الدولة يحملها دنحا أحد عبيدي ، فانتظرت حتى سلمني دنحا رسالة مضمونها « أنك قد كنت جئتني تلتمس كيت وكيت ، فصادفت مني ضجرا وأجبتك بالرد ، ثم علمت أن الصواب معك ، فكنت منتظرا أن تعاودني في المسألة فخرجت من غير معاودة ولا توديع ، والان ان شئت فأقسم سينجار بنصيبين فاني منفذ اليك ما التمست من المال والرجال لتسير الى الشام . . فقلت لدنحا تشكره وتجزيه الخير . . فاذا كان قد رأى هذا فانا ولده وان تم لي

(1) كانار ـ اخبار الامير سيف الدولة الحمداني ص404

(2) كانت الرسالة من الخليفة

(3) اسم قرية من اعمال الموصل

شيء فهوله ، وإنا مقيم بنصيبين لانتظر وعده . . . وما هي الا ايام حتى جاءني دنحا ومعه الف رجل قد ازيحت عللهم وأعطوا أرزاقهم ونفقاتهم وعرضت دوابهم وبغالهم، ومعهم خمسون الف دينار، وقال هؤلاء الرجال وهذا المال فاستخر الله وسر . فسرت الى حلب وملكتها وكانت وقائعي مع الاخشيدية بعد ذلك المعروفة[1] .

وهناك رواية أخرى بشأن هذا الموقف تقول: ان سيف الدولة عندما طلب من أخيه ناصر الدولة ولاية قال له « الشام أمامك وما فيه أحد يمنعك[2] » ومهما يكن من أمر فقد تراجع ناصر الدولة عن موقفه وادرك أنه على خطأ وأن أخاه علياً على حق ولهذا فقد بعث اليه بالاموال اللازمة والرجال وشجعه على المسير . اما الرواية الثانية فمن المعقول أن يكون ناصر الدولة قد قالها لاخيه سيف الدولة على اساس أن ناصر الدولة يعرف الشام وما فيها من اضطراب خصوصا وانها ميدان نزاع بين الاخشيديين والعباسيين ، ونصحه اخوه باستغلال هذه الفرصة من الاضطراب والتقدم الى الشام لان اهلها سيرحبون بمن يقف الى جانبهم وينقذهم من هذا الصراع .

وما دام الامر قد أصبح مكتملا لسيف الدولة وقد تجمعت لديه الاموال والرجال فلماذا لا يتقدم الى حلب ويجرب حظه كبقية آبائه واعمامه من قبل ، ويكون له امارة في الشام ؟

---

(1) التنوخي : نشوار المحاضرة ص 240

(2) ابن العديم : زبدة الحلب 1-111

لماذا اختار سيف الدولة حلب بالذات ؟

يرى البعض[1] . أن سيف الدولة قد هداه ضميره الى التقدم نحو حلب واحتلالها لتكون قاعدة لدولته المنشودة . ولكن الواقع غير هذا ، فنحن رأينا أن بلاد الشام في تلك الفترة كانت مسرحا للمنازعات والمنافسات بين الخلافة والاخشيديين فقد شجعت الخلافة محمد بن رائق على التقدم نحو الشام فاصطدم بالأخشيديين. هذا بالاضافة الى أن حلب كانت تعاني من الانقسامات الداخلية والاضطرابات[2]. اذن كانت حالة بلاد الشام بصفة عامة والحالة في حلب بصفة خاصة هي التي شجعت سيف الدولة على اختيار حلب لتكون قاعدة لدولته . ومعنى هذا أن ما ذكر في البداية عن كيفية اختيار سيف الدولة لحلب هو من ضرب الخيال خصوصا اذا عرفنا أن صاحب ذلك الرأي يناقض نفسه عندما يقول في موضع آخر من كتابه . . . « وبينما كانت هذه المدينة لا تعرف أهي تحت سلطة الخليفة أم تحت سلطة الاخشيديين الذين ولوا عليها أبا الفتح عثمان بن سعيد الكلابي وكان غير محبوب من عشيرته فاتصل اخوته بالامير سيف واستدعوه الى حلب لاعتزازهم ببطولته واريحيته »[3] ومن هذا النص يتضح لنا نقض الرأي الاول بمعنى ان اهل حلب هم الذين استدعوا سيف الدولة اليهم ولم يهده ضميره . ومهما يكن من أمر فان هناك من العوامل الهامة بالاضافة الى ما سبق هي الاخرى شجعت سيف الدولة على اختيار حلب . فقد كانت حلب أهم وأكبر مدن اقليم قنسرين فهي تقع على مدرج طريق العراق الى الثغور وسائر الشامات[4] . ثم هي في وسط سهل فسيح على ملتقى طرق تجارية مهمة في سوريا الشمالية وميزتها الاصلية أنها مدينة حدود ومدينة اتصال ، تلتقي بمنطقتها الوحدات الجغرافية الكبرى سوريا وبلاد الرافدين والاناضول . . وليس تاريخها سوى تاريخ الاتصالات التي جرت في

---

(1) سامي الكيالي : سيف الدولة وعصر الحمدانيين ص49

(2) ابن العديم : زبدة الحلب 1-111

(3) سامي الكيالي : سيف الدولة وعصر الحمدانيين ص66

(4) الأصطخري : المسالك والممالك

المنطقة[1] . اما عن موقع حلب بالنسبة للشام فقد كانت كالواسطة من العقد والقلب من الصدر والانسان من العين[2] .

اي ان حلب هي أهم بلدة في الشام من جميع النواحي ولقد كان لهذا الموقع الممتاز الذي تمتعت به حلب أن أصبحت التجارة في أسواقها نشطة رائجة فقد كانت البضائع من كل جانب تحط رحالها في حلب مثل الحرير والصوف والقماش العجمي وأنواع الفراء وسائر الوبر والبضائع الهندية وأجناس الرقيق من الجركس والترك والروم وكان يباع فيها في يوم واحد ما لا يباع في غيرها في شهور كل ذلك بأطيب ثمن وأرغبه[3] ولهذا فقد لقبت حلب « بتدمر الجديدة »[4] وبلغ ارتفاع حلب دون البلاد الخارجة عنها والضياع والاعمال ستة ملايين وتسعمائة الف وأربعة وثمانين الف وخمسمائة درهم في سنة 609[5] . ولقد امدتنا دائرة المعارف بأرقام تبين مدى ارتفاع حلب . ففي عهد المأمون بلغ ارتفاعها 400 الف دينار[6] ، وفي عهد الرشيد (170 ـ193 هـ) 470 الف دينار . ويقول المقدسي بلغ خراجها 360 الف دينار[7] .

ولقد شهد كثير من الرحالة والجغرافيين بعظمة حلب وأهميتها فهي بلد نفيس خفيف حصين مبني بالحجارة[8] « مدينة عامرة غاصة بأهلها كثيرة الخيرات[9] . ويصفها ياقوت بأنها » مدينة عظيمة واسعة الخيرات طيبة الهواء والماء وهي قصبة جند قنسرين وفي رسالة لابن بطلان بعث بها الى هلال ابن الحسن في نحو سنة 440 هـ قال: «دخلنا من الرصافة الى حلب في اربع مراحل وحلب بلد مسور بحجر أبيض وفيه ستة أبواب

---

(1) فتحي عثمان : الحدود الاسلامية البيزنطية ص217-218

(2) ابن الشحنة : الدر المنتخب ص15

(3) ابن الشحنه : الدر المنتخب ص25

(4) الدكتور الشكعة : سيف الدولة الحمداني ص69

(5) ابن الشحنه : الدر المنتخب ص146-147

(6) يقول له سترانج ان الدينار يمكن تقديره بعشرة شلنات

(7) دائرة المعارف الاسلامية (مادة حلب)

(8) المقدسي :احسن التقاسيم ص152

(9) ابن حوقل : صورة الارض ص177

ويزرع في اراضيها القطن والسمسم والبطيخ والخيار والتفاح[1] ». هذا الى جانب أنها مدينة من أجلِّ المدن وأنفسها ولها من الكور والضياع ما يجمع سائر الغلات النفيسة[2] وهكذا يجمع غالبية الجغرافيين على أهمية حلب وكثرة خيراتها وعمرانها ، لدرجة أن العدو شهد لها كما شهد الصديق ، حيث يقول المستشرق غوستاف شلومبرجر[3] « . . ولقد دهش الامبراطور نفسه عند دخوله عاصمة الامير من فخامة المدينة وزخرف اسواقها وأناقة قصورها بل لقد شعر قيصر الرومان بالحسد من تفوق حلب على القسطنطينية وكان من حقه أن يشعر بالحسد لان الفكر العربي الذي تأثر بالفكر البيزنطي قد ابتدع شيئا جديدا لم يألفه مؤسسو المدن والعواصم من قدماء الاغريق »[4] .

ولماذا يستغرب الامبراطور ويندهش من حلب وعمرانها فقد كانت عاصمة لشاب طموح اراد ان يضاهي خلفاء بغداد وأباطرة بيزنطية ولم يعرف أو يرى شيئا حسنا او جميلا الا أضافه . وكان هذا بمساعدة الفنانين من العرب والاجانب على حد سواء ، ولقد أقسم مؤرخ بيزنطي زار حلب في عصر سيف الدولة أن قصور الخلفاء في بغداد وقصور ملوك الروم في القسطنطينية كانت أقل بهاء من قصور سيف الدولة ، ثم يستطرد قائلا «ان الفنون على تباين انواعها كانت مضطهدة في عاصمة المسيحية ولكنها كانت تنعم بتسامح كبير في عاصمة الدولة الحمدانية ، فقد كان المصورون والمثالون من الروم يخرجون من ديارهم على كره منهم لان قيصر قد أرادهم على هذا التشريد فكانت حلب تستقبل جميع هؤلاء ، وكان سيف الدولة يكرمهم ثم يستفيد منهم . . . مما يزيد في تحسين حضارة بلاده »[5] . ولقد نزلت القبائل العربية في حلب وما يتبعها من

---

(1) ياقوت : معجم البلدان · 2 / 304-306

(2) ابن العديم : بغية الطلب مخطوط بدار الكتب ص 123

(3) اعتمد هذا المؤرخ في بحثه عن حروب سيف الدولة على مؤرخين بيزنطيين رافقوا الامبراطور نقفور في رحلته الى حلب هذه المدينة التي اسماها مدينة العروبة والفنون .

(4) سامي الكيالي : سيف الدولة وعصر الحمدانيين ص 57-58

(5) سامي الكيالي : مجلة الحديث عدد 3 ص 204 205 سنة 1934

بلدان وكان من أهم هذه القبائل بنو اسد وبنو كلاب[1] وكذلك بنو نمير وبنو طريف وبنو الخزرج ثم قبائل ثقيف وجشم وقضامه وتنوخ ونزار وبنو المهذب وبنو زريق[2] . ولقد كان لنزول القبائل العربية في هذه المنطقة اثر كبير في تسهيل عملية الفتوح الاسلامية حيث ان العرب لم يواجهوا مقاومة تذكر في فتح حلب عام16 هـ رغم مناعة حصونها ، وبالاضافة الى هذا فقد كان لمدينة حلب أهمية روحية حيث يقال ان سيدنا ابراهيم الخليل كان يقيم بها[3] .

ولقد احيطت حلب كما يقول ابن الخطيب في وصفه لسورها القديم المنيع والذي كان يضرب به المثل في الحصانة قديما وكان يليه ثلاثة أسوار ، ثم اتفق هو وابن شداد فقالا: كان مبنيا بالحجارة من بناء الروم أولا ولما وصل كسرى انشروان الى حلب دخلها ورمم ما كان قد تهدم من اسوارها وبناها بالآجر[4] . وكان في مدينة حلب قلعة منيعة عظيمة وصفها كثير من الرحالة والجغرافيين العرب وصفها ابن حوقل بالمناعة وغاية الاحكام وأنه لا يقدر عليها[5] ، ويتفق معه ياقوت لان مدينة حلب في وطئه من الارض وفي وسط ذلك الوطأ جبل عال مدور والقلعة مبنية في رأس ذلك الجبل وفي وسط القلعة مصانع تصل الى الماء المعين[6] . اما ابن جبير فقد قال عنها « ولها قلعة شهيرة الامتناع بائنة الارتفاع معدومة الشبه والنظير وسورها الاعلى كله ابراج منتظمة فيها العلالي المنيفة والقصاب[7] المشرفة قد تفتحت كلها طيقانا وكل برج فيها مسكون وداخلها المساكن السلطانية والمنازل الرفيعة الملوكية »[8] . يسبب هذه الحصانة لمدينة حلب وبوقوعها ما

(1) منهم صالح بن مرداس وسيأتي ذكره فيا بعد

(2) انظر بغية الطلب ص530-33-41-551

(3) ابن جبير ـ رحلة ابن جبير ص238

(4) ابن الشحنه : الدر المنتخب ص32

(5) ابن حوقل . صورة الارض ص177

(6) ياقوت : معجم البلدان2-312

(7) يعني بها الغرف

(8) ابن جبير : رحلة ابن جبير ص238

دولة سيف الدولة

من المعروف لدينا ان الدولة يجب أن تتوفر فيها عناصر هامة ليصح اطلاق الاسم عليها ، وهذه العناصر هي الشعب والارض والنظم التي تربطها ، بمعنى ان الدولة يجب ان تكون مجتمعا ثابتا مستقلا يملك بقعة من الارض ويعيش في ظل سلطة منظمة ، وهذا التعريف ينطبق تماما على مملكة سيف الدولة فقد توفرت لها جميع تلك العناصر من الأرض الى الشعب والنظم .

وقد ضعفت الخلافة العباسية وانبثق عنها عدد كبير من الدول الصغيرة ، فكانت مثلا دولة الادارسة في « تونس » والطولونيين في مصر ومن بعدهم الاخشيديين ثم السامانيين في بلاد المشرق والحمدانيين في الموصل وحلب . وتشبه الدولة العباسية في هذا الدولة العثمانية بعد سقوطها في يد الحلفاء ، وهكذا وعلى نفس عوامل الضعف في الدولتين سارت الامور ، ولكن دولة سيف الدولة اختلفت عن تلك الدول التي انسلخت من جسم الامبراطورية العثمانية في انها اي مملكة سيف الدولة لم ترتبط بدولة اكبر منها حتى تحدّ من نفوذها او استقلالها بل بالعكس كونت لها جيشا وطنيا خاض المعارك الطاحنة مع اعظم دول ذلك العصر فهزمها وهزمته ، وكانت الصخرة التي تحطمت عليها آمال الروم . ولقد كانت اكبر خدمة قدمتها الدولة الحمدانية للعالم العربي بصفة خاصة والعالم الاسلامي بصفة عامة ان حافظت على عروبة وعقيدة تلك المناطق الهامة في شمال الشام والعراق في فترة غفوة الخلافة العباسية وضعفها ، ولولا قيام تلك الدولة الصغيرة المحدودة الموارد لذهبت تلك المناطق الى ايدي الروم ولما قام للاسلام فيها قائمة ، ولتغير وجه التاريخ ولأثر تأثيرا خطيرا على سير الامور والحوادث التي تلت ذلك العصر ، وتمكنت الدولة الحمدانية من المحافظة على قوتها وحيويتها في رد عدوان الروم الى ان اصبحت الدولة الفاطمية في مركز يمكنها من الوقوف في وجه الروم فتحملت عنها بالتالي تلك الرسالة الخالدة التي يجب ان يسجلها التاريخ بكل فخر واعتزاز لتلك القبيلة العربية الاصيلة التي لعبت دورا خطيرا في تاريخ تلك المنطقة .

وعلى الرغم من صغر الدولة الحمدانية الا انها شملت المدن الهامة المشهورة والجبال العالية والانهار والثغور العديدة . وكان من اهم مدنها حلب عاصمة الدولة فكانت اسواقها ذات نشاط كبير بحكم موقعها الجغرافي الاقتصادي كرابطة بين الشرق والغرب[1] . ومنها كذلك انطاكية التي يقول فيها ابن حوقل « انها انزه بلد بالشام بعد دمشق وعليها سور ضخم من الصخر. . . ولها اراض خصيبة ومزارع يانعة»[2] ومنها ايضا مدينة قنسرين وهي قرب نهاية نهر قويق وقيل فيها « ان قنسرين مدينة تنسب الكورة اليها غير ان دار الامارة والاسواق ومجامع الناس والعمارة بحلب»[3] . ومن مدنها ايضا منبج التي يصفها ابن جبير «تحدها من الشرق والغرب بساتين مختلفة الثمار ولها قلعة حصينة في جوفها»[4] ومن مدن المملكة ايضا بالس التي كانت موطنا لبني كلاب وكثيرا ما ثاروا على سيف الدولة وافسدوا خططه الخارجية[5] . ومعرة النعمان وتقع على الطريق ما بين حماه وحلب وسميت باسم الصحابي المعروف النعمان بن بشير الذي كان واليها زمن معاوية[6] ومعرة مصرين وسرمين وهي بلدة مشهورة من اعمال حلب ، وكفر طاب التي يعدها ابن العديم بين الحصون المستحدثة بعد الفتح والقائمة من ايامه[7] . واعزاز التي تقع في وسط اقليم خصب آهل بالمدن والسكان ويرويها احد روافد نهر قويق[8] وكذلك اقاميه وحماه التي يقول عنها ابن جبير « وموضوع هذه المدينة في وهدة من الارض عريضة مستطيلة كانها خندق عميق يرتفع لها جانبان : احدهما كالجبل المطل والمدينة العليا متصلة بسفح ذلك الجانب الجبلي ، والقلعة في الجانب الاخر في ربوة منقطعة كبيرة ومستديرة . . . . وحصل لها بحصانتها من كل عدو امان[9] » كذلك

---

(1) د . مصطفى الشكعة ـ سيف الدولة الحمداني ص69

(2) ابن حوقل ـ صورة الارض ص108

(3) فتحي عثمان . الحدود الاسلامية ص222

(4) ابن جبير : رحلة ابن جبير ص228

(5) مصطفى الشكعة : سيف الدولة ص84

(6) فتحي عثمان : الحدود الاسلامية ص188

(7) ابن العديم : بغية الطلب ص206

(8) فتحي عثمان : الحدود الاسلامية ص254

(9) « نفس المصدر » « ص184

مدينة حمص التي ذكرها ياقوت بانها بلد مشهور قديم مسور ، وفي طرفه القبلي قلعة حصينة على تل عالٍ ، وهي بين دمشق وحلب[1] ، اما طرسوس فيقول فيها ابن العديم «مدينة قديمة من بلاد الثغور الشامية عظيمة وبها كان يقوم سوق الجهاد وينزلها الصالحون والاولياء ويقصدها الغزاة من سائر البلاد»[2] وتمتاز مملكة سيف الدولة كذلك الى جانب مدنها بكثرة ثغورها الهامة مثل المصيصه ، واذنه ، ومرعش وطرسوس والحدث،وزبطره وملطيه وسميساط ورعبان ودلوك بالاضافة الى ديار بكر ومضر ثم ما تم لسيف الدولة من فتح بلاد ارمينية[3] .

اما انهار مملكة سيف الدولة فاهمها قويق الذي ادخله سيف الدولة الى داره ثم نهر الذهب، ونهرا الفرات والعاصي ثم سيحان وجيجان ونهر البردان[4] . ولقد لعبت كل هذه الانهار دورا هاما في اقتصاد مملكة سيف الدولة التي كانت غنية رغم حفرها وقوية محمية بالحصون المنيعة لدرجة انها وقفت ندا عنيدا لاقوى دولة في ذلك العصر وهي دولة الروم[5] .

---

(1) فتحي عثمان : الحدود الاسلامية 186-187

(2) ابن العديم : بغية الطلب ص 235 : مخطوط

(3) انظر : كتاب الحدود الاسلامية البيزنطية « فتحي عثمان » من ص 213-257 .

(4) المرجع السابق

(5) عن مملكة سيف الدولة انظر بغية الطلب مخطوط بدار الكتب وكتاب سيف الدولة للدكتور مصطفى الشكعة .

العلاقات الحمدانية الاخشيدية

المعروف جغرافيا وسياسيا ان مصر والشام كانتا تكونان وحدة واحدة منذ اقدم العصور ، حيث ان من يستقر في مصر يرى ان حدوده الطبيعية الآمنة هي جبال طورس في شمال الشام ، ولقد سار على هذا الاساس الفراعنة في تكوين امبراطوريتهم وكذلك من جاء بعدهم من الامم والشعوب الاخرى الى ان جاء الفتح العربي لبلاد الشام فقد واصل سيره الطبيعي ففتح مصر لكي يؤمن حدوده الجنوبية . وظلت مصر والشام وحدة ادارية واحدة طوال العصر الاسلامي يطلق عليها اسم المغرب[1] ، وكان يتولاها ولي العهد الأول ، وعندما استقل ابن طولون في مصر مدّ نفوذه الى الشام وكذلك عندما خلفه الاخشيديون على مصر رأوا ان يحتفظوا بالشام على قدر الامكان ، فاصطدموا بالخلافة لان كل طرف يريد الاحتفاظ بها . ولكن الشام ما لبث ان عاد الى سيطرة الاخشيديين مباشرة بعد اغتيال محمد بن رائق على يد ناصر الدولة الحمداني في الموصل الذي اعتبر نفسه وريثا لابن رائق ويجب ان تنتقل املاكه اليه ، هذا بالاضافة الى ان ناصر الدولة اعتبر ان الشام منطقة نفوذ له ولا يجب ان ينازعه عليها اي منازع ، ومن هنا سيبدأ النزاع بين الحمدانيين والاخشيديين ، وسيشتد على يد سيف الدولة وفي هذا المجال نرى ان سيديو يقرر بان خطوة الحمدانيين هذه في التطلع الى حكم الشام بانها خطوة جريئة وذلك لان الخلافة عجزت عن تحقيق ذلك الهدف . يقول « ان ما عجز عنه بنو العباس اقدم عليه بنو حمدان فتنازعوا هم والاخشيد سهول سوريا »[2] . ولكن المهم ان ناصر الدولة ولىّ ابن عمه الحسين بن سعيد على ولايات الثغور والعواصم كما رأينا[3] الا ان الحسين ما لبث ان هزم امام قوات الاخشيديين الذين ولوا عليها واليا من قبلهم[4] . وكان من بني كلاب وكانت النتيجة لهذه التولية ان نزحت قبيلة بني كلاب من نجد الى الشام واغارت على معرة النعمان فسلبوا ونهبوا حتى

---

(1) الاقاليم الواقعة غرب عاصمة الخلافه (بغداد)

(2) سيديو : تاريخ العرب العام ص230 .

(3) الذهبي : تاريخ الاسلام 19 79 ـ مخطوط بدار الكتب

(4) ابن العديم : زبدة الحلب 1 111 .

كرهتهم الاهـالي[1] وقيل ان اهـالي حلـب طلبـوا من سيف الدولـة الحضـور لاخذ المدينة[2] .

سار سيف الدولة الى حلب بما لديه من الأموال والرجال وتجمع غالبية المؤرخين بأن يانس المؤنس ما ان سمع بقدوم سيف الدولة الى حلب حتى فرّ الى مصر[3] ، ودخل سيف الدولة حلب واخذ يوطد نفوذه فيها ويستولي على ما حولهـا من القـرى والمدن فاستولى على قنسرين الثغور الشامية وانطاكية وحمص واقام الخطبة للخليفة العباسي ولاخيه ولنفسـه[5] ، وهـكذا اخـذ سيف الدولـة يكون دولتـه في بلاد الشام ويحتل المدن والقرى والخليفة عاجز عن الحدّ من نفوذه وليس له الا ان يبارك خطواته ويبعث اليه بالخلع حتى يظل على ولائه له[6] . ولما رأى الاخشيد ان اطماع سيف الدولة قد زادت عن الحد وانه يسير في توسيع مملكته ، بعث الى الخليفة يشكو له ما اقدم عليه سيف الدولة ويسأله الحد من تقدمه الا ان الخليفة في ذلك الوقت كان ضعيفا كما نعلم وليس له من الأمور غير القشور فبعث بالخلع للاخشيد ولابنه انوجور[7] ، وكأنه اراد ان يعبر له عن حبه وثقته فيه ولكن ليس في امكانه ان يمنع سيف الدولة من تكوين امارة له ، استغل الروم فرحة انشغال سيف الدولة مع الاخشيديين فتقدموا نحـو الحـدود الاسلامية واوقعوا بأهل بغراس[8] ومرعش وسبوا الكثير من الأموال[9] ، ثم استعد سيف الدولة للانتقام من الروم وجمع قواته وسار الى الدمستق حتى اوقع به هزيمة منكرة واستنقذ اسرى المسلمين الذين معهم[10] ولم يكتف سيف الدولة بهذا بل تقدم الى بلاد

---

(1) نفس المصدر1 -99 .

(2) نفس المصدر1-99 .

(3) الذهبي : تاريخ الاسلام19 -88 . ابن تغرى بردى : النجوم3-83 ابن العماد : شذرات الذهب2-333 . العيني : عقد الجمان16 -20 .

(4) كانار : اخبار الامير سيف الدولة الحمداني ص26 .

(5) محمد كرد علي : خطط الشام1-216 .

(6) نفس المصدر .

(7) كانار ص26 خطط1 -216 .

(8) كانت ارضها لمسلمة بن عبد الملك ووقفها على سبيل البر (الحدود الاسلامية) ص 232 .

(9) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة3 -283 ـ تاريخ الاسلام19 -89 .

(10) ابن الاثير الكامل8-146

الروم نفسها غازيا فسلب ونهب وغنم الكثير رغم ان الجو كان شتاء وقد اصيب في بعض قواته(1) .

ولقد كان انشغال سيف الدولة مع الروم فرصة للاخشيد(2) لكي ينتقم من سيف الدولة ويطرده من املاكه التي احتلها بالقوة فجهز جيشا ضخما وكان بقيادة كافور الاخشيدي ويانس المؤنس(3) ، ثم تقابل الطرفان في مكان يقال له الرستن(4) فحمل سيف الدولة على القوات الاخشيدية فتقهقرت امامه وانهزم كافور(5) وازدحم جيشه على جسر الرستن(6) فوقع في النهر منهم جماعة (7) ، وعلى اثر هذا امر سيف الدولة قواته برفع السيف عن رقاب الاخشيديين وامر جنده بالا يقتلوا احداً من جند الاخشيد وقال لهم « الدم لي والمال لكم » واسر اربعة الاف من الامراء وغيرهم(8) ثم لم يلبث الا قليلا حتى اطلق من كان عنده من الاسرى طائعا مختارا فمضوا جميعا فرحين بما لاقوه عند الامير سيف وشكروا له هذا الجميل(9) . ولقد كان هذا التصرف من سيف الدولة ومعاملته الحسنة لاسرى الاخشيد دليلا واضحا ان سيف الدولة كان بعيد النظر يرمي الى مطامع اوسع واكثر من حلب وما اخذه حولها من القرى والمدن المتعددة ، فهو بهذه الحركة كسب عطف المسلمين وحب رجال الاخشيد ثم انه كان يهدف بهذا العفو ان يكسب احترام الجند المصري حتى لا يعود لمحاربته مرة اخرى وبالاضافة الى هذا فانه اراد ان يظهر امام الخلافة بانه لا يرغب في معارك جانبية مع اخوته وجيرانه المسلمين ،

---

(1) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة : 3 - 284

(2) لقب من يحكم فرغانه ـ إما من يحكم خوارزم فكان يتلقب بخوارزم شاه ـ مصر ـ فرعون ـ اذربيجان اصفهند ـ طبرستان ارسلان ـ فارس كسرى ـ اليمن تبع ـ الحبشة النجاشي « البداية 11 -215» .

(3) ابن ظافر : الدول المنقطعة ص7 .

(4) ابن نباته : تاريخ الخلفاء صورة شمسية بدار الكتب ص7 .

(5) ابن العماد : شذرات الذهب 2 -333 ـ ابن ظافر : الدول المنقطعة ص7 .

(6) ابن الرستن ـ ما بين حمص وحماه .

(7) ابن العديم : زبدة الحلب 1 -113 .

(8) يذكر في تاريخ الخلفاء لابن نباته ص 7 وفي دول الاسلام 1 -162 ـ ان سيف الدولة اسر منهم الف وفتح مدينة الرستن .

(9) ابن العديم : زبدة الحلب 1 -113

انما هو متفرغ تماما للذود عن اراضي الخلافة ضد الروم ليكسب ثقتها وهذا ما تم فعلا فانه عندما شكاه الاخشيد الى الخليفة وارسل هذا الخلع الى الاخشيد وابنه ارسل خلعاً لسيف الدولة كذلك(1) . وكان الواجب يحتم على كل من الاخشيديين وسيف الدولة ان يقفوا في مثل هذا الظرف جبهة متحدة ضد عدوهم المشترك ولكن الذي يبدو ان نشوة النصر قد اعمت سيف الدولة وانسته هذا الواجب فاخذ يتطلع الى احتلال دمشق . فبعد ما هزم الاخشيديون في الرستن انسحبت قواتهم الى دمشق وكانوا في طريق عودتهم الى الرملة لينتقلوا منها الى مصر(2) وكتب كافور الى الاخشيد بمصر يعرفه نتيجة المعركة وخبر انهزامهم وما هم عليه من التعب والاعياء(3) ، وترتب على هذا ان طمع سيف الدولة في المسير الى دمشق لان حاميتها باتت ضعيفة بعد الهزيمة التي منوا بها ، واصبحت دمشق مدينة مفتوحة امام سيف الدولة فتقدم اليها بقواته حتى وصل الى مشارف دمشق وارسل الى اهلها كتابا قرىء على منابر دمشق وحملت نسخة من هذا الكتاب الى الاخشيد في مصر وهي « بسم الله الرحمن الرحيم . من سيف الدولة الى ابي الحسن الى جماعة الاشراف والاعيان والعلماء المستورين بمدينة دمشق اطال الله بقاءكم ودام عزكم وسيادتكم وكفايتكم ونعمتكم ، كتابنا اليكم . . . من المعسكر المنصور بظاهر عين الحر عن سلامة وجميل كفاية ، لوليها خالص الدعاء والشكر وقد علمتم اسعدكم الله تشاغلي بجهاد اعدائي واعداء الله الكفرة وسبيي لهم وقتلي فيهم واخذي اموالهم وتخريبي ديارهم ، وقد بلغكم خبر القوانين في هذا العام وما اولانا الله وخولناه واظفرنا به واستعملت فيهم السنة في قتال اهل الملة ، فما اتبعت مدبرا ولا وقعت على جريح حتى سلم من قد رأيتم(4) . وقد تقدمنا الى وشاح بن تمام بصيانتكم وحفظكم وحوط اموالكم ، وفتح الدكاكين ، واقامة الاسواق والتصرف في المعاش الى حين موافاتنا ان شاء الله »(5) . لما وصلت هذه النسخة للاخشيد في مصر عزم على ان يخرج

---

(1) محمد كرد علي : خطط الشام 1-216 .

(2) كانار ـ اخبار الامير سيف الدولة ص26 .

(3) ابن العديم : زبدة الحلب 1-113 .

(4) يشير بذلك الى معركة الرستن .

(5) ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ص41 .

بنفسه الى لقاء سيف الدولة ، وتدلنا هذه الرسالة على مدى ما يتمتع به سيف الدولة من ذكاء فقد رأيناه يعامل الاسرى في الرستن معاملة حسنة لكي يعمل منها مقدمة له في احتلال دمشق ، ثم ان سيف الدولة عرف ان الناحية الروحية والدينية تؤثر في نفسية الاهالي فخاطبهم بها وافهمهم بانه لم يأتِ اليهم طامعا او غازيا وانما اتى اليهم مدافعا عنهم ضد عدوهم وعدو الله وقد دعا الناس ان يسيروا في حياتهم كالعادة وبذل لهم الأمان على اموالهم وانفسهم وممتلكاتهم . وقبل ان يشتبك الاخشيد مع سيف الدولة في المعركة ارسل اليه بان يقتصر على ما في يده ووعده بان يبذل له عن دمشق ما كان يدفعه لابن رائق ، ولكن سيف الدولة معروف بطموحه فلم تغره الأموال ورفض مطالب الاخشيد وصمم على القتال ودخول دمشق(1). وكان رده على الاخشيد جافا قاسيا حين قال له « جوابك اذا دخلت مصر ان شاء الله(2) » وهكذا نرى مدى اطماع سيف الدولة فانه لم يكن يهدف الى احتلال دمشق وحسب بل انه يهدد الاخشيد بالتقدم الى مصر .

دخل سيف دمشق وكان في اهله وامواله ورجاله ، فسار اليه الاخشيد على رأس قواته الضخمة وكان قد خلف ابنه على مصر(3) وسار حتى وصل الى الرملة وكتب الاخشيد الى عيسى كيل وهو بدمشق مع سيف الدولة ، يعده بالأموال والتقليد ، والخلع واضعاف الرزق ومع الرسول خاتم الاخشيد(4) ، فوصل الرسول الى عيسى كيل وهو مع سيف الدولة بالشماسية وطلب منه ان يبث الدعوة للاخشيد في دمشق ويحث اهلها على الترحيب بالاخشيد وطرد سيف الدولة من مدينتهم(5) فاستجاب عيسى الى ما طلبه رسول الاخشيد منه واستأذن من سيف الدولة وطلب منه السماح له بالعودة الى دمشق لدخول الحمام فاذن له وعاد عيسى الى دمشق ، ومن الجدير بالذكر ان عيسى سكر وشرب في ذلك النهار وثار بدمشق ودعا الناس للاخشيد وكان خاتم الاخشيد في يده(6) وغلق ابواب المدينة الا ان عيسى كيل افاق من سكره وهرب ليلا الى الاخشيد وكان

---

(1) ابن العديم : زبدة الحلب 1 -114 . ابن ظافر - اخبار الدول المنقطعة 7 الطباخ اعلام النبلاء 1 -252 .

(2) ابن ظافر : الدول المنقطعة ص 7 .

(3) ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص 289 .

(4) يبدو ان عيسى كيل كان من قواد الاخشيد فاستأمن الى سيف الدولة .

(5) سيده الكاشف : مصر في عصر الاخشيديين ص 351 .

(6) كانار : اخبار الامير سيف الدولة ص 26 .

يعسكر في ذلك الوقت في طبرية[1] فخلع عليه واهداه فرساً[2] . وكان سيف الدولة قد خرج من دمشق الى الاعراب واخمد فتنهم ولما عاد الى دمشق منعه اهلها من الدخول[3] وعندما علم الاخشيد بموقف اهالي دمشق من سيف الدولة تشجع على التقدم والمطاردة لان سيف الدولة سار الى حلب لان معظم جنده استأمنوا للاخشيد ولانه كذلك شعر بان الاخشيد يتفوق عليه في العدد والعدة ومن المعروف ان الاخشيد قد حشد قواته الضخمة هذه وسار لكي يثأر لكرامته في معركة الرستن وليطرد سيف الدولة من الأراضي التي اغتصبها[4] وظل الاخشيد يتابع سيره حتى نزل على معرة النعمان في جيشه الضخم فجمع سيف الدولة عسكره وتقابلا في قنسرين[5] ولقد رتب الاخشيد قواته ترتيبا استراتيجيا فقد جعل مطارده وبوقاته في المقدمة ثم انتقى من عسكره نحو عشرة الاف وسماهم الصابرية وتوقف بهم في ساقة الجيش[6] ، وجاء جاسوس الاخشيد يقول له ان علي بن حمدان سأل عنك فقيل له صاحب الخفتان الاسود ، فقال والله لالقين بنفسي عليه فنزع الخفتان والبسه الى احد عبيده[7] ، ثم حمل ابن حمدان على مقدمة الجيش الاخشيدي فهزمها وقصد قبة الاخشيد وخيمته وهو يظن ان الاخشيد في المقدمة واحرز سيف الدولة في البداية نصرا مؤزرا حتى ظهر الاخشيد مع فرقته الصابرية فارتفعت معنويات جند الاخشيد وحملوا حملة صادقة على سيف الدولة فكانت معركة حامية اظهر فيها سيف الدولة شجاعة وبطولة نادرتين ، الا ان ابن عمه الحسين ابن سعيد حسده على انتصاره الذي عجز هو عن تحقيقه على الاخشيديين عندما طردوه من حلب قبل المعركة بعام واحد فأتى ببعض الأعمال والتصرفات كانت نتيجتها ان رجحت كفة الاخشيديين وهزم سيف الدولة بن حمدان[8] وقد قتل في ذلك اليوم معاذ

---

(1) ابن سعيد : المغرب في حلب المغرب ص 42

(2) يقال ان على الفرس سرجاً ولجاماً مطلياً فيه اربعة عشر الف درهم .

(3) ابن العديم : زبدة الحلب1-114 .

(4) الكيالي : سيف الدولة وعصر الحمدانيين ص68 .

(5) ابن العماد : شذرات الذهب2-333 .

(6) ساقه الجيش : مؤخرته .

(7) ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ص42 .

(8) المرجع السابق.

ابن سعيد والي معرة النعمان من قبل الاخشيد[1] فانه حمل على سيف الدولة ليأسره فضربه سيف الدولة بمستوفى كان معه فقتله[2] . وبعد ان هزم سيف الدولة لم يتبق احد من عسكر الاخشيد وسار على حاله الى الجزيرة فدخل الرقة وقيل انه اراد دخول حلب فمنعه اهلها منها[3] . وتبعه الاخشيد ودخل حلب وافسد اصحابه في جميع النواحي وقطعت الاشجار التي كانت في ظاهر حلب وكانت عظيمة جدا وقيل انها كانت من اكثر المدن شجرا[4] وكذلك نزل عسكر الاخشيد في قلب المدينة وذلك لكي ينتقموا من الاهالي ، وبالغوا في ايذائهم وذلك لميلهم الى سيف الدولة ، ثم عاد الاخشيد الى دمشق بعد ان ترددت الرسل في المصالحة بينها[5] وتم توقيع اتفاقية صلح على ان يكون لسيف الدولة حلب وانطاكيا وحمص وما يتبعها وان يتزوج سيف الدولة بابنه اخي الاخشيد[6] ولم ينس ابو فراس ان يفتخر بهذه المناسبة حين قال :

فلما رأى الاخشيد ما قد اظله ... تلافاه يثني غربه ويكاشر
رأى الصهر والرسل الذي هو عاقد ... ينال به ما لا تنال العساكر[7]

ولقد قام بتنظيم توقيع اتفاقية الصلح الحسن بن طاهر العلوي[8] . ولم تكن هذه الشروط وحسب بل تضمنت الاتفاقية ان يدفع الاخشيد لسيف الدولة الاتاوة نظير تبعية دمشق له[9] . ومن الملاحظ على هذه الاتفاقية وخصوصا بندها الاخير ان الاخشيد يعترف بنفسه اعترافا رسميا وبدون ادنى شك بان دمشق يجب ان تكون من املاك

---

(1) ابن العديم : زبدة الحلب 1-114 .

(2) المستوفى - عمود حديد طول ذراعين مربعة الشكل ولها مقابض .

(3) ابن العديم : زبدة الحلب 1-115 .

(4) المرجع السابق .

(4) المرجع السابق .

(6) ابو محمد عبد الله بن سعيد : مرآة الجنان 2-312 . الذهبي : دول الاسلام 12-162 . ابن العماد : شذرات الذهب 2-335 .

عبد الوهاب عزام : ديوان المتنبي ص67 . تاريخ الخلفاء لابن نباته مخطوط مصور ص7 .

(7) ديوان ابو فراس : القصيدة الرائية .

(8) ابن العديم : زبدة الحلب 1-115 .

(9) ابن العديم : زبدة الحلب 1-115 .

سيف الدولة والا لما دفع عنها الضريبة . والمهم انه بعد ان وافق كلا الطرفين على الاتفاقية عاد الاخشيد الى دمشق وعاد سيف الدولة الى حلب .

ولكن اليس من الغريب ان يقبل الاخشيد هذه الشروط المهينة مع انه المنتصر بل ولم يكتف بالاعتراف باغتصاب سيف الدولة لبعض املاكه انما دفع له الأموال كذلك كضريبة ؟

على ضوء دراستنا السابقة للموقف من الممكن ان نقرر بعض الاعتبارات التي من المحتمل ان يكون لها اثر بعيد في دفع الاخشيد الى ان يقبل هذه الاتفاقية على علاتها ثم سنترك الاخشيد يتحدث بنفسه عن الدوافع التي اجبرته على توقيع الصلح مع سيف الدولة بهذا الشكل . والآن دعنا نضع بعض الاعتبارات والاجتهادات الشخصية . بعد ان هزم سيف الدولة امام الاخشيد فرّ الى الرقة واستقر بها[1] ، وكان الاخشيد اذ ذاك في حلب ومعنى هذا ان الهزيمة لم تكن حاسمة لدرجة انها تدفع سيف الدولة الى التسليم بدليل انه ظل معسكرا في مقابلة الاخشيد . ومعنى هذا ان الاخشيد لا يستبعد ان يعاود سيف الدولة هجماته عليه . هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فاننا رأينا ان الاخشيد في حربه مع ابن رائق تصرف نفس هذا التصرف وتنازل له عن بعض املاكه ودفع له اتاوة رغم انه المنتصر فمن الجائز ان يكون الاخشيد وهذه اخلاقة رجل سلام لا يحب سفك الدماء . وهناك احتمال غير هذا ، فمن المعروف لدينا سابقا ان الخطر الفاطمي بدأ يلوح في الأفق الغربي لمصر ويتحين الفرصة للانقضاض عليها . وما دام الامر كذلك فان الاخشيد اراد ان يكون على علاقة مودة وصداقة مع جيرانه الحمدانيين على حدوده الشمالية لكي يتفرغ للخطر الغربي الذي هو اعظم واشد . وبالاضافة الى ذلك فاننا رأينا ان البيزنطيين كانوا في حالة تيقظ وتحفز وينتظرون ذلك اليوم الذي يمكنهم من استرداد املاكهم التي طردهم منها المسلمون في الشام وغيره ، فاراد الاخشيد ان يبقى على تلك الامارة الفتية الناشئة لكي تصد عنه وعن املاكه هجمات الروم المتوقعة في كل وقت . ومن المعروف ان الاخشيد مات في السنة التالية لتوقيع

---

(1) ابن نباته : تاريخ الخلفاء (مخطوط مصور بدار الكتب) ص7 .

الاتفاقية وليس من المستبعد ان يكون الاخشيد قد احس بقرب مصيره فاراد لمن بعده السلام مع جيرانهم ، ثم رأيناه في الاتفاقية يوافق على دفع الضريبة عن دمشق نظير حكمة لها ومعنى هذا انه يعترف بان الشام لم يعد مجالا حيويا له خصوصا وقد ظهر فيه قوة رادعة يمكنها ان تحكمه وتدير شؤونه لكونها فيه اما هو فبعيد عنه نوعا . هذه هي بعض الاعتبارات التي رأيتها دافعة بالاخشيد الى توقيع الاتفاقية . اما الآن فنحن نريد ان نترك الاخشيد يحدثنا بنفسه عن الظروف والاسباب التي دفعت به الى توقيع الاتفاقية ، وهذه رواية اوردها ابن سعيد .

« حدثني بعض شيوخ دمشق ممن كان الاخشيد يأنس به ويحادثه قال : سألني جماعة من وجوه غلمان الاخشيد ، توبيخ الأخشيد على ما عمله من الصلح والمصاهرة مع سيف الدولة ابن حمدان فقلت له « ايها الاخشيد ايش حملك على مصالحة ابن حمدان ومسالمته ومصاهرته ، فقال لي : الغلمان سألوك مساءلتي، فقلت نعم ، فقال عليهم لعنة الله ، اتراهم يعلمون من الامر اكثر مما اعلم ، اعلم انعلياً ابن حمدان كاتبناه من الرملة فبذلنا له فلم يفعل ، وكاتبناه من طبرية فامتنع ثم سرنا اليه ورزقنا الله النصر عليه«يبدو من هذه العبارة ان الاخشيد كان غير واثق من نصره على سيف الدولة حيث يقول ورزقنا الله النصر عليه » فلم ينصرف وخيم حذاؤنا بوجه صفيق وقلة حياء ، فتوقفت عنه ، فقال لي الغلمان دعنا نمضي للقائه ، ففكرت في قولهم ولم اخل احدا من امرين اما ان يهزمنا ويرزق علينا النصر فتكون الفضيحة ،وأما ان نرزق عليه النصر فنأخذه فايش اعمل به ؟ هل هو اكثر من انزله في مضرب يشبهه ، وانفق عليه ما يصلح له ثم اجهزه وارده الى اخيه واهله لانهم لا يتركونه ، واقل ما كان يكفيني له مائتا الف دينار ثم لا اطيق غلماني من اذلالهم والتسحب علي بما عملوه ويطلبون مني الاعمال والولايات ، فرأيت ان مسالمته ومصالحته افضل واصلح وارسلت اليه الحسن بن طاهر اعده بالأموال والخروج عن اعماله فلما رأوا الحسن قد مضى ازدحموا علي يسبوني ويشتموني[1] . . » هذه هي رواية الاخشيد كما اوردها بنفسه ويتضح لنا منها ان الاخشيد اقر هذه الاتفاقية مرغما عندما يقرر بنفسه ذلك حيث يقول انه ان هزمه سيف

---

(1) ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ص 43 .

الدولة فسيلحق به العار واذا انتصر عليه فليس في امكانه غير اكرامه ورده الى اهله الذين لا يتركونه ، فهو اذن ما بين امرين وكلاهما مرّ . ولو ان الاخشيد كان قويا لما وضع في اعتباره ان اهل سيف الدولة لا يتركونه ، وعلى كل .فان الاخشيد على اي من الأمور سواء هزم ام انتصر فهو خسران ، كما يقرر في حديثه ، ثم نلاحظ انه كان يخاف سيف الدولة نفسه عندما قال انه بعد الهزيمة لا زال معسكرا امامنا .

ولكن مهما يكن من امر فان الاتفاقية قد وقعت ورضي بها كل من الطرفين فكانت مكسبا عظيما لم يكن يحلم به سيف الدولة خصوصا بعد هزيمته وكانت ذلا وهوانا على الاخشيد الذي تنازل عن بعض املاكه وليس هذا فحسب. بل تنازل الى ان يدفع الاتاوة عن دمشق لسيف الدولة ، وتعتبر هذه الاتفاقية اعترافا رسميا من قبل الحاكمين في مصر بالدولة الحمدانية في الشام ، ولم يكن الخليفة بالمعارض لسيف الدولة وتوسعاته انما كان راضيا عنها بدليل اننا لم نعرف انه اعترض على تلك الاتفاقية او استنكرها وانما بعث بالتشريف والتلقيب والخلع لسيف الدولة ابن حمدان فلبس سيف الدولة الخلع في رمضان سنة 335[1] . ومن الجدير بالذكر انه في هذه السنة اقيمت الدعوة لسيف الدولة في منطقة الثغور فانفذ اليهم الخلع والذهب وبعث اليهم بثمانين الف دينار للفداء[2] .

لم يلبث الأخشيد كثيرا بعد هذه الاتفاقية حتى مات في دمشق في عام 334 هـ[3] فخلفه ابنه انوجور على كرسي الحكم[4] الا أن كافور الاخشيدي كان وصيا عليه وأمسك بزمام أمور الدولة في يده[5] وفي تلك الفترة وبينما كان كافور وانوجور لا يزالان في بلاد الشام فان أموراً طارئة حدثت في مصر استدعت عودتهم واستطاع كافور أن يقضي على ذلك الثائر الذي عاث فسادا وطرده من مصر[6] . ولكن ما هو موقف سيف الدولة الآن وقد خلت دمشق من قواتها الرئيسية ؟ .

---

(1) العيني : عقد الجمان 16 -48 .

(2) الذهبي : تاريخ الاسلام 19 -100 .

(3) الذهبي : تاريخ الاسلام 19 -98 .

(4) الكندي : الولاة والقضاة ص 293 .

(5) ابن الاثير : الكامل 8 -15 ـ عبد الوهاب عزام ـ ديوان المتنبي ص 2 .

(6) ابن العديم : زبدة الحلب 1 -116 .

رأينا فيما سبق كيف أن سيف الدولة كان يتوق الى الاستيلاء على دمشق وذلك لانها اعجبته حين دخلها في المرة الاولى ثم انه أراد أن يجعل من دمشق وحلب وحدة واحدة تحت سلطانه لما لدمشق من أهمية كبرى(1) ولقد وصفها ابن حوقل بانها اجلّ مدينة في بلاد الشام(2) ، ثم لم يقنع الامير سيف بالاتاوة التي تصرف له عنها لان نفس سيف الدولة اكبر من ذلك وطموحه اسمى من الاموال وجمع الجواهر . فجهز قواته وتقدم اليها فاستأمن اليه بيانس المؤنس(3) . وقيل ان بيانس كان في عدد غير قليل من قواته(4) ودخل سيف الدولة دمشق وجبى خراجها وسار الى طبرية ومنها اتجه الى الرملة متطلعا الى المسير لحكم مصر وأخذها من يد الاخشيد(5) . ولكن الامور لم تستقر كثيرا لسيف الدولة في دمشق ، فأخذ يطالب أهلها بودائع الاخشيد وكان أحداث المدينة(6) قد نهبوها قبل دخول سيف الدولة اليها(7) ، وذات يوم كان سيف الدولة يتنزه مع الشريف العقيقي في غوطة دمشق فاعجبته وقال للعقيقي والله ما تصلح هذه الغوطة الا لرجل واحد ، قال له العقيقي هي يا مولاى لاقوام كثيرة . . . قال سيف الدولة ، لو اخذتها القوانين السلطانية لتبرؤا منها(8) الا أن العقيقي اذاع هذه الرغبة التي ابداها سيف الدولة الى أهالي دمشق فخافوا أن يصادر أملاكهم .

وهنا نلاحظ أن الكيالي يقول « ولعله اراد ـ اي سيف الدولة ـ من كلمته هذه أنه لو ضمت الى ملك الدولة لما فاهوا بكلمة . . . ثم يقول ان رغبة سيف الدولة هذه في

---

(1) كانت دمشق عاصمة للدولة العربية (الاموية) .

(2) ابن حوقل صورة الارض 1-174 .

(3) ابن ظافر : الدول المنقطعة ص7 . الذهبي : تاريخ الاسلام 19-98 .

(4) ابن العديم : زبدة الحلب 1-116 .

(5) محمد كرد علي : خطط الشام 1-217 .

(6) الاحداث هم من جماعات الفتوة العربية وهم كثيرو الشبه بالحرس الوطني في العصور الحديثة . وكانوا من الشبان المحاربين المتطوعين من ابناء المدينة ، كانوا يعيشون في ظل نظام خاص ، ولقد عرف الاحداث في دمشق بنشاطهم في الوقوف ضد استبداد الحكام المحليين . وستراهم يقودون الحرب الشعبية دفاعا عن مدينتهم ضد الغزاة الفاطميين . وازدهر نشاطهم في الفترة الممتدة من القرن الرابع الهجري حتى القرن السادس . عمر كمال ـ مقدمات العدوان الصليبي ص 72 .

(7) محمد كرد علي : خطط الشام 1-217 .

(8) ابن الاثير : الكامل 8-151 .

ضم الغوطة لملكه الخاص انها في مصلحة الوطن والاسلام(1) . ولكننا لا نأخذ بهذا الرأي لعدة اعتبارات ، اولها ان سيف الدولة كان يريد الغاء الملكية العامة ويجعلها ملكية خاصة لنفسه وهذا ما يسبب قطعا في ازعاج الاهالي لان معنى هذا الضم أن يكون سيف الدولة قد استولى على املاك الشعب وجعلها ملكا له . وهذا لم تنص عليه الشريعة الاسلامية ويعتبر مصادرة ، والمصادرة غير مرغوب فيها خصوصا وان أصحاب الاراضي لم يبدو من الاعمال ما يدفع سيف الدولة الى اتخاذ مثل هذه الخطوة . ان هذا الموقف من سيف الدولة يذكرنا بما قاله لويس الرابع عشر ملك فرنسا « انا الدولة » وهذا منتهى الظلم ولو أن سيف الدولة ترك الأراضي الواسعة في ايدي اصحابها الكثيرين وشجع الايدي العاملة بها لاستطاع أن يجمع من الثروات اضعاف ما يريد . ويكون هذا في مصلحة الوطن والاسلام أكثر . ولكن المهم ما أن علم أهل دمشق بما يرمي اليه سيف الدولة حتى كاتبوا « انوجور » وكافور صاحب الامر والنهى في مصر وأفضوا اليه بمطامع سيف الدولة وسألوه أن يأتي ليخلصهم من طغيان ابن حمدان(2) . فوجد كافور أن هذه فرصة لا تعوض لكي يسترد ما فقدوه من الأراضي في الشام فجهز قواته الضخمة وسار الى الشام وكان سيف الدولة قد خرج الى اللجون(3) وأقام اياما قريبا من عسكر الاخشيد ثم تفرق عسكر سيف الدولة في الضياع لطلب العلوفه فعلم به الاخشيديون فزحفوا عليه ثم ركب سيف الدولة فرآهم زاحفين اليه فعاد الى عسكره فأخرجهم ونشبت الحرب فقتل من اصحابه وأسر الكثير(4) ، وانهزم سيف الدولة الى دمشق وأخذ اهله واسبابه وسار من حيث لم يعلم أهل دمشق بالوقعة وكان ذلك في جماد ثاني سنة 335(5) . ويقول في خطط الشام « وجاء سيف الدولة الى حمص وجمع جمعا لم يجتمع له من قبل من بني عقيل وبني نمير وبني كلب وبني كلاب وخرج بهم من حمص ، وكان الجيش المصري قد خرج من دمشق فتقابلا « بمرج عذراء(6) »

---

(1) الكيالي : سيف الدولة وعصر الحمدانيين ص69 .

(2) ابن كثير : البداية والنهاية11 -214 .

(3) قرية من قرى الاردن جنوبي شرق حيفا .

(4) ابن العديم : زبدة الحلب1 -117 .

(5) الذهبي : تاريخ الاسلام11 -98 - زبدة1 -117 .

(6) محمد كرد علي : خطط الشام1 -218 .

وانتصر سيف الدولة في بداية الامر الا أن النهاية كانت عليه وهزم ونهب الاخشيديون سواده وتقطع اصحابه في ذلك البلد فهلكوا وتبعوه الى حلب فعبر الى الرقة وانحاز يانس من عساكر سيف الدولة الى انطاكية (1) . وهكذا هزم سيف الدولة ولم يغنه جيشه الضخم الذي جمعه لانه أصبح واقعا ما بين جيشين عظيمين ، جيش الاخشيديين الدين يطمعون في استرداد ممتلكاتهم التي اغتصبها سيف الدولة في الشام ، وجيش البلاد ورجالها الذين أكل الحقد صدورهم على سيف الدولة فكان هذا الجيش أعظم بأساً وأشدّ تنكيلا .

ولكن من الغريب أن يستنجد أهل دمشق العرب الاقحاح بكافور العبد الاخشيدي على ابن جلدتهم سيف الدولة ، ولا ندري ما الذي دفعهم الى هذا الموقف علما بأن الاخشيد معروفا عنه في مصر بالظلم والقسوة وكافور بالتالي كسيده ـ لان الناس على دين ملوكهم ـ ولم يكن حكمهم في الشام بأقل قسوة وطغيانا عنه في مصر ، ونحن الان نورد خطابا كتبه أهل مصر الى الاخشيد قبل ان يغادرها الى بلاد الشام وسنرى من خلال سطور هذا الخطاب مدى ما يعانيه المصريون من ظلم الاخشيد وقسوته « قدرتم فأسأتم وملكتم فبخلتم ، ووسع عليكم فضيقتم ، وأدرّت عليكم الارزاق فقطعتم ارزاق العباد ، واغتررتم بصفو ايامكم ولم تفكروا في عواقبكم واشتغلتم بالشهوات واغتنام اللذات وتهاونتم بسهام الأسحار وهن صائبات . ولا سيما ان خرجت من قلوب قرحتموها واكباد اجعتموها ، واجساد عريتموها ولو تأملتم في هذا حق التامل لانتبهتم ، او ما علمتم ان الدنيا لو بقيت للعاقل ما وصل اليها الجاهل ، ولو دامت لمن مضى ما نالها من بقي ، فكفى بصحبة ملك يكون في زوال ملكه فرح للعالم ومن المحال أن يموت المنتظرون كلهم حتى لا يبقى منهم أحد ويبقى المنتظر به ، افعلوا ما شئتم فانا صابرون وجوروا فانا بالله مستجيرون وثقوا بقدرتكم وسلطانكم فانا بالله واثقون وهو حسبنا ونعم الوكيل (2) » .

في الحقيقة ان هذا الخطاب غني عن التعليق فهو يبين مدى ما قاساه المصريون

---

(1) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة 3-291 .

(2) سامي الكيالي : سيف الدولة وعصر الحمدانيين ص 70 .

من ظلم وطغيان من الاخشيد وأصحابه ، ولا بد أن يكون قد تصرف في الشام بنفس هذا السلوك البشع ، ولكن رغم كل هذا فقد فضله أهل دمشق على سيف الدولة ، وما دام الامر كذلك فلا بد وان يكون سيف الدولة قد ارتكب من الاخطاء الجسيمة الفادحة مما دفع أهل دمشق الى هذا الموقف المتزمت منه ومن عساكره وأصحابه . ولكن المهم أن سيف الدولة بعد أن هزم امام القوات المصرية فر الى الرقة ودخل الاخشيديون حلب في ذى الحجة سنة335 فتراسل انوجور مع يانس المؤنس المقيم في انطاكية وضمن انوجور وكافور ليانس أن يجعلاه بحلب في مقابلة سيف الدولة[1] وقبل يانس المؤنس بعد ان كانوا قد اشترطوا عليه ان يعطيهم احد أولاده رهينة[2] . واتفقوا فعاد كافور وانوجور الاخشيد الى مصر ودخل يانس الى حلب بعد أن طرد سيف الدولة وكتابه حتى استقر في الرقة ، ولم يستقر يانس في حلب اكثر من شهر واحد حتى أسرى اليه سيف الدولة بسرية الى حلب في عام336 هـ فكبسته وهرب يانس الى سرمين يريد الاخشيد فانفذ سيف الدولة في طلبه سرية بقيادة ابراهيم بن البارد العقيلي ، فلحقه وسبى عياله وأمواله[3] ، وكان ابن البارد هذا وصل الى سيف الدولة سنة335 وكان في خدمة أخيه ناصر الدولة ففارقه وقدم على سيف الدولة في حلب[4] ، وبعدها اخذت الرسل تتردد بين سيف الدولة والاخشيديين وتجدد الصلح الذي كان قائما بينهم فيما عدا رفض الاخشيديين دفع الضريبة التي كانوا يدفعوها عن دمشق لسيف الدولة من قبل[5] .
وقال الخالديان في فتح سيف الدولة لدمشق[6] .

يا سيف دولة آل النبي ... حويت العلا عودة وابتلاء
وانك لما ملكت الملوك ... تكبرت ان تلبس الكبرياء[7]

---

(1) ابن تغر بردى : النجوم الزاهرة3-291 .
(2) ابن العديم : زبدة الحلب1-118 .
(3) العيني : عقد الجمان16-20 .
(4) ابن العديم : زبدة الحلب1-119 .
(5) النجوم الزاهرة3- 291 - ابن العديم : زبدة الحلب1-119 .
(6) ابن ظافر : الدولة المنقطعة ص7 .
(7) ولما حويت العراق انكفت الى عرصات الشام انكفاء ... وحزت دمشق وطهرتها وبدلتها في الظلام ضياء
وما مصر بممنوعة ... اذا ما استغنت عليها القضاء

وهكذا وبهذه المعاهدة التي وقعها سيف الدولة للمرة الثانية مع الاخشيديين يستقر السلام بينهما ، ويبدأ سيف الدولة في اعداد نفسه لميدان آخر اكثر خطورة وأهمية بالنسبة له بصفة خاصة وبالنسبة للعالم العربي والاسلامي بصفة عامة ، هذا الميدان هو ميدان المواجهة مع الروم الذي أثبت فيه سيف الدولة شجاعة جديرة بالاحترام والتقدير واذا كان اخوه ناصر الدولة قد عجز عن الاحتفاظ باستقلال دولته في الموصل امام القوى البويهية فان سيف الدولة قد تفانى في الذود عن امارة حلب وتوسيعها وضمان استقلالها ولم يدفع الاموال كالتي كان يدفعها اخوه لعاصمة الخلافة لانه كان يعتبر مرابطا ويتحمل عبء الجهاد المقدس ضد الروم .

وهكذا ولم تمضِ عليه الا أيام قليلة وهو يسير في ترتيب أمور دولته في حلب واعداد جيوشه ، حتى تفتحت عليه عيون الاعداء في كل مكان في القسطنطينية عاصمة البيزنطيين وفي الفسطاط عاصمة الاخشيديين وشيراز عاصمة البويهيين ومن بخارى وسمرقند حيث تمركز السامانيون الى ثورات القرامطة وتمرد البدو وعناصر التخريب في الداخل . كل هذه اعباء جسيمة كانت تقع على كاهل سيف الدولة وكان عليه أن يخرج منها جميعا ظافراً . .

العلاقات الحمدانية البيزنطية

تعتبر العلاقات بين المسلمين والروم منذ النصف الثاني الى منتصف القرن الثالث الهجري عبارة عن غارات تبادلها الطرفان ولم تتوغل كثيرا اللهم الا نادرا في أراضي الدولتين ، وكانت الصفة البارزة في تلك الحروب والغارات هي الاستيلاء على معاقل جبال طوروس والتخلي عنها حسب مدِّ الحرب وجزرها .

الا أن ميزان القوى أخذ يتغير في العلاقات ما بين الطرفين منذ النصف الثاني من القرن الثالث الهجري الى مدى قرنين تقريباً ، هذا التغير هو رجحان كفة البيزنطيين باطراد في ميدان العمليات الحربية وتأرجح كفة المسلمين بين الزيادة والنقصان[1] . ومن المعروف أن الدولة البيزنطية قد استهلت فترة يقظتها بتخلصها من ميخائيل السكير سنة256 هـ (867 م) على يد باسيل المقدوني[2] . وفي فترة يقظة الدولة البيزنطية وغفوة الدولة العباسية وضعفها وتفكك اطرافها أعز الله الاسلام بسيف الدولة ابن حمدان الذي وقف يدافع ببسالة عن الحدود العربية ضد الروم ولكي يحافظ على مكاسبه الجديدة التي أخذها من الأخشيديين ، وكانت هذه هي سياسته كما يصفها المؤرخ المستشرق شلومبرجر « وكانت سياسته هي محاربة البيزنطيين بصلابة وشجاعة عظمى ودفعهم عن الحدود العربية اذ كان العدو الأوحد للعرب يومئذ البيزنطيون »[3] . ومن الملاحظ أن سيف الدولة عندما فتح حلب واستقر فيها تحول ميدان القتال بالتالي من منطقة أرمينية والجزيرة الى جهة أخرى تمتد من قيلقية الى ديار بكر[4] . ولقد رأينا فيما سبق كيف أن سيف الدولة حمل راية الجهاد في ظل أخيه الحسن ضد الروم وكيف أنه خاض المعارك الضارية ضدهم لدرجة أنه في غزوة من غزواته منعهم من بناء مدينتهم هفجيج ولم

---

(1) د . أبراهيم العدوى : الامبراطورية البيزنطية والدولة الاسلامية ص99 .

(2) نفس المصدر + د . جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين ص142 .
حيث يقول « حدث انقلاب في ميزان القوى عند اعتلاء الاسرة المقدونية العرش » .

(3) زكي المحاسني . شعر الحرب في ادب العرب ص 251 عن شلومبرجر .

(4) الباز العريني : الدولة البيزنطية ص363 .

يكتف بذلك بل اضطرهم الى تخريب ما بنوه وفروا امامه[1] . ثم رايناه مرة أخرى يقسم بأن يدخل قلونيه رغم حصانتها وبعدها عن الحدود الاسلامية . وكان هذا آخر ما يحلم به الروم من أن سيف الدولة سيدخل الى تلك المدينة فقال سيف الدولة « لست أقلع عن قصد هذه المدينة فاما الظفر واما الشهادة وفعلا سار بقواته حتى دخلها وأحرقها وسلب ونهب وبعث بجواب للامبراطور البيزنطي وهو فيها فاستعظم الروم هذه الجرأة وخافوه[2] . ولقد كانت حروب سيف الدولة في تلك الفترة اي ما قبل عام333 هـ كانت تهدف الى منع الروم من فرض سيطرتهم على منطقة ارمينية[3] ليس هذا وحسب بل رأيناه بعد ان عاد منتصراً من ارض الروم عرج على ملك ارمينية الذي جاء اليه مهرولا ليقدم الى سيف الدولة فروض الطاعة والولاء[4] . وماذا اذن ، وبعد كل هذه الانتصارات ، وجدت الدولة البيزنطية نفسها امام هذا الفتى العربي الفاتح وامام مشاغلها في حربها مع البلغار ، مضطرون الى الدخول في علاقات ودية مع العباسيين في بغداد ومع الاخشيديين في مصر ليتفادوا خطر سيف الدولة[5] . ولقد اكسبت الحروب البيزنطية الحمدانيين بصفة عامة وسيف الدولة بصفة خاصة احترام وتقدير معاصريهم من المسلمين وغير المسلمين لانهم حافظوا على قوميتهم وتراثهم العربي من أن يتحطم أمام ضربات الروم في تلك الفترة[6] . وقبل الحديث عن حروب سيف الدولة مع البيزنطيين بعد أن خرج الى امارته في حلب اجد أننا في حاجة الى تقديم عرض موجز عن كل من الجيش الحمداني والجيش البيزنطي ولنقف على مدى هول المعارك التي خاضها سيف الدولة ببسالة نادرة وضرواة بعدة وعدد غير متكافئة .

الجيش الحمداني :

قام سيف الدولة منذ أن نذر نفسه للدفاع عن مملكته والحدود العربية باعداد

---

(1) كانار : إخبار الامير سيف الدولة ص74 .

(2) كانار : اخبار الامير سيف الدولة الحمداني ص74 .

(3) الباز العريني ـ الدولة البيزنطية ص353 .

(4) كانار ـ اخبار الامير سيف الدولة ص 71 .

(5) القلقشندي : صبح الاعشى7 / 10-18 .

(6) Aliteravy History of the Arab- Reynold. Nichol son P. 264- 270

الثغور ودعمها بالمحاربين ، وانشأ الحصون الجديدة وجدد بناء القديم منها رغم المعارك التي خاضها من أجل ذلك . ولم يكتف سيف الدولة بهذا بل كانت له نقط لاستكشاف العدو وتسمى المراقب يعيش فيها جند مدربون ويرقبون تحركات العدو اولا بأول .حتى اذا ما أحسوا بقرب الخطر اعلموا اميرهم ، ولقد وصف المؤرخ شلوميرجيه حروب سيف الدولة بانها حملات سلب ونهب الا أنه تراجع في موضع آخر من كتابه ، لانه لم يستطع أن يخفي الحقيقة وقال « ينبغي أن نحذر من الاعتقاد ان جيوش سيف الدولة لم تكن الا عصابات دون تنظيم أو ترتيب بل كان العرب يتبعون خططا في منتهى الدقة والاحكام ، ويخضعون لنظام صارم ويشنونها حربا فنية مدروسة ، وكانوا يقودون جيوشا متفوقة في تنظيمها وقد أعدوا لكل أمر عدته ، وتداركوا كل صغير وكبير من الامور ونظموا الخدمة اليومية وأخذوا بنظام الكشافة والدوريات الصغيرة لكل كتيبة[1] ولقد شهد نقفور فوكاس بنفسه وهو القائد الذي خبر الجيش الحمداني عن قرب وخاض معهم معارك متعددة واعترف بشجاعتهم وقال: وكانوا جنودا غلاظا جبابرة يستميتون في المعارك والاحتفاظ بالنصر . ومن العسير تقهقرهم او ارتدادهم فاذا كان منهم الف يحمون موقعا فان من المستحيل انتزاعه منهم ، ثم يمضي في وصفه قائلا . . انهم كانوا في اغلب الاحيان يمتطون صهوات الابل ولم يكونوا يستعملون الدروع اثناء خوضهم المعارك ، بل يكتفون بارتداء خوذات مصنوعة من صفائح معدنية . وكانت اسلحتهم رماح طويلة ، وتروس تحجب اجسامهم ويحملون بأيديهم أقواسا مرنة ذات أحجام كبيرة ، ولا يكاد يحسن استعمالها الا الرجل العملاق ، ولم يكن جنود سيف الدولة يستعملون البغال او العربات في نقل معدات الحرب ، بل كانوا يحملونها على ظهور الابل كما انهم لم يكونوا يستعملون الطبول والابواق في ساحة الحرب ، وانما كانوا يستعملون آلات ذات اصوات حادة ، وكانت أصوات هذه الآلات بالاضافة الى هدير الابل الكثيرة العدد تلقي الرعب في قلوب المحاربين البيزنطيين وتفزع خيولهم مما يسبب لها الجموح والهروب . وكان العرب يحملون البيارق المتعددة الاعلام ذات الالوان الكثيرة فتبدو الصفوف الطويلة التي لا

---

(1) الدكتور الشكعه : سيف الدولة الحمداني ص 111 .

نهاية لها ، وكان هدير الابل يختلط مع صهيل الخيول وصياح الفرسان المحاربين بأناشيد الحرب » .

ولم يكن كل الجنود خيالة أو هجانة بل كانت هناك فرق من الرجالة من حملة الاقواس والسهام وكانت هذه الفرق تكون طليعة الجيوش مع الفرسان جنباً الى جنب[1] .

وقيل أيضاً في جيوش سيف الدولة نقلا عن صورة لكتيبة عربية في كتاب شلومبرجيه « وهي تمثل خيلا عرابا متراصة النحور عليها دارعون بايديهم الاعلام وان اعلامهم المطرزة ملونة مخططة وعليها وشي كثير وفوقها كتابات منها « لا اله الا الله » بطراز كوفي ، وهي اعلام عراض وفي وسط الصورة فارس بين صحبة من الفرسان قد اكب على طبل تحت يديه يقرعه بعنف وعلى جانبه فارسان مع كل منهما بدن طويل وفوق رؤوسهم عمائم مكورة »[2] .

ولقد وصف قسطنطين البورفيري في كتابه « تنظيم الارادة » كيف كان طراز المحاربين مع سيف الدولة « ان جند سيف الدولة كانوا مغاوير محبين للحرب فحين يكون الفا منهم يدافعون عن مكان فانه يظل من الافراط في المستحيل أخذه منهم ، وانهم يقعدون على ظهور افراسهم في المعمعة ، وليس عليهم لباس السلاح التام فهم لا يكترثون بلباس الجانبيات[3] ولكنهم يضعون على وجوههم مغافر من المعدن المصفح سلاحهم الرماح الطوال والتروس الكبيرة التي تغطي الجسد كله وأقواسهم من خشب لين واسع ويعسر على الرجل القصير أن يرمي بالنشاب[4] » .

ويصف شلومبرجيه اللباس العربي ويقول: (. . .ولم يكن لباس الجندي العربي مختلفاً عن لباس الجندي اليوناني الذي سلاحه قوس ونبل ودروع ومزارق وسيف وفأس للمعركة ، والى ذلك مغفر يستر الرأس ودرع من المعدن تغطي الجذع

---

(1) انظر الدكتور الشكعه : سيف الدولة الحمداني ص112 .

(2) زكي المحاسني : شعر الحرب ص252 .

(3) ما توضع على الأفخاذ من دروع .

(4) زكي المحاسني : شعر الحرب ص252 .

وجانبيات تستر رجليه والساعدين ، ومقاود من الفولاذ للخيل ، وكانت اغماد السيوف العربية مرصعة بالفضة وسروج الخيول العربية مثل سروج خيول الروم ، وكان العرب زمن سيف الدولة يلبسون ضروبا من الدرع اسمها الجوشن تغطي الفرس . . . ويقول . . . لم يكن شيء ليختلف بين العرب والروم في نظام الحرب سوى الهجوم فان الروم تعودوا مع البلغار - والروس الهجوم المنظم بخلاف العرب ، اما باقي فنون الحرب فكانت متشابهة كل التشابه عند الطرفين - وأما طراز المبارزة فقد وجد أن شرعيته من وضع العرب منذ حروبهم في الجاهلية . . . ولا شك ان نظام المبارزة بين الفرسان في القرون الوسطى في اوربا مقتبس عن العرب[1] » .

ولم يكن سيف الدولة شخصا سياسيا وحسب بل كان رجلا عسكريا عبقريا فقد قام سيف الدولة بابتكار نظام جديد هو نظام الفدائيين فنظم فيالق من خيرة جنوده ، ودربهم تدريبا خاصا فيه جرأة ومغامرة ، واقبال على الاعداء ومباغتتهم من حيث لا يتوقعون وكانت هذه الفرق تعرف باسم حملات القفز ، ذلك لانها كانت تعتمد في سبيل الوصول الى الأعداء على القفز من قمة الى أخرى وبكل سهولة ويسر يقفزون بين هاويتين سحيقتين ثم ينزلون على العدو فيوقعون به شر الوقائع وينزلون الرعب في صفوفه .

ولقد كان الجنود البيزنطيون حين يروون قصص الفدائيين العرب يروونها في كثير من الفزع والخوف[2] كما هو الحال في أيامنا هذه وما يقوم به فدائيونا الابطال من الاعمال لتحرير وطنهم ضد الدخلاء الصهاينة .

ولكن سيف الدولة لم يبق على هذه الفرق الفدائية الرائعة والتي كانت تهب عواصف تحرق وتبدد صفوف الاعداء . ولقد كانت الحكمة في تسريح هذه الفيالق كما يقول الاستاذ الشكعة « لانها تتنافى مع تقاليد الشجاعة العربية » ويعلل شلومبرجيه

---

(1) زكي المحاسني : شعر الحرب ص252 .

(2) د . الشكعه : سيف الدولة الحمداني ص 113

سبب تسريح هذه الفرق لان حربها كانت « مخزية مخجلة »(1) . ولكن لي تعليق على هذين الرأيين ارى ان اضعه هنا .

ان احدا لا يستطيع ان ينكر ما يتحلى به العرب من شجاعة ومروءة وبطولة نادرة ولكن من غير المعقول ان نعتمد على تلك الصفات ونترك فنا حربيا جريئا حقق نتائج ايجابية حيث انه من المعروف ان الحروب في كل زمان ومكان تعتمد على فنون معينة . اما سيف الدولة فهو عندما سرح الفرق الفدائية فقد اوقع نفسه في خطأ كبير ما كان يجب ان يقع فيه لانه كلفه الكثير ، ومن المعروف ان الروم لو كان في امكانهم ممارسة تلك الاعمال البطولية التي قام بها الفدائيون العرب لما تأخروا عن ذلك ولما فسرها مؤرخهم بانها مخزية متناسيا بانهم ما نزلوا بلدا الا احرقوها ونهبوا اموالها وسبوا رجالها واطفالها(2) .

الجيش البيزنطي :

رزقت الامبراطورية البيزنطية في تلك الفترة بعدد من القادة العسكريين الاكفاء الذين اشرفوا على تدريب قواتها تدريبا منظما ، واهتموا بالجيش اهتماما بالغا ودليلنا على ذلك ما قاله احد اباطرة القرن العاشر « الجيش للدولة كالرأس للجسم ، فلو لم يجد اهتماما بالغا تعرضت الامبراطورية للخطر »(3) . ولقد كان الجيش البيزنطي خليطا من الاجناس المختلفة الى جانب الجيش الوطني فكان منهم من السلافيين والروس والارمن والصقالية والعرب(4) . ولقد ترتب على هذا الخليط الذي تركز في الجيش البيزنطي خطورة هامة في كيانه خصوصا وان جند المرتزقة لا يمكن التسليم بولائهم التام اذ كانوا على استعداد دائما لخدمة من يدفع الثمن الاعلى(5) . وعلى الرغم من هذا فقد كانت القوات البيزنطية تمثل قوة عسكرية خطيرة تنقسم عادة الى قسمين : الأول منها التاجماتا

---

(1) د . مصطفى الشكعه : سيف الدولة الحمداني ص113 ـ عن شلومبرجر

(2) المرجع السابق ص114 .

(3) الباز العريني : الدولة البيزنطية ص384 (شارل ديل ـ نقفور فوكاس)

(4) الكيالي : سيف الدولة وعصر الحمدانيين ص150 .

(5) د . عمر كمال : مقدمات العدوان الصليبي ص14 .

Tagmata وكانت بمثابة قوة مركزية مركزها العاصمة وضواحيها ، والقسم الثاني يعرف باسم التيماتا Themata وهو جيوش الاجناد المختلفة وترتبط بها ، وقد شمل القسم الأول فرق الفرسان الاربع Scholas وهي التي اشتهرت باسم الاسكلاربة واصبح قائدها الدمستق الكبير هو الرئيس الاعلى والقائد الاكبر للجيش[1] والأكسكيبيتور Excubitor والارتيموس Arithmas ، والهيكاناتس Hicanutes ووجدت الى جانبها فرقة المشاة التي تعرف باسم نيوميري Numeri وكانت هذه الفرق الخمس تكون الحرس الامبراطوري ولكل منها ضباط برتبة دمستق Domasticus[2] وكان كل من يعمل في سلاح الفرسان ينال من الامبراطورية مقابل ما يؤديه من خدمة حربية أراض صالحة للزراعة اقطاعا لا يجوز انتقاله من شخص لآخر وكفل القانون الحماية لصاحب الاقطاع[3] ، اما جيوش الاقاليم النيماتا فكان يرأس كل جيش منها الاستراتيجوس اي حاكم الولاية الذي يختار من الطبقة العسكرية ، وكل « تيم » ينقسم بدوره الى قسمين او ثلاثة[4] وكانت تستغل هذه القوات في الدفاع اما في حالة الهجوم فقد كانت فرق الحرس الامبراطوري تخرج من العاصمة بقيادة الامبراطور او دمستق الاسكلاريه وتلحق بها قوات من جنود الولاية والجنود المختلفة[5] .

ولقد كانت هناك قوات اخرى غير هذه وتلك هذه القوات هي التي تتولى امر الدفاع عن القلاع والابراج والى غير ذلك من قوات الحدود التي تعرف بقوات التخوم . ولقد اعطى الامبراطور جنود الاطراف الاراضي التي يقومون فيها باسرهم نظير خدماتهم الحربية[6] . وهكذا كانت قوات الجيش البيزنطي على هذا النظام المتين . ولقد وصف رنسمان الجيش البيزنطي بعكس ما وصفه شلومبرجيه فقال رونسمان « لم يكن البيزنطيون امة حرب ولم يكونوا كمحاربي الغرب - يعني اليونان والاوروبيين -

---

(1) ابن رسته : الاعلاق النفيسة ص355 .

(2) د . عمر كمال : مقدمات العدوان الصليبي ص12 .

(3) د . الباز العريني : الدولة البيزنطية ص384 .

(4) ابن رسته : الاعلاق النفيسة ص355 - عمر كمال : مقدمات العدوان الصليبي ص13 .

(5) د . عمر كمال : مقدمات العدوان الصليبي ص13 .

(6) د . الباز العريني : الدولة البيزنطية ص384 .

فرسان معارك وكانت الضرورة وحدها هي التي تقتضيهم الاعتناء بالامور العسكرية [1] .

اما شلومبرجيه يقول عن جيش الروم « بان شيئا لا يقف في وجوههم عند الهجوم ، ولا من يستطيع ان يهزمهم عن مواقعهم حينما يندفعون امواجا وصفوفا . . . وكانوا يضعون على رؤوسهم خوذا ثقالا من الحديد وعلى رؤوسهم الزرد المضاعف . . . . وانهم كانوا يؤلفون صفا واحدا كتفا الى كتف متراصا كالجدار لا يمكن اختراقه [2] وقد استخدم الجيش البيزنطي في قتاله ضد المسلمين اسلحة مختلفة منها السيوف والخناجر والقوس والرمح ، وكان المشاة يستعملون النبال والحراب وكانت هناك فرق من المشاة الثقيلة ممن يلبسون الدروع ويحملون البلط والرماح والسيوف والتروس وكان يعهد اليهم بحراسة المسالك والدروب الجبلية التي يتعذر على الفرسان العمل فيها [3] ، والى جانب هذه الاسلحة فقد استخدم الجيش البيزنطي النار الاغريقية ، وكانت هذه تحدث دخانا كثيفا وانفجارا عنيفا وتنبثق منه نار شديدة حاجية تندلع السنتها صعودا وهبوطا في نفس الوقت . . . ولا تنطفىء عند ملامسة الماء بل تشتد وتحتدم ، ولا يخمد اوراها سوى الرمل والخل وقد احتفظ البيزنطيون طويلا بسر هذا السلاح الهائل واستأثروا استعماله في محاربة اعدائهم قرونا طويلة وتتكون من زيت النفط والكبريت والقار وغيرها من المواد المتلهبة « كما كانت لديهم الدبابات » وهي عبارة عن اداة من ادوات الحرب يدخل المحاربون في جوفها ويدفعونها الى جوار الحصن فينقبونه وهم في داخلها يحميهم سقفها وجوانبها من نبال العدو » [4] . هذا هو الجيش الذي خاض سيف الدولة ضده المعارك الضارية رغم ما كان يتفوق البيزنطيون عليه في العدة والعدد اضعافا مضاعفة .

---

(1) د . زكي المحاسني : شعر الحرب في ادب العرب ص254 .

(2) زكي المحاسني : شعر الحرب ص254 .

(3) د . عمر كمال : مقدمات العدوان الصليبي ص13 .

(4) الكيالي : سيف الدولة وعصر الحمدانيين ص160 .

بداية الحروب الحمدانية البيزنطية :

كان اول احتكاك بين سيف الدولة والروم بعد ان فرغ من حروبه ضد الاخشيديين وامن ممتلكاته بعقد الاتفاقية التي رأيناها. تقدم في عام336 هـ الى اراضي العدو ونزل على حصن زياد فخر به واحرقه بعد ان اخذ كل محتوياته(1) ، ولما علم الروم بما تم لحصن زياد خرجوا لطرد سيف الدولة الا انه استطاع ان يوقع بهم هزيمة ذريعة وعاد الى حلب تزينه اكاليل الغار والنصر ، ولم يلبث ان يهدأ قليلا في عاصمته حتى يخرج في العام التالي ويتوغل في اراضي العدو ويحاصر حصن برزويه ويفتحه(2) ، ولكن القدر في هذه المرة لم يحفظ لسيف الدولة مكاسبه . فقد اوقع به الروم وقتل كثير من رجاله واستولوا على حصن مرعش(3) ، بل لم يكتف الروم بهذا ، بل واصلوا تقدمهم نحو طرسوس فنهبوها وأحرقوها(4) وكان سيف الدولة قد خلف ابن اخيه محمد ابن ناصر الدولة على ولاية حلب ، ولكنه لم يستطع ان يهزم ليون ابن الدمستق عندما خرج اليه وواجهه وهزم وقتل كثير من جنده(6) ، ثم عاد سيف الدولة الى ميافارقين ثم نزل على حلب فقال المتنبي(7) :

لقد سلّ سيف الدولة المجد معلما فلا المجد يخفيه ولا الضرب تأمله
عل عاتق الملك الاغر نجاده وفي يد جبار السموات قائمه
تحاربه الاعداء وهي عبيده وتدخر الأموال وهي غنائمه

وكانت هذه المعركة هي اول هزيمة مني بها سيف الدولة واثرت فيه تأثيرا عميقا مما دفعه الى ان يهب لاخذ ثأره والانتقام من أعدائه خصوصا وان عادة الاخذ بالثأر كانت

---

(1) العيني : عقد الجمان16 -26 .

(2) ابن ظافر الازدي : الدول المنقطعة ص9 .

(3) الذهبي : دول الاسلام1 -165 ـ تاريخ الاسلام19 -101 ـ العيني عقد الجمان16-63 .

(4) زبدة الحلب1 -120 ـ البداية11 -220 .

(5) كانار عن يحي بن سعيد ـ إخبار الامير سيف الدولة ص85 .

(6) ابن العديم : زبدة الحلب1 -120 ـ الطباخ :إعلام النبلاء1 -257 .

(7) ديوان المتنبي3 -341 .

من الصفات التي تميز العرب عن غيرهم في ذلك الوقت ، اخذ سيف الدولة يجمع قواته ويعدّها حتى بلغت على ما قيل نحوا من ثلاثين الف مقاتل[1] . وتقدم على رأسها مخترقا الحدود البيزنطية وافتتح الحصون الكثيرة وانتصر انتصارات باهرة اغرته على التوغل في ارض الروم[2] . وكان من جملة ما فتح من حصون سمندو وخرشنه وصارخة[3] ، وكان صاحب ثغر طرسوس قد وافاه في اربعة الاف مقاتل وكان على رأسهم ابو الحصين[4] ولقد كان توغل سيف الدولة في هذه المرة خطيرا جدا بحيث قارب من عاصمة الروم القسطنطينية[5] فخاف الروم هذا الفتى العربي الذي هدد عاصمتهم تهديدا مباشرا واخذوا يحسبون له الف حساب ، الى هذه الدرجة من النصر وصلت قوات سيف الدولة وعاد الاعراب والطرسوسيون يحملون السبى والغنائم الكثيرة[6] . وقفل سيف الدولة عائدا ، وكانت الروم قد اخذت عليه الدروب فأوقعوا به وهزموه هزيمة منكرة واستنقذوا جميع اسراهم واخذوا منه ما غنم ثم نهبوا خزائنه وامواله ولم يستطع النجاة الا بصعوبة جدا[7] . وقيل أن سيف الدولة فكر في الانتحار في هذه المعركة وذلك لكي لا يقع اسيرا في يد الروم[8] ، ويعلق الاستاذ الكيالي على هذه المعركة بقوله « أن برزاس فوكاس لجأ الى هذه الخديعة التي لا يلجأ اليها غير الجبناء »[9]، ولكن من المعروف دائما ان الحرب في عصورها القديمة والحديثة فن وخدعة او هذه طبيعتها وان التجاء بارزاس فوكاس الى مثل هذه الخطة كان فنا جريئا لا يؤاخذ عليه ، وانما كان على سيف الدولة ان يتخذ لكل امر عدته ، وما كان عليه ان يتوغل اكثر من اللازم في ارض يجهل دروبها بغير تخطيط مدروس . ولقد صور المتنبي هذه المعركة التي هزم فيها سيف الدولة فقال :

---

(1) ابن العماد ، شذرات الذهب 2 - 348 الذهبي : دول الاسلام1- 165

(2) مسكويه : تجارب الامم2 -125 .

(3) الذهبي : تاريخ الاسلام191 -104 .

(4) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة3 -303 . الذهبي : تاريخ الاسلام 19 -104

(5) د. الشكعة سيف الدولة الحمداني ص120 ـ الكيالي ـ سيف الدولة وعصر الحمدانيين ص80

(6) ابن العديم : زبدة الحلب1 -121 .

(7) ابن الاثير : الكامل8 -161 ـ ابو الفدا . المختصر في اخبار البشر2 -98 .

(8) الطباخ : اعلام النبلاء1 -257 ـ ابن العديم : زبدة الحلب1 -121 .

(9) الكيالي : سيف الدولة وعصر الحمدانيين ص84 .

حتى اقام على ارياض خرشنة[1] تشقي بها الروم والصلبان والبيع
للسبى ما نكحوا والقتل ما ولدوا والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا
فحلى له المرج منصوبا بصارخه له المنابر مشهودا بها الجمع[2]

عاد سيف الدولة الى حلب وفي قلبه جرح عميق من اثر الهزيمة وبعث اليه الروم يسألونه المهادنة ولكنه كيف يهادن ولا يزال جرحه ينزف دما فقد رفض مطالب الروم[3] . وأخذ في اعداد جيوشه من جديد لانه كان شابا لا تثنى عزمه هزيمة ولا محنة فان المحن تخلق الرجال وبعد ان اتم تجهيز جيشه تقدم الى ارض الروم في العام التالي لهزيمته ، اي عام340 هـ واوقع بالروم هزيمة ذريعة وسبا وغنم الكثير من الأموال وعاد سالما الى بلاده[4] . وفي العام الذي تلاه تقدم سيف الدولة مرة اخرى . وفي هذه المرة كان على رأس قواته الامير ابو فراس وهزم الروم وتمكن من بناء حصن رعيان ومرعش[5] فقال المتنبي بهذه المناسبة[6] :

فيوما بخيل تطرد الروم عنهم ويوما بجود تطرد الفقر والجدبا
سراياك تترى والدمستق هارب واصحابه قتلى وامواله نهبى[7]

وفي العام التالي اراد العدو ان يثأر لنفسه من سيف الدولة فجمع جيوشه

---

(1) بلد قرب ملطيه من بلاد الروم . ياقوت : معجم البلدان2 -423 .
(2) قال المتنبي يصور الهزيمة
قل للدمستق ان المسلمين لكم خافوا الامير فجازاهم بما فعلوا
وجدتموهم نياما في دمائكم كأن قتلاكم اياهم فجعوا
(3) الذهبي : تاريخ الاسلام9 / 104 -105 .
(4) ابن ظافر الازدي : الدول المنقطعة ص12 . الذهبي دول الاسلام1 -166 .
(5) ابن ظافر الازدي : الدول المنقطعة ص13 . العيني : عقد الجمان16 -87 .
(6) ديوان المتنبي 1 / 61 -68 .
(7) اتى مرعشا يستقرب البعد مقبلا وادبر اذ اقبلت يستبعد القربا
كفى عجبا ان يعجب الناس انه بنى مرعشا تبا لارائهم تبا
وقال في وضع آخر :
لامر اعدته الخلافة للعدى وسمته دون العالمين الضارب العصبا
ولم تفترق عنه الا سنه رحمة ولم يترك الشام الاعادي له حبا

الضخمة في عام342 هـ ولكن سيف الدولة فاجأهم واوغل في بلادهم واوقع بقواتهم المزيمة تلو الاخرى وفتح حصن عرقه واحرق مدينة ملطية[1] واغتنم الروم فرصة غياب سيف الدولة عن الشام وتقدموا اليه ، ولما علم سيف الدولة بامرهم انقض عليهم فجأة واوقع بهم هزيمة فظيعة واسر فيها قسطنطين ابن الدمستق وعدد من بطارقته[2] ، ولم يستطع الدمستق ان يتحمل هول هذه الهزيمة فدخل الدير مترهبا ، ولم تفت هذه الوقعة السنة المداح والشعراء فقال ابو الطيب .

فلو كان ينجى من على ترهبا ترهبت الاملاك مثنى وموحدا

وقال النامي :

لكنه طلب الترهب خيفة ممن له تتقاصر الاعمار
فمكان قائم سيفه عكازه ومكان ما يتمنطق الزنار[3]

وفي عام343 هـ كان الروم قد استعدوا ليثأروا لانفسهم وليمحوا عار تلك الهزيمة التي ضربتهم في الصميم فابن قائدهم لا يزال في اسر سيف الدولة وكذلك كثير من البطارقة والقواد ولكنهم ما ان اتموا استعدادهم حتى فوجئوا بقوات سيف الدولة تستظلهم بالسيوف والرماح وادوات القتل وسفك الدماء ، وكأن سيف الدولة الذكي بخططه البارعة هذه اراد ان يطبق قول سيدنا علي « ماغزي قوم في عقر دارهم الا وذلوا ولا قعدوا عن صون ذمارهم الا اضمحلوا» واراد كذلك اذلال الروم فها هو يتقدم ايضا في هذه المرة ويوقع بجيش الروم امرّ الوقائع واحتل حصن الحدث[4] . واخذ في اعادة بنائه وكان اهله قد اسلموه للروم في عام337[5] هـ ، ولكن الروم عندما علموا بسقوط الحدث في يد سيف الدولة ثارت ثائرتهم واخذوا في جمع ما استطاعوا من القوات حتى بلغت ما يقرب من الخمسين الفا[6] . وكان فيهم الروم والروس والبلغار والصقالبة

(1) ابن ظافر : الدول المنقطعة ص13 .

(2) العيني : عقد الجمان16 -94 . ابن العديم : زبدة الحلب1 -123 .

(3) الطباخ : اعلام النبلاء1 -259 .

(4) Comb. M. H. Vol IV P. 143

(5) عبد الوهاب عزام : ذكرى المتنبي ص374 .

(6) الطباخ : أعلام النبلاء1 -260 .

واجناس اخرى[1] ، وتقابلت هذه الجيوش الجرارة مع قوات سيف الدولة المحدودة العدة والعدد وما كان من الاخير الا ان فاجأ تلك الحملة الضخمة بخمسمائة من ابطاله[2] ، ولقد كانت هذه المفاجأة للروم من الاسباب التي بثت الفزع والرعب في نفوسهم فانهزمت قواتهم واسر منهم نحوا من ثلاثة الاف.واسر خلق كثير من بطارقتهم[3] ، ورغم هذا النصر المؤزر الذي حالف سيف الدولة فانه لم يفكر في العودة ولم يخاف من مفاجأة الروم له بل ظل حتى تم بناء الحصن ووضع آخر شرافه بيده[4] وقال المتنبي في هذه الوقعة .

على قدر اهل العزم تأتي العزائم   وتأتي على قدر الكرام المكارم

ويقال ان في هذه الوقعة اسر صهر الدمستق وابن بنته[5] . ويقول سلومبرجير « ان سيف الدولة لم يترك مدينة الحدث حتى اتم بناء سورها وحتى وضعت آخر لبنة بمشارفته في 13 رجب سنة 343 تشرين الثاني 954[6] » ، قال المتنبي :

بناها فأعلى والقنا تقرع القنا   وموج المنايا حولها متلاطم
وكيف ترجى الروس والروم هدمها   وذا الطعن اساس لها ودعائم

وقال ايضا :

ولست مليكا هازما لنظيره   ولكنك التوحيد للشرك هازم

وهذه هي اول اشارة يشير بها المتنبي ويصور الحرب بانها ما بين المسلمين والروم ، ولم يرض بانها معركة بين ملك وملك آخر[7] وهكذا وقعت الهزيمة بجيوش الروم الكثيرة العدد ، والجنس ولم يهزمها غير جيش صغير ولكن يقوده امير مؤمن بهدفه

---

(1) ابن الاثير : الكامل 8-168 . ابن العماد : شذرات الذهب 2-365 .
(2) كانار : اخبار الامير سيف الدولة ص 107 .
(3) العيني : عقد الجمان 16-99 ـ دول الاسلام 1-167 .
(4) عبد الوهاب عزام : ذكرى المتنبي ص 374 .
(5) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهره 3-311 . الطباخ : اعلام النبلاء 1-260
(6) زكي المحاسني : شعر الحرب ص 276 .
(7) المرجع السابق .

الذي يدافع من اجله ، وصف المتنبي تلك المعركة بقوله[1] .

فولى واعطاك ابنه وجيوشه جميعا ولم يعط الجميع لتحمدا
وما طلبت رزق الاسنة غيره ولكن قسطنطين كان له الفدا[2]

وهكذا يعود سيف الدولة الى حلب تزينه وتحيط به اكاليل الظفر والغار بعد ان خاض معركة طاحنة مع اقوى جيش عرفه التاريخ في ذلك الوقت ، وبعث الروم الى سيف الدولة يطلبون منه الهدنة الا ان سيف الدولة رفض طلبهم لانهم كانوا قد قتلوا من وقع في ايديهم من الاسرة الحمدانية[3] ، وحق ان يطلق على سيف الدولة بعد هذه المعارك المظفرة لقب حامي الثغور الاسلامية ، فنحن نرى ياقوت يقول « . . . ولم يزل هذا الثغر وهو طرسوس وآذنه والمصيصه وما يضاف اليها بايدي المسلمين والخلفاء مهتمون بأمرها لا يولونها الا الشجعان من القواد والراغبين عنها في الجهاد والحروب بين اهلها والروم مستمرة والامور على هذه الحال مستقرة ، حتى ولّى للعواصم والثغور الامير علي بن حمدان فصمد للغزو وامعن في بلادهم ، واتفق ان قابله ملوك اجلاء ورجال اولو بأس وجلاد وبصيرة بالحرب والدين شداد »[1] . ولم ينفرد ياقوت بهذه الشهادة للامير سيف الدولة انما قال الثعالبي مثل ذلك في بني حمدان « . . . وسيف الدولة مشهور بسيادتهم وواسطة قلادتهم وكان رضي الله عنه وارضاه غرة الزمان وعماد

---

(1) المتنبي : الديوان 3-95 .

(2) لعلك يوما يا دمستق عائد فكم هاربا مما اليه يؤول
نجوت بإحدى مهجتيك جريحة وخلفت احدى مهجتيك تسيل
فتيها وفخرا تغلب ابنه وائل فانت لخير الفاخرين قبيل

كذلك فان ابا فراس افتخر في قصيدته الرائية بهذه الوقعة حين قال : -

وآب بقسطنطين وهو مكبل تحف بطاريق به وزراوز
وولى على الرسم الدمستق هاربا وفي وجهه عذر من السيف عاذر
فدى نفسه بابن عليه كنفسه وللشدة الصماء تقنى الذخائر
وقد يقطع العضو النفيس لغيره ويدفع بالامر الكبير الكبائر

(3) زكي المحاسني : شعر الحرب ص276 .

(4) ياقوت : معجم البلدان 3-7 .

الاسلام ومن به سداد الثغور وسداد الامور[1] ». والمهم انه بعد الهزيمة الساحقة التي منى بها الروم ارادوا ان يردوا اعتبارهم وساروا الى الحدث بجيوش غفيرة الا انهم ما ان علموا بقدوم سيف الدولة اليهم حتى رحلوا هاربين والى النجاة طالبين. وفي العام التالي اي سنة 345 اعد سيف الدولة قواته لكي يقوم بجولة اخرى ، وكانت خطواته لا زالت اثارها على ارضهم وان جرح الروم ما زال ينزف دما وبالاضافة الى ذلك فان الجيش الحمداني في هذه المرة يختلف عن المرات السابقة ، فهو في هذه الغزوة يحمل معه السفن المخلعة واطواقا لكي يعبر بها نهر ارسناس[2] وفعلا سار سيف الدولة حتى نزل عند شاطىء النهر[3] وعبر الى جانبه الثاني في الزواريق[4] . ومروا بحصن الران وساروا منه الى تل بطريق حيث كان بها يانس بن الشمشقيق فكبسه سيف الدولة وفتح المدينة ونهب وحرق ودمر[5] ، وقيل انه عقد سماريات لنقل ما اخذه من المدينة من ارزاق وسبى ، ولم يكتف سيف الدولة بما احرزه من نصر وانما اوقع بالروم هزيمة اخرى عند درب الخياطين[6] ، وكان سيف الدولة قد خلف ابن عمه ابا العشائر الحسين بن علي بن الحسين بن حمدان ورسم له النزول على حصن عرمدا وبناه وخرج ليون البطريق فقابله الحسين الا ان الروم انتصروا في هذه المرة واسر الحسين[7] ، اما سيف الدولة فقد واصل رحلة الانتصار حتى نزل على سمندر واحرقها كما نزل على حصن زياد[8] . وفي تلك الاثناء علم سيف الدولة بمسير الروم الى بلاد الشام لكي يضربوه ضربة انتقامية فاسرع اليهم لكنهم في هذه المرة تمكنوا من دخول طرسوس واحرقوها وسبوا ما لا قوه[9] فيها وفي هذه المعركة يقول المتنبي :

---

(1) الثعالبي : يتيمة الدهر 1-11

(2) كانار : اخبار الامير سيف الدولة ص 112

(3) ابن ظافر/ الدول المنقطعة ص 15 .

(4) نهر في بلاد الروم يوصف ببرودة مائه .

(5) كانار عن يحيى بن سعيد : اخبار الامير سيف الدولة ص 115

(6) ابن العديم : زبدة الحلب 1-125

(7) ابن العديم : زبدة الحلب 1-125 .

(8) ابن العديم : زبدة الحلب 1-126 .

(9) كانار عن يحيى بن سعيد : اخبار الامير سيف الدولة ص 115 .

الذهبي : تاريخ الاسلام 19-233 ـ العيني عقد الجمان 16 -107 . ابن كثير : البداية والنهاية 11-230 .

الــرأي قبــل شجاعــة الشجعان هو اول وهــي المحــل الثاني
فكأن ارجلهــا بتــر به منبج يطرحــن ايديهــا بحصــن الران
حتــى يمــرن بارسنــاس سوابحا فينشرن فيه عمائــم الفرسان

وهكذا يعود سيف الدولة الى حلب يجر اذيال الفخار والنصر على هذه الامبراطورية العظيمة ذات الجيوش الكبيرة حتى وقفت مشدوهة امام الجيش الحمداني الذي لا يوازي جيش ولاية من ولاياتها، فوقفوا حائرين لا يدرون اي السبل يسلكون فان سيوفهم تحطمت ورماحهم كسرت وهممهم قد فترت وان عزيمتهم قد وهنت، بعد هذه الهزائم المتتالية، ففكروا ان يلجأوا الى سلاح الضعفاء لعلهم يجدوا منه منفذا يحفظ عليهم ماء وجوههم، لجأوا الى التآمر والدس والخديعة فكاتبوا غلماناً من جيش سيف الدولة بالقبض عليه، وكان من بين الخونة اخ لاحد قادة سيف الدولة والقائد هو ناصر واخيه ابا الحسن ويقول اندريه دايفتس « ان الخيانة قد امتدت الى الحرس الاميري الذي استعد ان يسلم الامير سيف الى ليون فوكاس في الوقت المناسب »[1]، لكن المؤامرة ما لبثت ان كشفت عن طريق احد غلمان سيف الدولة فالقي القبض على المتآمرين ونال كل منهم جزاءه. وكان معظمهم من الارمن والترك اشتراهم سيف الدولة ليكونوا معه في جيشه[2] ويظهر لنا من حبك هذه المؤامرة عدة امور هامة، منها ان الروم بعظمتهم وكثرتهم عجزوا عن هزيمة سيف الدولة بموارده ورجاله المحدودين. وناحية اخرى هي خطورة استخدام العناصر الاجنبية في الجيش وذلك لسهولة استمالة هذه العناصر اذا ما اغريت بالمال لان ليس لها هم الا جمعه وبغض النظر عن الوسيلة التي يتبعونها في ذلك كما ذكرنا مرارا. وبعد ان استراح سيف الدولة من مؤامرات المتآمرين وهزيمة البيزنطيين وكانت الأمور قد توترت بين البويهيين في بغداد وبين اخيه ناصر الدولة في الموصل وتقدم معز الدولة البويهي وطرد ناصر من عاصمته الموصل فاتجه الاخير الى اخيه سيف الدولة في حلب[3]. فأخذ سيف الدولة يتوسط

(1) اندريه دايفتس ـ سيف الدولة الحمداني ص69.
(2) ابن العديم : زبدة الحلب 1-127 ـ عرب وعروبة ـ محمد عزت دروزه ص57 .
(3) انظر الفصل الثالث من هذه الدولة ص144 .

بين اخيه ومعز الدولة وضمن بأن يدفع عنه الاموال المتأخرة حتى تم الصلح بين الطرفين . وقد استغل الروم فرصة انشغال سيف الدولة بامور اخيه مع معز الدولة فجمعوا جيوشهم علهم يثأروا لانفسهم في هذه المرة وتقدموا الى آمد وميافارقين وديار ربيعة ففتحوا حصونا كثيرة واحرقوا وسبوا ما راق لهم وطاب(1) ، وفي نفس السنة قام نجا غلام سيف الدولة على رأس قواته وقابل الروم الا ان نجا هزم هو الآخر واسر كثير من رجاله(2) ، ثم سار الروم الى سميساط ورعبان والتقاهم سيف الدولة الا انه هزم وفتح الروم سميساط وقتل كثير من اهلها واصحابها(3) ولقد دفعت نشوة النصر بالروم ان يجددوا هجومهم في العام التالي سنة 348 واتجهوا الى طرسوس وسبوا ونهبوا وفتحوا الهارونية وضربوا الحصن وقتل اهله(4) ثم دخلت الروم بعد ذلك الى الرها وحران وكروا على ديار بكر واسر في هذه الوقعة محمد بن ناصر الدولة(5) ، ولكن يبدو ان هذه الانتصارات التي احرزها الروم كانت غير حاسمة ولم تكن لتروي غليلهم فاعدوا انفسهم لجولة جديدة ، اما على الطرف الاخر فان المسلمين اخذوا يحرضون على الجهاد المقدس وثارت العامة في بغداد وطالبت الخليفة بالحرب وهب ابن نباته خطيب سيف الدولة يستنهض الهمم ويحرض الناس على الغزو(6) ومن المعروف ان ابن نباته كان دائما ينهي خطبه بعبارة ثابتة هي « بارك الله لنا ولكم في القرآن العظيم ونفعنا واياكم بالايات والذكر الحكيم واستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين(7) .

ولكن المهم ان الروم يتجهزون للغزو وكان سيف الدولة يعرف ما يهدف اليه الروم فاعد نفسه وتوغل في ارضهم وكانت هذه سياسته دائما ان يفاجأ العدو حتى لا يعطيه فرصة المبادرة وكان ذلك في سنة 349 وظلت جيوشه تجوب في ارض الروم حتى

---

(1) العيني : عقد الجمان 16-115 . الذهبي : دول الاسلام 11-168 .

(2) ابن العديم : زبدة الحلب 1-127 .

(3) ابن العديم : زبدة الحلب 1-128 . ابن الجوزي : المنتظم 6-387 . الذهبي : دول الاسلام 1-168 .

(4) الذهبي : دول الاسلام 1-168 ـ كانار عن يحي بن سعيد . اخبار الامير سيف ص 126 .

(5) تاريخ الاسلام 19-236 . ابن العماد ـ شذرات الذهب 2-376 .

الذهبي : دول الاسلام 1-168 .

(6) ابن العماد : شذرات الذهب 2-376.

(7) آدم متز : تاريخ الحضارة العربية 2-81 .

وصلت الى خرشنه[1] . وفي اثناء العودة كانت الروم قد اخذت الطرق والمسالك فقال له الطرسوسيون « ان الروم قد ملكوا الدرب خلف ظهرك والرأي ان ترجع معنا[2] » ولكن سيف الدولة كان مستبدا برأيه ورفض مطلبهم لئلا يقال انه اصاب برأي غيره[3] ، فوقع الامير في الشرك الذي نصبوه له وكانت مذبحة شنيعة في سيف الدولة ورفاقه ونهبت امواله وخزائنه واخذ ما كان معه من الاسرى الروم والغنائم ولم يستطع النجاة الا في قلة من صحبه بعد جهد جهيد[4] .

وهكذا نرى ان تعنت الامير سيف لم يقع عليه وحده او على جيشه وحسب بل كانت هزيمته هذه ذات اثر بعيد في نفسية المسلمين ايضا وذلك لان الانتصارات التي كان يحققها سيف الدولة كانت ترفع من روحهم المعنوية وذلك لانه لا يوجد من يقف في وجه الروم سواه ، ومعنى هذا ان هزيمته نزلت كالصاعقة على قلوب المسلمين كلهم ، ولو ان سيف الدولة اخذ برأي الطرسوسيين لما حل به هذا المصاب ، ولكن رغم هذه الهزيمة فان نجا غلام سيف الدولة قد خرج بقواته وتمكن من هزيمة الروم وحاصر حصن ذي القرنين وقتل اهله وسبى ما فيه[5] . وبهذا يكون نجا قد ثأر لسيده ولعامة المسلمين الذين كانوا معه وعاد محملا بالاسلاب ، وقام بغزوة اخرى فغنم الكثير وقيل ان قيمة ما غنمه نجا يقدر بثلاثين الف دينار وسبى اكثر من الف رأس من البقر والغنم واستأسر خمسمائة في السلاسل[6] . ولكن هذه الانتصارات الاخيرة التي حققها نجا لم تكن حاسمة ولن نتخطى الحقيقة اذا قررنا ان سيف الدولة سيبدأ منذ الان في موقف دفاعي فقط وذلك لان الانتصارات العديدة التي حققها على الروم ولدت عندهم ردة فعل قوية حتى اصبحت امنية اكبر قادتها في ذلك الوقت ان يقضي على ذلك الامير العربي ولن يتسنى له ذلك الا باعداد جيش قوي لا يستطيع سيف الدولة مقابلته وفي هذه الاثناء

---

(1) ابن الاثير : الكامل8-175 .

(2) مسكويه : تجارب الامم2-180 .

(3) ابن الاثير : الكامل8-175 . العيني : عقد الجمان16-128 .

(4) ابن كثير : البداية والنهاية11-236. الذهبي : دول الاسلام1-129 - ابو الفدا : المختصر2-102 .

(5) ابن ظافر / الدول المنقطعة ص16 . ابن العماد : شذرات الذهب2-279 .

(6) ابن ظافر : الدول المنقطعة ص16 : العيني : عقد الجمان 16-136 .

كان نيسفور يدبر خطة يستطيع التخلص بها دفعة واحدة من امير حلب الشديد المراس وكان هدفه ان ينقذ كيليكية وسورية وفلسطين والعراق وان يبعد حدود المملكة حتى الدجلة ورمال الجزيرة العربية . وقد فطن ان اول ما يجب ان يقوم به هو الاستيلاء على كيليكيا وان يجعلها مقره ومركز قيادته ، لانه تحقق ان كيليكيا هي بمثابة حصن طبيعي يستطيع من يستولي عليها ان يسيطر على اسيا الجنوبية من جهة الشمال وسورية من جهة الجنوب ، غير ان جميع مضايق الامانوس وطوروس وكذلك كيليكيا كانت حتى عام 961 م350 هـ في حوزة امير حلب[1] ولكن لنرى الآن هل حقق نسيفور فوكاس امله هذا .

جرت الاستعدادات الحربية في قيصرية بقيادوقيا حتى اصبح تعداد الجيش مائة وسبعين الف جندي[2] فتقدمت هذه القوات الضخمة الى عين زربه فأخربوها واحرقوها وقتلوا اهلها[3] . وقيل ان الروم عندما حاصروا تلك المدينة قطعوا من حولها اربعين الف نخلة[4] . وكانت هذه سياستهم يلجأون الى اية وسيلة يمكن ان تحقق خسارة بالعدو ، وظلت القوات البيزنطية على تقدمها تفتح وتحرق الحصون حتى قيل أنه فتح في هذه الحملة ما يقرب من اربعة وخمسين حصنا بعضها بالسيف والبعض الآخر بالامان[5] وأسر ابو فراس اميرمنبج في نفس السنة[6] . ولما فرغ الدمستق من عين زربه واجه قوات صاحب طرسوس الذي خرج في اربعةآلاف رجل فهزمهم نقفور وعادابن الزيات الى طرسوس وكان قد قطع الخطبة لسيف الدولة ، فلما اصابهم هذا الوهن اعاد اهل البلد الخطبة لسيف الدولة وراسلوه بذلك ولما علم ابن الزيات حقيقة الامر انتحر[7] . وقيل ان الروم بعد هذا ادركهم الصوم فعادوا[8] وخرج سيف الدولة الى عين

---

(1) الكيالي : سيف الدولة وعصر الحمدانيين ص95 .

(2) الذهبي : تاريخ الاسلام30-98 .

(3) الذهبي : دول الاسلام1-170 Comb. M.H. Vol. IV. P. 144

(4) ابن العماد : شذرات الذهب3-7 .

(5) العيني : عقد الجمان16 -142 .

(6) مسكويه : تجارب الامم2 -192 - المنتظم6-8 .

(7) مسكويه : تجارب الامم3-191 .

(8) العيني : عقد الجمان16-142

زربه واصلح ما خرب منها وظن ان الروم لن يعودوا ثانية اليها(1) . ولكن لم تمض مدة
طويلة حتى يعودوا كما سنرى ، لانهم ما عادوا الى بلدهم الا ليعدوا جيشا اعظم واقوى
فهم لم يكتفوا بما اعدوه في المرات السابقة وانما شحنوه هذه المرة بثلاثين الف صانع
للهدم وتطريق الثلج ، واربعة آلاف بغل عليها حسك الحديد يطرحه حول عسكره
بالليل - اي ما يشبه الاسلاك الشائكة في عصرنا الحاضر- عدا الدبابات والنار
الاغريقية(2) ، وما معنى هذا الحشد الكبير الا ان سيف الدولة بلغ من العظمة في
نظرهم وكأنه اصبح ينافس بيزنطية اكبر امبراطوريات ذلك العصر .

وسيظهر لنا في المعركة القادمة ان همة رجال سيف الدولة قد فترت من كثرة
الحروب والغزوات او انهم علموا بحشود الروم الضخمة لدرجة ان الامير عندما اراد
ان يجمع قواته نادى في البلد « من لحق بالامير فله دينار » وهذا وهن وضعف والا لما
اضطر الامير ان يغري جنوده بمثل هذا الشكل . والمهم ان سيف الدولة فوجىء بالروم
ينزلون على أبواب عاصمته ، ولما كانت جنده القليلة لا تكفي للقاء البيزنطيين
فقد سيّر نجا غلامه في ثلاثة الاف للقاء الروم ولكن الروم رغم هذا فقد اطبقوا على
العاصمة واخذوا ينقبون الاسوار فدافع اهل حلب عنها دفاع الابطال ولكن سيف
الدولة هزم اخيرا الى بالس(3) وكان لانسحاب سيف الدولة على هذه الصورة من المعركة
اثر كبير في اضعاف نفوس المدافعين عن البلد ، ولكن رغم هذا فان القتال المرير ما زال
مستمرا حتى وقعت ثلمة من السور ودافع عنها الاهالي ببسالة واعادوا بناءها ليلا(4) .
وهكذا يقف هذا العدد الهائل من القوات البيزنطية عاجزا امام الصمود العربي في
حلب . هذا الصمود اثار حماسة قيصر البيزنطيين مما اضطره الى مصارحة قواده عندما
قال لهم عن سيف الدولة « لا اريده قتيلا بل اريده اسيرا فايكم كانت له القدرة على
اسره منحته مقاطعة كاملة(5) » واخيرا وعندما عجزوا عن فتح المدينة لجأوا الى الحيلة كما

---

(1) الذهبي : تاريخ الاسلام20 -98 .

(2) العيني : عقد الجمان 16 / 144-145 .

(3) ابن كثير : البداية والنهاية ص239 ـ كانار عن الشمشاطي : اخبار الامير سيف الدولة ص 145.

(4) تجارب الامم 2 - 192

(5) الكيالي : سيف الدولة وعصر الحمدانيين ص112

تعودوا عليها وطلبوا من اهل البلد ان يخرجوا اليهم شيخين للتفاوض ، فلما خرجوا له لم تسفر مفاوضاتهم عن نتيجة وطلب وفد اهل حلب ان يستشيروا الاهالي في امر المفاوضات[1] . وعندما عادوا اليه في اليوم التالي استطاع بطرقه الملتوية وحيله ان يعرف منهم بان البلد ليس فيه من يدافع عنه ، ولكن رغم هذا فقد طلب منهم ان يحلفوا اليه على ذلك فحلفوا[2] ، ولكن هل تجرأ نقفور ان يدخل البلدرغم هذا ، انه لم يدخلهاولم يتجرأ على مهاجمة اسوارهـا الا بعـد ان وقعـت الفتنـة من قبـل الـذين لا يقـدرون المسؤوليات الوطنية والمواقف الحرجة وكانت فرصة اللصوص للنهب والسلب مما اضطر المدافعين عن الاسوار الى النزول عنها للدفاع عن بيوتهم[3] فصعدت الروم الى الاسوار وفتحوا الابواب واعملوا السلب والنهب والقتل لمدة ستة ايام[4] ، الا ان القلعة ظلت ممتنعة عليهم ، فحاول ابن الشمشقيق التقدم اليها بعد ان رفض نصيحة نقفور له بعدم التقدم الى القلعة ولكنه تقدم وكانت نهايته على ابوابها[5] فاغتاظ نقفور وامر بقتل كل الاسرى المسلمين الذين كانوا معه[6] ولم يكتفوا بهذا بل نهبوا المتاجر والخانات ونهبت دار سيف الدولة وخربت ثم انهم كانوا يصبون الماء على آبار الزيت حتى يتلف ما فيها وعادوا منها ـ اي من حلب ـ بعد ان تركوها اثرا بعد عين[7] .

ولم تنسحب القوات البيزنـطية عن حلـب رغـم هذا النصر الساحـق بمحض ارادتهم وانما كانوا يتوقعون ان يفاجئهم سيف الدولة بقواته ، كما ان الجيش البيزنطي لقي مقاومة عنيفة انهكته واتعبته كذلك فان الحالة في العالم الاسلامي اختلفت فاخذ المسلمون يدعون للجهاد المقدس كذلك فان الحالة في القسطنطينية كانـت تستدعـي وجود نقفور لانها كانت في فترة فوضى واضطراب كما يرى الدكتور العريني . وعلى كل فان الحملة حققت مكاسب لا بأس بها فقد استرد نقفور قيلقية واحتل معظـم دروب

---

(1) ابن العديم : زبدة الحلب 1-134 .

(2) نفس المصدر .

(3) مسكويه : تجارب الامم 2-192 .

(4) الذهبي : دول الاسلام 1-170 .

(5) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة 3-333 . مسكويه : تجارب الامم 2-193 .

(6) ابن كثير : البداية 11-240 .

(7) ابن الجوزي : المنتظم 7 / 8-9 . العيني عقد الجمان 16-143 .

الامانوس والحصون الواقعة بالاقليم الممتد بين نهر الفرات وبين جبل امانوس ، ويبدو ان نقفور كان في نيته العودة الى حلب لانه عندما غادرها لم يؤذ الاهالي في القرى التي حولها بل قال لهم « ان هذا البلد قد صار لنا ، فلا تقصروا في العمارة ، فانا بعد قليل نعود اليكم(1) » . وفي العام القادم وفي ظرف يشعر فيه سيف الدولة بمرارة الهزيمة تقدمت القوات البيزنطية سنة 352 هـ ونزلوا على ادنه بعد ان هزموا الطرسوسيين هزيمة منكرة(2) . وهرب اهل ادنه الى المصيصة فحاصرها الروم الا انهم فشلوا في فتحها امام المقاومة الباسلة التي ابداها الاهالي وكذلك نقص المؤن على الروم فاضطروا الى تركها(3) . وقال نقفور لاهلها « اني منصرف عنكم لا لعجز عن فتح مدينتكم ولكن لضيق العلوفة وانا عائد اليكم بعد هذا الوقت فمن اراد منكم الانتقال الى بلد آخر قبل رجوعي فليفعل ومن وجدته بعد عودتي قتلته »(4) وورد الى حلب في تلك الفترة محاربون من خراسان فسار معهم سيف الدولة الى المصيصة فوجد ان الروم قد غادروها الى بلادهم . وهنا تفرق الجند الخراساني فمنهم من ظل عند سيف الدولة ومنهم من عاد الى بلاده لشدة الغلاء(5) . وكان سيف الدولة قد حقق بعض الانتصارات الضعيفة التي لن تغير من الحقيقة التي اصبحت واقعة وهي تفوق الروم عليه(6) . ولم تكن الحال في داخل الشام بأقل هدوءا عن حدوده مع الروم فقد تقدم القرامطة ووصلوا الى طبرية في عام 353 هـ لاستخلاصها من يد الاخشيديين(7) وطلبوا من سيف الدولة ان يمدهم بالحديد فقلع سيف الدولة أبواب الرقة وهي من حديد وسد مكانها ، ثم اخذ حديدا من ديار مضر لدرجة انه اخذ سنجات الباعة والبقالين ثم كتبوا اليه انا قد استغنينا عن الحديد فاخذ القاضي ابو الحصين الأبواب وكسرها وعمل منها ابوابا لداره ثم كتب الهجريون يلتمسون الحديد فأخذوا الابواب التي عملها ابو حصين وسائر ما قدر عليه

---

(1) مسكويه ـ تجارب الامم 2 - 192 . الذهبي : تاريخ الاسلام 20-101 .

(2) ابن العديم : زبدة الحلب 1-141 .

(3) العيني : عقد الجمان 16 -170 Comb. M. H. Vol. IV. P. 145

(4) تجارب الامم 2-203 ـ ابن الجوزي : المنتظم 7-19

(5) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة 3-335 .

(6) الذهبي : تاريخ الاسلام 20 - 105 .

(7) العيني : عقد الجمان 16 - 174

من الحديد وحمله في الفرات الى هيث ثم منها اليهم في البرية[2] .

وفي الحقيقة ان اواخر ايام سيف الدولة كانت نكسات متتالية ولم تظهر هذه النكسات بصفة قاطعة الا فيما بين عامي 353-354 هـ فقد خرّب الروم حلب كما رأينا في عام 351 هـ وواصلوا حربهم وفتوحاتهم حتى نجد ان نقفور ملك الروم يبني مدينة قريبة من الحدود الاسلامية[2] . وذلك لكي يتخذ من هذه المدينة قاعدة الانطلاق له على البلاد الاسلامية لقربها منها[3] ، ولهذا بعث اليه اهل المصيصة وطرسوس رسولا يطلبون منه الأمان على ان يدفعوا له الاتاوة السنوية فاستجاب نقفور الى ما طلبوا[4] . ولما علم نقفور بما يقاسيه اهل تلك البلاد من الفقر والمرض الذي اجتاح بلادهم نقض وعده وقال للرسول « ليس لكم عندي الا السيف »[5] فارسل نقفور جيشا الى الشام وجيشا الى الثغور وآخر الى ميافارقين[6] وقام الملك بنفسه وحاصر المصيصه وفتحها عنوة بالسيف كما فتح كفر بيا ومرعش[7] . ثم سار الملك نفسه الى طرسوس وفتحها بالامان[8] واخرج اهلها حاملين ما استطاعوا من اموالهم وسلاحهم وعجز سيف الدولة عن نجدتهم[9] وحول ملك الروم المسجد اصطبلا[10] لخيله ، ثم اخذ الروم في تحصين مدينة طرسوس ثم جلب اليها الاقوات حتى رخصت فيها الحياة وعاد اليها اهلها ثم تنصر بعضهم[11] ، وكان الروم قد حصنوا المدينة ودعموها ليتخذوا منها حصنا وقاعدة هجومية لقربها من بلاد الاسلام[12] . وفي تلك الفترة وردت نجدة بحرية الى اهل

---

(1) مسكويه : تجارب 2-203 . ابن تغرى بردى . النجوم الزاهره 3-336 .

(2) تجارب 2-211 .

(3) الذهبي : دول الاسلام 1-172 .

(4) مسكويه : تجارب 2-210 .

(5) الذهبي : تاريخ الاسلام 30-109 .

(6) مسكويه : تجارب 2-210 .

(7) ابن العديم : زبدة الحلب 1- 141 - 142 .

(8) الذهبي : دول الاسلام 1-172 Comb. M. H. Vol. IV. P. 145

(9) تاريخ الاسلام 20-109

(10) مسكويه : تجارب الامم 2-211 .

(11) المصدر السابق .

(12) المصدر السابق .

طرسوس من مصر ومحملة بالمواد الغذائية ولكنها لم تصل اليهم[1] . وقيل ان نقفور لما دخل مدينة طرسوس صعد منبرها وقال لمن حوله « اين انا ؟ فقالوا له على منبر طرسوس فقال لهم لا ولكن على منبر بيت المقدس وهذه كانت تمنعكم من ذلك »[2] .

وهذه العبارة تدلنا دلالة واضحة على ما يرمي اليه نقفور وما يهدف اليه من فتح بيت المقدس . وقيل انه عندما دخل طرسوس نصب رمحين وجعل على احدهما مصحفا وعلى الاخر صليبا ثم قال لاهل طرسوس من اختار بلد الاسلام فليقف تحت المصحف ومن اختار بلد النصرانية فليقف تحت الصليب[3] ، وبعد كل هذه النكسات التي اصيب بها سيف الدولة فانه سار الى ارزن وارمينية وحاصر بدليس وخلاط حيث كان بها اخو نجا عاصياً فيها وامتلك النواحي هناك وعاد الى بافارقين[4] . ثم بعث سيف الدولة الى الروم يطلب منهم الهدنة وتبادل الاسرى ، وكان نقفور اذاك مشغولا بالاستيلاء على العرش بمعونة عشيقته تيوفانو وكان البيزنطيون حينئذ مشغولين في بحران سياسي واختلاف داخلي ، فكان هذا في مصلحة سيف الدولة اذ استجاب الروم لما طلبه[5] ، وجرى تبادل الاسرى في عام355 فاطلق سراح ابو فراس ومحمد بن ناصر الدولة وكثير من الأهالي وأوجه حلب وان من بقي من الأسرى فإن سيف الدولةقد دفع عوضا عن كل واحد منهم ثمانين دينارا[6] . وتقدمت القوات البيزنطية بعد ذلك الى الشام مرة اخرى وافسدوا في ربوعه وكان سيف الدولة في ذلك الوقت ضعيفا فطلب النجدة من اخيه ناصر الدولة[7] . وقال له ان نقفور قد عسكر بالدرب ومنع رسولنا ابن المغربي ان يكتب بشيء ، فقال لا اجيب سيف الدولة الا من انطاكية وليذهب من الشام فانه لنا ويمضي الى بلده ويهادن عنه[8] ، فبعث ناصر الدولة لاخيه سيف الدولة « ان احب سيرة

---

(1) ابن العديم : زبدة الحلب1 -142 ـ حاشية تجارب الامم2 -212 .

(2) ابن العديم : زبدة الحلب1-142 .

(3) ابن العديم : زبدة الحلب1 -143 .

(4) مسكويه : حاشية تجارب الامم2 -212 .

(5) زكي المحاسني : شعر الحرب ص290 .

(6) مسكويه : تجارب الامم2 -220 .

(7) الذهبي : تاريخ الاسلام20 -113 .

(8) مسكويه : تجارب الامم2 -221 .

اليه سار وان احب حفظ له ديار بكر وسار اليها وبث سراياه »[1] . ثم ان سيف الدولة تحصن واصعد الناس الى القلعة في حلب وشحنها وسار الروم الى منبج ولم يؤذ اهلها ثم بذل سيف الدولة للروم ما لا يعطيه لهم على ثلاث اقسام فرفض الروم ما بذله سيف الدولة لهم من الأموال ، وطلبوا منه ان يسلمهم نصف الشام ، وها هنا نرى ان سيف الدولة في هذه المرة هو الذي يطلب من الروم الهدنة وكان هو الذي رفضها مرارا وكثيرا ما كان يفرض عليهم ارادته ولكن هذه المرة حدث العكس وهذه ارادة القدر .

ولكن سيف الدولة رفض ما طلبه منه الروم الاوهو تسليمهم نصف الشام وقال « والله لا اعطيهم حجرا واحدا[2] » وجالت الروم باعمال حلب وتاخر سيف الدولة الى شيزر وحاول الروم ان يفتحوا انطاكية وحاصروها الا انهم عجزوا عن تحقيق هدفهم[3] . وبعث اهل انطاكية الى والي حلب فرعوية يعلمونه بالموقف بينهم وبين الروم ويطلعونه على مقاومة الاهالي لهم[4] وعاد ملك الروم ولم يكن قد حقق هدفه ولم تسقط انطاكيه في يده[5] .

---

(1) الذهبي : تاريخ الاسلام20 -113 .

(2) الذهبي : تاريخ الاسلام20 -113 .

(3) Comb. M. H. Vol. IV. P 145

(4) تاريخ الاسلام20-117 .

(5) مسكويه : تجارب الامم2 -221 .

حروب سيف الدولة الداخلية

ان سلامة الجبهة الداخلية قاعدة قوية ترتكز عليها الجبهة الخارجية لذلك لم يكد سيف الدولة يوقع اتفاقية الصلح مع الاخشيديين في سنة 336 حتى بدأت الاخطار تظهر له من الخارج وفي الداخل ، اما الخطر الخارجي فتمثل في علاقته مع البيزنطيين مما اشرنا اليه آنفا ، اما الآن فسيقتصر حديثنا على الاحداث الداخلية .

ففي سنة 336 هـ ظفر الامير سيف الدولة بالقرمطي الذي لقب نفسه بالهادي واستنقذ ابا وائل تغلب بن داود بن حمدان وكان يتولى حمص من قبل ابن عمه الامير سيف الدولة[1] ، وكان ابن عمه قد خرج في طلب اعراب عاثوا في عمله واعتصموا في قرية يقال لها الحدث واتفق خروج هذا القرمطي صاحب الحال ومعه قبائل طيء وكلب ، فلقي ابا وائل واسره[2] ، وما ان علم سيف الدولة بابن عمه حتى خرج من حلب ونزل معرة النعمان ومنها سار الى حماه ثم الى حمص حتى لحق القرمطي على بعد خمسين ميلا من حمص فقتل القرمطي واخذت رأسه ، وانقذ ابا وائل بعد ان كان قد بذل في نفسه مالا وخيلا[3] ، وعاد سيف الدولة بعد ان هدم الحدث واغرم اهلها خمسة الاف دينار[4] ، ولقد ذكر المتنبي هذه الواقعة بقوله :

ولو كنت في اسر غير الهوى ضمنت ضمان ابا وائل
فدى نفسه بضمان النفار واعطى صدور القنا الذابل
ومناهم الخيل مجنوبه فجئن بكل فتى باسل[5]

ولم يكد سيف الدولة ينتهي من وقعته في الداخل حتى اعد نفسه لوقعة اخرى على الحدود وهكذا .

---

(1) العيني - عقد الجمان 16 -63 .

(2) محمد كرد علي : خطط الشام 1 -220 .

(3) محمد كرد علي - خطط الشام 1-221 .

(4) ابن ظافر - الدول المنقطعة ص 8 .

(5) العكبري - ديوان المتنبي 3 -23 .

احدثت بنو كلاب الفساد والفوضى في منطقة بالس فسار اليهم سيف الدولة واوقع بهم وهزمهم[1] . ولكن سيف الدولة رغم خروجهم عليه وافسادهم في بلاده لم يسىء اليهم او الى حريمهم عندما وقعن اسرى في يده بل بالعكس فقد اكرمهن واعادهن الى أهليهم[2] فذكر المتنبي له هذا الموقف :

وكيف يتم بأسك في اناس تصيبهم فيؤلمك المصاب
ترفق ايها المولى عليهم فان الرفق بالجاني عتاب
وانهم عبيدك حيث كانوا اذا تدعوا لحادثة اجابوا
وانت حياتهم غضبت عليهم وهجر حياتهم لهم عقاب[3]

وفي العام التالي تجمعت قبائل عامر بن صعصعه عقيل ، وقشير والعجلان واولاد كعب بن ربيعة بن عامر بمروج سلمية وكلاب بن ربيعة بن عامر وتذاكروا ما يلحقهم من ظلم وطغيان من سيف الدولة فاجتمعت كلمتهم على الايقاع به ، ثم ان سيف الدولة علم بامرهم ، ولكنه شغل عنهم بوفد أتى عليه من عند الروم مع الطرسوسيين يطلبون الهدنة وكانت فرصة لهذه القبائل فعاثت في اطراف المملكة وقتلوا والى قنسرين الصباح بن عماره فغضب عليهم[4] سيف الدولة وتقدم الى قنسرين ومنها سار في اثرهم ، حتى تلقته مشيخة بني كلاب وطلبوا منه الصفح عنهم فعفا ، وظل يطارد بقيتهم من الغوير الى تدمر ومنها سار الى السماوة وهزمهم هزائم متتالية ثم عاد الى حلب دون ان يمس حريمهم بسوء فقال ابو فراس[5] .

لنا الجبل المطل على نزار حللنا النجد منه والهضابا
وقد علمت ربيعه بل نزار بانا الرأس والناس الذنابا
فلما ان طغت سفهاء كعب فتحنا بيننا للحرب بابا

(1) العيني ـ عقد الجمان 16-99 محمد كرد علي خطط الشام 1-220 .

(2) كانار ـ اخبار الامير سيف الدولة ص 224 .

(3) العكبري ـ ديوان المتنبي 1-79 .

(4) سامي الدهان ـ ديوان ابو فراس 2-11 .

(5) ديوان ابو فراس 2-13 .

وهكذا نلاحظ ان الخلق الطيب يرافق سيف الدولة اينما ذهب فهو يسمح عن الاعراب رغم خروجهم عليه ، ولعله اراد من ناحية ثانية الا يوسع هوة الخلاف بينه وبين تلك القبائل العربية لانها كانت تكون عنصرا هاما وخطيرا في مملكته ، هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فانه اراد ان يتفرغ لخطر الروم لانه كان اشد من خطر هذه القبائل . وفي سنة352 كان هبة الله بن ناصر الدولة متوليا لحران وغيرها من ديار مضر من قبل عمه سيف الدولة(1) وظلم نوابه العامة فثاروا عليهم وطردوهم ، وكان هو في ذلك الوقت عند عمه في حلب فذهب اليهم ، ولكنه لم يستطع دخول المدينة لامتناع اهلها عنه ، فاضطر هبة الله ان يستنجد بعمه سيف الدولة ، فقدم عمه بقواته فاستأمن له الاهالي ودخل سيف الدولة البلد(2) ، وفي نفس السنة كان سيف الدولة في غزوة لبلاد الروم ، وفي اثناء عودته لحقته غشية وظن الناس انه مات(3) ، فأستغل هبة الله الفرصة ونزل على حران ، واوهم اهلها بأن عمه سيف الدولة قد مات واعلن عصيانه في حران وطلب من اهلها ان يقفوا معه ضد اعدائه فحلفوا على الاخلاص له ضد كل من يعاديه الا انهم استثنوا عمه من القسم(4) وعندما افاق سيف الدولة من غشيته اخبروه عن امر هبة الله فغضب اشد الغضب وارسل في اثره غلامه نجا الى حران وما ان وصل نجا الى حران حتى فارقها هبة الله الى والده ناصر الدولة بالموصل(5) ، ونزل نجا على حران ، وبدل ان ينقذهم ويخفف عنهم ما ارتكبه هبة الله في حقهم طالبهم بالأموال الباهظة وصادرهم على مليون درهم فأغرته هذه الأموال بان يعلن العصيان على سيده(6) ، ولم يكتف بحران بل سار الى ميافارقين وقصد بلاد أرمينيه وكان عليها رجلا يقال له أبو الورد فقتل هذا الرجل وسار نجا واستولى على خلاط وملا ذكرد(7) ، ومن المعروف ان العلاقة في هذه الفترة كانت سيئة بين الحمدانيين والبويهيين

---

(1) ابن الاثير8-0

(2) ابن خلدون : العبر4-239 .

(3) ن . م نفس المصدر .

(4) مسكويه ـ تجارب الامم2-197 ـ كانار اخبار الامير سيف الدولة ص247 .

(5) كانار ـ اخبار الامير سيف الدولة ص247 .

(6) ابن كثير ـ البداية والنهاية11 -253 .

(7) ابن خلدون العبر4-240 .

في بغداد ، فكاتب نجا معز الدول ان يكون حلفا معه على سيده الا ان سيف الدولة سار واستولى على كل املاكه ، ثم استأمن اليه نجا[1] في النهاية . ولكنه قتل على يد احد غلمانه[2] ، فحزن عليه سيف الدولة حزناً شديداً لدرجة انه قتل قاتله[3] .

وما ان تخلص سيف الدولة من نجا حتى ثار مروان القرمطي وكان هذا من الذين استأمنوا الى سيف الدولة ، وكان يتقلد السواحل لسيف الدولة . فلما تمكن ثار بحمص وملكها ، وملك غيرها فخرج اليه غلام بعث به قرعويه اسمه بدر ، واشتبك بدر مع مروان في معركة كانت النتيجة ان بدرا ضرب مروان نشابا مسموما ووقع بدر في اسر مروان فقتله ومات مروان فيما بعد على اثر ضربة بدر وبعدها عاد قرعويه الى حلب[4] ، ورغم كل ما يحدث في المملكة فان سيف الدولة تصاهر مع اخيه ناصر الدولة وضرب لهذه المناسبة دنانير في كل دينار ثلاثون ديناراً ، وعشرون وعشرة وعليها مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله - امير المؤمنين علي بن ابي طالب ، فاطمة الزهراء - الحسن الحسين ، جبريل عليه السلام ، وعلى الجانب الاخر امير المؤمنين المطيع لله الاميران الفاضلان ناصر الدولة وسيف الدولة الامير ابو تغلب وابو المكارم[5] .

ومن هذا يتضح لنا دليل جديد على ان الحمدانيين كانوا يتشيعون لعلي واذا قلنا ان التاريخ يعيد نفسه فلا حرج علينا وذلك لاننا رأينا انه عندما ضعفت الدولة العباسية بدأ امراء الاطراف يستقلون بولاياتهم وواجهت كثيرا من الاضطرابات الداخلية وكان من بين تلك الدول التي استقلت كانت الدولة الحمدانية التي ما لبثت ان ضعفت هي الاخرى حتى بدأت تعاني ما عانته الخلافة ابان ضعفها فقد ثار عليها العمال والولاة ، فقد ثارت حران وثار هبة الله ثم نجا فمروان وسنرى انطاكية فيما بعد تعلن عصيانها ، وسنرى ان قرعويه يعلن عصيانه على سيده فيما بعد .

بعد ان سقطت طرسوس في يد الروم فر احد قادة جيشها الى انطاكية مع من معه

---

(1) قيل عن ابن كثير ان سيف الدولة اسره وامر بقتله .

(2) كانار - عن ابن الاثير - اخبار الامير سيف الدولة ص251 .

(3) ابن ظافر - الدول المنقطعة ص18 .

(4) ابن الاثير الكامل 8-186 - ابن العديم زبده الحلب 1-146 - العيني عقد الجمان 16-176 .

(5) كانار عن ابن ظافر - اخبار الامير سيف الدولة ص263 .

من القوات وكان هذا هو رشيق النسيمي(1) ، وكان على انطاكية في ذلك الوقت رجل يقال له الحسن الاهوازي وكان يضمن المستغلات لسيف الدولة(2) فاجتمع الاهوازي بالنسيمي فأغراه باعلان عصيانه في انطاكية وساعده كذلك بالأموال وقال له ان سيف الدولة ضعيف وانه لن يعود لانه مشغول في ميافارقين(3) فوافق النسيمي ، ولكي يمكن لنفسه في انطاكية اتصل بملك الروم واتفق معه على ان يدفع رشيق النسيمي لملك الروم سنويا مبلغ 600 الف درهم(4). ودخل رشيق انطاكيه بعد ان وثب اهلها بعمال سيف الدولة وطردوهم منها ثم استقر النسيمي في انطاكية وزيف خطابا على لسان الخليفة بانه سمح له بتولية املاك سيف الدولة وجميع اعماله(5) ، ولكن النسيمي لم يكتف بانطاكيه وانما حدثته نفسه بالتقدم الى حلب والاستيلاء عليها ، وقد اعد قرعويه نائب حلب نفسه للقاء النسيمي وبعد معارك طاحنة بين الطرفين هزم قرعويه(6). ولكن القلعة امتنعت ولم تسقط في يد النسيمي(7) اما عن امر سيف الدولة فانه قد انفذ جيشا الى حلب بقيادة غلامه بشارة فهزم رشيق وقتل وخلفه دزبر الديلمي على قيادة الجيش في انطاكية والذي لم يتمكن قرعويه من هزيمتهم(8) ، واستدعى الامر حضور سيف الدولة شخصيا على رأس قواته الى حلب فلم يمكث بها طويلا لانه اراد متابعة العصاة والقضاء عليهم فقد سار الى انطاكية وتمكن من انزال الهزيمة الساحقة بالاهوازي ودزبر الديلمي فقتل دزبر وحبس الاهوازي(9) .

---

(1) ابو الفدا المختصر 2 -105 .

(2) ابن العديم - زبدة الحلب 1-148 .

(3) العيني - عقد الجمان 16-176 .

(4) ابن العديم - زبدة الحلب 1-148 .

(5) نفس المصدر

(6) محمد عزت دروزه : عرب وعروبة ، ص 57 .

(7) العيني : عقد الجمان 16-176

(8) نفس المصدر .

(9) ابن خلدون : العبر: 4 -241 .

موت سيف الدولة :

توفي سيف الدولة بن حمدان في356 بعد ان غزا الروم ما يقرب من اربعين غزوة له وعليه .فحفظ بغزواته بيضة العرب والاسلام ولولاه بعد ضعف الدولة العباسية لتقدم الروم في بلاد الشام وربما استضعفوها كلها(1) ...... ويقول شلو مبرجيه عن سيف الدولة « وظل اسم هذا المغوار العربي مشهورا في حروب الشرق في القرون الوسطى وكان اسمه ابدا موصوفا بانه اقوى خصم واشرس بطل على الجيوش البيزنطية »(2) وكان سيف الدولة قد جمع من نفض الغبار الذي يجتمع عليه في غزواته شيئا وعمله لبنة بقدر الكف واوصى ان توضع تحت خده في مماته فنفذت وصيته في ذلك(3) وكان سيف الدولة معجبا برأيه محبا للفخر والبذخ مفرطا في السخاء والكرم شديد الاحتمال لمناظريه سعيدا مظفرا في حروبه جائرا على رعيته ، اشتد بكاء الناس منه وعليه(4) . ولقد كان سيف الدولة يجيز الشعراء الأموال الكثيرة الضخمة ، ولما تربع على عرش الملك في حلب ، استكثر من القصور له ولآله وقواده وجعلها كحاضرة بني العباس كعبة للعلم والادب(5) فوافاه الشعراء والعلماء والادباء من كل البلاد ، ولقد كان ينفق الكثير على علماء بغداد ومهاداة وزرائها واصحاب النفوذ فيها فكان حماته في دار الخلافة كثيرين : استمال بهم الرأي العام البغدادي ورضي عنه الخلفاء ولم يخالفوه لانه ابقى لهم الخطبة وان ضرب السكة باسمه ، ولقد استحل سيف الدولة بهذه الأبهة الفخمة في مملكته الصغيرة مصادرة رعيته فكان قاضيه ابو الحصين يقول : « كل من هلك فلسيف الدولة ما ترك » ولهذا كثرت مصادرة المياسير من التجار واغنياء البلد(6) وذكر ان ابا الحصين قاضي حلب قتل في سنة 349 فداسه سيف الدولة بحصانه وقال « لا رضي الله عنك فانك

---

(1) محمد كرد علي ـ خطط الشام1-222

(2) د . زكي المحاسني ـ شعر الحرب ص244

(3) محمد كرد علي ـ خطط1-222 .

(4) ابن ظافر ـ الدول المنقطعة ص21 .

(5) اندريه دايفتس ـ سيف الدولة الحمداني ص45 .

(6) محمد كرد علي ـ خطط الشام1-222 .

كنت تفتح لي ابواب الظلم[1] ، على ان هذا الامر لا ينجي سيف الدولة فقد كان في امكانه ان يعزل ابو الحصين ويأتي بغيره ، ولقد بلغ سيف الدولة من الظلم لدرجة ان بني حبيب وهم ابناء عمومته كانوا ينزلون نصيبين ، ويقول بن حوقل « فأكب عليهم بنو حمدان بصنوف الجور حتى خرجوا بذراريهم في اثني عشر الف فارس الى الروم وتنصروا بأجمعهم ثم عادوا الى بلاد الاسلام على بصيرة بطرقه وعلم باسباب فساده وقلوبهم تضطرم حقدا . . . واخذوا يخربون القرى في الجزيرة والشام واطمعوا صاحب الروم في انطاكية وحلب[2] » ولسيف الدولة رغم هذا صفات كريمة فقد كان شجاعا مقداما ، وكان ابو فراس قد عمل حفلة خاصة دعا اليها ابن عمه سيف الدولة فردا عليه سيف الدولة قائلا « انا مشغول بقرع الحوافر عن المزاهر[3] » . وقد اتصف سيف الدولة بالحلم والمساحة ، فهو عندما اوقع بجند الاخشيد عفا عنهم وكذلك فعل مع ابناء القبائل العربية التي اعلنت عصيانها عليه ، كذلك رأيناه في عملية تبادل الاسرى فانه استبدل كل اسير بثمانين دينارا حتى نفذت بقية امواله ورهن بدنته الجوهر المعدومة النظير[4] ، وقيل انه كان يقف على مائدة سيف الدولة اربعة وعشرين طبيبا لينصحوا له بتناول ما ينفع مزاجه[5] ، وبالاضافة الى هذا فقد كان كريما وقيل انه كان جالسا يوما في مجلسه اذ دخل عليه احد الاعراب وكان رث الهيئة وقال :

أتسعلي وهذه حلب ... قد نفذ الزاد وانتهى الطلب
بهذه تفخر البلاد وبالا ... مير تزهى على الورى العرب

فامر له بمائتي دينار[6] ، وكان سيف الدولة اديبا شاعرا يقول شلوميرجيه « لا شيء يشبه ولوع سيف الدولة بالشعر الا تلك المساجلات التي كانت بين الشعراء في فرنسا الذين كانوا يسمون الترو بادو[7] وكانت للامير مكتبة تضم ما يقرب من عشرة

---

(1) العيني - عقد الجمان 16 -128 خطط1-222 .
(2) ابن حوقل - صورة الأرض ص 212 .
(3) زكي المحاسني - شعر الحرب ص 290 عن ديوان أبي فراس .
(4) الذهبي - تاريخ الاسلام 20-109 .
(5) الطباخ - اعلام النبلاء 1-279 .
(6) ابن خلكان - وفيات الاعيان 3-79
(7) د . زكي المحاسني - شعر الحرب ص 246

الاف كتاب[1] ولا يجب ان يغيب عن الذهن بان الحمدانيين كانوا يميلون الى التشيع بصفة عامة وان سيف الدولة عمر مشهدا قيل انه وجد فيه المحسن بن الحسين بن علي ابن ابي طالب ، وكتب عليه ـ « عمّر هذا المشهد ابتغاء لوجه الله تعالى وقربته اليه على اسم مولانا المحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب »[2] . وقيل ان سيف الدولة عندما مات غسل تسع مرات اولاها بالماء ثم بالزيت النيلوفر ثم بالصندل . . . . ثم بالعنبر ثم بالكافور ثم بماء الورد وغسل بعد ذلك ثلاث مرات بالماء المقطر ونشف بعد غسله بديبقى ثمنه خمسون دينارا . . . . ثم دهن بالزعفران والكافور وبلغ ثمن كفنه الف دينار ثم وضع في تابوته ورش عليه الكافور[3] وحمل تابوته الى ميافارقين حيث دفن هناك[4] . ويقول بروكلمان ولئن كان سيف الدولة يدين بما تم له من شهرة عريضة لنضاله الموفق ضد الروم في المحل الأول ، فليس من شك في انه مدين بذلك في المحل الثاني لعطفه على الفنون والعلوم ورعايته لها[5] .

---

(1) الثعالبي ـ يتيمة الدهر 11 الطباخ ـ أعلام النبلاء 1-279 .

(2) الطباخ ـ اعلام النبلاء 1-279 .

(3) آدم عنتر عن بن شداد ـ تاريخ الحضارة العربية 2-194 .

(4) كانار عن يحي محمد سعيد ـ اخبار الامير سيف الدولة ص 273 .

(5) كارل بروكلمان تاريخ الشعوب الأسلامية 2-91 .

الشام بعد موت سيف الدولة :

رأيت دراسة الظروف التي سادت بلاد الشام في تلك الفترة بايجاز وذلك لانه سيكون لتلك الظروف تأثير مباشر على وضع الدولة الحمدانية وعلاقتها بجيرانها من العرب والروم خصوصا بعد موت سيف الدولة الذي كان خسارة فادحة المت بالعرب والمسلمين كافة ، لأنه كان قائدا محنكا شجاعاً قضى زهرة شبابه في الذود عن الحدود العربية متخذا من صهوة حصانه مرقدا له في ليله ونهاره واستطاع بفضل شجاعته وحنكته العسكرية ان يكبح جماح اعدائه في الداخل كما عمل باعدائه في الخارج ، ولم يكن ابناء سيف الدولة على مستوى والدهم من الشجاعة والجرأة والتدبير(1) ، فضعفت الدولة الحمدانية في عهدهم وثار عليهم العمال وطمع فيهم الجيران خصوصا الدولة البيزنطية التي وجدت في موت سيف الدولة فرصة لاسترداد هيبتها واراضيها ، وكذلك الدولة الفاطمية الطامعة في نشر نفوذها ومذهبها في بلاد الشام ، ولقد حق قول الشاعر في سيف الدولة .

عاش فينا رجلا في أمة ثم ولى امة في رجل

ولقد عانت بلاد الشام في تلك الفترة من اضطراب الاحوال السياسية وافتقرت الى الاستقرار والهدوء،وذلك لظهور قوى عسكرية وسياسية متصارعة ، تمثلت في الاخشيديين والحمدانيين والقرامطة ثم القبائل العربية ، والفاطميين وكان لكل منها اطماع تتمنى لو تمكنت من تحقيقها على ارض الشام ، ولقد رأينا كيف ان الاخشيدين كانوا دائما يحاولون المحافظة على تبعية الشام لهم لكي يحافظوا على وحدة الإقليمين كما كانت عليه الحال في كل العصور ، واضطروا ان يدفعوا لابن رائق الأتاوة كما دفعوها لسيف الدولة ثم للقرامطة ولكن الأخشيديين سرعان ما صدموا صدمة قوية بظهور الحمدانيين كقوة لها خطورتها وتمكنت من اقتطاع اجزاء خطيرة وهامة في موقعها وكونوا فيها دولتهم التي بدأت هي الاخرى تنظر الى الشام كمنطقة نفوذ لها ، كذلك كان

---

(1) محمد كرد علي - خطط الشام 1-228 .

علاقات الدولة الحمدانية بعد وفاة سيف الدولة

توفي سيف الدولة بن حمدان ونقل تابوته الى ميافارقين ، ، وكان قد نقله بغا غلام سيف الدولة الذي كان اذاك نائبا في انطاكية فأبتزّ اموالها حتى شكاه الاهالي الى نرعويه نائب حلب فرأى هذا ان يبعده عن انطاكية فارسل معه تابوت سيده الى ميافارقين[1] . . . وكان ابو المعالي شريف بن سيف الدولة مقيما بها ، وفي اثناء سير بغا بتابوت سيده الى مثواه الاخير حدثته نفسه بالقبض على مولاه ابو المعالي ولكن المؤامرة ما لبثت ان كشفت وقتل بغا وعاد سعد الدولة الى حلب فتلقاه نائب والده قرعويه[2] ، ولم يكد سعد الدولة يتخلص من بغا حتى واجه مشكلة اكثر خطورة هي تمرد خاله ابو فراس اذ بعث سعد الدولة الى خاله بالحضور اليه وكان اذاك مقيما بحمص[3] وبدل ان يذهب الى حلب انحاز الى صدد[4] ، وتمركز فيها[5] ، وعندما رأى ابو المعالي رفض خاله الحضور الى عنده تشكك في امره وجمع الاعراب من بني كلاب ومعهم ظالم العقيلي وكان قد ولاه على خرشنه[6] وبعث هذا الجيش وكان بقيادة قرعويه[7] فخرج اليهم ابو فراس وناوشهم الا ان معظم اصحابه قد استأمن الى جيش سعد الدولة[8] وقيل ان ابا فراس اختلط مع الذين استأمنوا فعرفه قرعويه وامر احد غلمانه بقتله فقتله[9] ويقول ابن خلكان ان قرعويه قتل أبا فراس ولم يعلم به سعد الدولة ولما عرف بالحقيقة شق عليه[10] . ولكن الواقع ان ابا فراس لم يكن في قصده ان يتمرد أو يعلن العصيان ع

---

(1) الذهبي : المولف تاريخ الاسلام 20-119 .

(2) ابن العديم : زبدة الحلب 1-155 .

(3) ابن ظافر ـ الدول المنقطعة 32 -33

(4) ابو الفدا ـ المختصر في اخبار البشر 2-108

(5) ابن الاثير ـ الكامل 8-194 .

(6) قرية في طرف البرية عند حمص .

(7) ابن ظافر ـ الدول المنقطعة 33

(8) العيني ـ عقد الجمان 4 -221

(9) ابن العديم ـ زبدة الحلب 1-156 العيني ـ عقد الجمان 14 -224 .

(10) ابن خلكان ـ وفيات الاعيان 1-349 .

ابن اخته ولكنه كان يرى ان المدبر لشؤون الدولة والمستولي على كل صغيره وكبيره هو قرعويه الفارسي الاصل ، اذن تمرد ابو فراس اذا جاز لنا ان نسميه تمرداً كان احتجاجا على الوضع الذي اصبحت فيه دولة سعد الدولة وسيطرة العناصر الدخيله عليها بعكس ايام ابيه ، ولو كان سعد الدولة سياسيا بالمعنى المعروف لاعتمد على خاله الذي خاض المعركة تلو الاخرى في سبيل الحفاظ على كيان الدولة الحمدانية فتعرض للاسر والقتل في سبيلها فهو اذن لا يهون عليه ان يفرط ولو في قدم من اراضيها ولن يسمح لاي انسان ان يعتدي على كرامة تلك الدولة لانه كان يعتبر نفسه من بين افرادها البارزين . وكان على سعد الدولة ان يدرك مدى خطورة الاعتماد على الاجانب في ادارة شؤون الدولة واما كان له في الدولة العباسية عظه وعبرة واما كان له في المؤامرة التي احيكت ضد والده على ايديهم عظه وعبره ؟ ولن يصحو سعد الدولة من سكرته الا وهو طريد من حلب على يد ذلك الرجل الذي ترك له الحبل على الغارب في كل امر ونهي ، اذن كان امتناع ابي فراس في الذهاب الى ابن اخته يهدف الى مصلحة الدولة الحمدانية وتطهيرها من الاجانب والدخلاء ليكف عنها شرهم ومؤامراتهم ، ولكن قرعويه كان اشد مكرا من ابي فراس فاستطاع ان يوغر صدر ابن اخته عليه ولعله اوهمه بان خاله يطمع في ولاية او امارة فكانت نهاية ابو فراس كما رأينا ، وليس من المستبعد كما سنرى فيما بعد ان قرعويه كان يدبر امر الاستيلاء على عرش حلب منذ وفاة سيده سيف الدولة ولكنه كان يرى في ابي فراس العقبة الوحيدة التي تعترضه فتخلص منه بطريقته البارعة بعد ان رمى الابن بخاله ، فاصبح قرعويه رجل الموقف ولا احد ينازعه أو ينافسه ويقال أن منافسة حادة كانت بين قرعويه وأبي فراس على نجلاء الخالدية واستطاع أبو فراس ان يهزم خصمه قرعويه ويتزوج من نجلاء[1] ولعل لهذه القصة اثر في حقد قرعويه على ابي فراس بالاضافة الى ما ذكرنا من الاسباب . . . ولكن رغم ان الدولة الحمدانية في هذه الفترة كانت غارقة في اضطراباتها ومشاغلها الداخلية كما رأينا فان الروم عجزوا عن ان يستغلوا هذا الموقف لصالحهم وذلك لتشاغلهم في حرب البلغار[2] ولكنهم ما لبثوا ان فرغوا من حروبهم البلغارية حتى تقدموا نحو البلاد الاسلامية وحاصروا

---

(1) انظر رواية فارس بني حمدان لعلي الجارم .

Comb. M. H. Vol. IV. P. 145 (2)

انطاكية الا انهم عجزوا عن فتحها وقال نقفور ارحل واخرب الشام واعود اليكم من الساحل[1] . ورحل عنها ونزل على معرة مصريين وامن اهلها من القتل ثم نزل على معرة النعمان فاخرب جامعها[2] ، ثم سار منها الى حماه ودخلها وتركها وسار منها الى حمص وعرقه وجبله واللاذقية وطرسوس ، وخرب وضرب من القرى ما لا يحصى كثرته[3] . ثم عاد الى انطاكيه فارضاه اهلها بالمال[4] وكان نقفور قد جمع من السبي ما يزيد على المائة الف صبي وصبيه[5] ، وقيل ان نقفور لم يكن يسبي غير الصبيان والصبايا[6] . وفي هذه المرة من خروج نقفور الى بلاد الشام قام ببناء حصن بغواس[7] ، وافتتح ما لا يقل عن ثمانية عشر بلدا[8] ، وعين نقفور ميخائيل البرجي على حصن بفراس وامر اصحاب الاطراف المقاربة بطاعته وكان قصده من ذلك ان يجهز نفسه للقيام بحملة اخرى للاستيلاء على انطاكية[9] .

وفي هذه الظروف القاسية وارض المسلمين تستباح وشبابهم يسبى وقعت الوحشة ما بين سعد الدولة وقرعويه غلام والده ، وقد استطاع قرعويه ان يتقوى على سعد الدولة ويطرده من البلد[10] . فسار سعد الدولة بعدها الى حران وحاول دخولها الا انها امتنعت عليه[11] ، فوجد سعد الدولة نفسه مضطرا الى الاستعانة بابن عمه ابو تغلب ، نعرض عليه هذا ان يقيم في نصيبين ولكنه رفض[12] ، ولهذا فان سعد الدولة لم يجد مفرأ من الالتجاء الى والدته وكانت لا تزال تقيم في ميافارقين وتتحصن بها ، الا انها

---

(1) الذهبي - تاريخ الاسلام 20 - 123 - مسكويه تجارب الامم 2 - 204
(2) ابن العديم - زبدة الحلب 1 - 157 .
(3) ابن الشحنة - الدر المنتخب ص 207 .
(4) الذهبي - تاريخ الاسلام 30 - 123 - مسكويه - تجارب الامن 2 - 254 .
(5) العيني - عبد الجمان 14 - 230
(6) ابن العديم - زبدة الحلب 1 - 159 - ابن الشحنة - الدر المنتخب 207 .
(7) نفس المصدر .
(8) ابن كثير - البداية والنهاية 11 - 268 - عقد الجمان 14 - 231 .
(9) ابن العديم - زبدة 1 - 159 .
(10) ابن ظافر - الدول المنقطعة ص 33 ابن الاثير 8 - 197
(11) ابن خلدون العبر 4 - 244
(12) الذهبي - تاريخ الاسلام 20 - 123 .

منعت ابنها من الدخول الى المدينة ثلاثة ايام وذلك لانه بلغها ان غلمان سعد الدولة سيقبضون عليها ويكون مصيرها كمصير ناصر الدولة[1] ، وبعد ان مكنت لنفسها في المدينة والقت القبض على من تخافهم سمحت له بدخول المدينة ومعه عساكره فأكرمتهم واطلقت اليهم الارزاق[2] ، ومن المعروف ان سعد الدولة بعد ان اصبحت هذه حالته انفصل عنه كثير من عساكره والتحقوا بعساكر ابن عمه ابو تغلب فاكرمهم[3] ، وكان ابو تغلب قد سار الى ميافارقين ولكن والدة سعد الدولة امتنعت بها وكبسته ليلا واستولت على سواده[4] » ولكن تم الصلح بينهما وانسحب عنها ابو تغلب اما ابو المعالي فانه بعد ان استراح في ميافارقين اعد عدته من المال والرجال واستعد لحصار حلب وطرد قرعويه منها وفي تلك الفترة كان الروم قائمين على حصار انطاكية فاستولوا عليها[5] وأما ما يروى عن سبب فتحها فهو ان الروم عندما فتحوا حصن بوقا كان غالبية اهله من النصارى فاتفقوا مع الروم علي ان يخرجوا الى انطاكيه ، حتى اذا ما قدم الروم لفتح المدينة ساعدوهم في ذلك[6] ، وهذا ما حدث فعلا فانه عندما وصل الروم الى جهة انطاكية وحاصروها كان اهل بوقا قد اخذوا نصيبهم في حراسة جانب من سور المدينة ولما اتى الروم عليهم تخلوا عن ذلك الجانب فدخل منه الروم الى البلد[7] ووضعوا السيف في اهلها انتقاما منهم ولكي يزيدوا كيدهم حولوا جامع المدينة الى صيرة للخنازير[8] ، وما ان فرغت الروم من فتح انطاكية حتى توجهوا الى حلب مباشرة بعد ان حققوا هدفهم في فتح انطاكية[9] ، ولما علم ابو المعالي بتقدم الروم الى حلب تخلى عن حصاره عليها[10] ،

---

(1) ابن خلدون العبر4-244

(2) ابن الاثير الكامل197

(3) ابن العديم ـ زبده الحلب1-160 ـ تاريخ الاسلام20-123 .

(4) ابن الاثير الكامل8-198

(5) الذهبي ـ تاريخ الاسلام20-127 .

(6) العيني ـ عقد الجمان14-239 .

(7) الطباخ ـ النبلاء1-297 ـ ابن الجوزي117-10

(8) ابن العديم ـ زبدة الحلب1-163 ـ الدر المنتخب 209 .

(9) Comb. M. H. Vol. IV. P. 146 (يرى الدكتور جوزيف نسيم بان سقوط انطاكية في يد البيزنطيين له اهمية روحية كبرى اذ كانت الروم تدعى انها كانت مهدهم الروحي) العرب والروم ص351 .

(10) ابن الاثير الكامل8-199

ويقول في زبدة الحلب ان الطربازي قدم الى حلب منجدا لقرعويه وبكجور، وابو المعالي محاصرا لهم فانحاز الى خناصره ثم الى معرة النعمان فطمع الروم في حلب فنازلوها وهاجموا المدينة فتحصن الاهالي بالقلعة(1) . ثم وقع قرعوية مع الروم اتفـاقية صلـح مهينة اصبحت حلب بمقتضاها خاضعة للسيادة البيزنطية كما اصبح قرعويه نائبا لهم بها ونصت الاتفاقية على :

1 ـ ان يحمل قرعويه الى ملك الروم في كل سنة عن كل صغير وكبير من سكان المواقع التي وقعت عليها الهدنة16 درهما اسلاميا .

2 ـ وان يحمل قرعويه كل سنة عن البلاد التي وقعت الهدنة700 الف درهم وهذه البلاد هي حمص وجوسيه وسلميه وحماه وشيزر وافاميه ومعرة النعمان وحلب وجبل السماق ومعرة مصرين وقنسرين والاثارب وكفر طاب ، وهذه اهم البلدان التي دخلت في الاتفاقية .

3 ـ ونصت على ان يكون الامير على المسلمين قرعويه ثم بكجـور وبعده ينصب ملك الروم اميرا يختاره من سكان حلب وليس للمسلمين ان ينصبوا احدا من قبلهم .

4 ـ ان لا يؤخذ من نصراني جزيه في هذه الناحية الا اذا كان له بها سكن اوضيعه .

5 ـ وان ورد عسكر اسلامي يريد غزو الروم منعه قرعويه وقال له « امض من غير بلادنا ولا تدخل بلد الهدنة » فانه ان لم يسمع ذلك قاتله امير الجيش ومنعه ، وان عجز عن دفعه كاتب ملك الروم والطربازي ان ينفذ اليه من يدفعه .

6 ـ اذا وقف المسلمون على حال عسكر كبير كتبوا الى ملك الروم والى رئيس العسكر واعلموهما به لينظروا في الامر .

7 ـ وان عزم الملك او رئيس العسكر على الغزاة الى بلد الاسلام تلقاه بكجور الى المكان الذي يؤمر بتلقيه اليه ، وان يشيعه في اعمال الهدنة ولا يهرب من في الضياع ليبتاع

---

(1) ابن العديم ـ زبده الحلب 1 -163 .

العسكر الرومي ما يحتاجون اليه سوى التبن فانه يؤخذ منهم على رسم العساكر
بغير شيء .

8 ـ ويتقدم الامير بخدمة العساكر الرومية الى الحد فاذا خرجت عن الحد عاد الامير الى
عمله .

9 ـ وان غزا الروم غير ملة الاسلام سار اليه الامير بعسكره وغزا معه كما يؤمر .

10 ـ اي مسلم دخل في دين النصرانية فلا سبيل للمسلمين عليه ومن دخل من النصارى
في ملة الاسلام فلا سبيل للروم عليه .

11 ـ ومتى هرب عبد مسلم او نصراني ذكرا او انثى من غير الاعمال المذكورة لا يستره
المسلمون ويظهرونه ويعطى صاحبه ثمنه عن الرجل ستة وثلاثين دينارا وعن المرأة
عشرين دينارا روميه وعن الصبي والصبية خمسة عشر دينارا .

12 ـ وان كان الهارب معمدا فليس للمسلمين ان يمسكوه بل يأخذ الامير حقه من
مولاه ويسلم اليه .

13 ـ وان سرق سارق من بلاد الروم واختفى هاربا انفذه الامير الى رئيس العسكر
الرومي ليؤدبه .

14 ـ اذا دخل رومي في بلد فلا يمنع من حاجته .

15 ـ وان دخل جاسوس من بلاد الاسلام الى بلد الروم اخذ وحبس .

16 ـ لا يخرب المسلمون حصنا ولا يحدثون حصنا فان خربوا شيئا اعادوه الى وضعه
الأول .

17 ـ ولا يقبل المسلمون اميرا مسلما ولا يكاتبوا احدا غير الحاجب بكجور فان توفي لم
يكن لهم ان يقبلوا اميرا من بلاد المسلمين ولا يلتمسوا من المسلمين معونة بل
ينصب لهم الامبراطور من يختاره من بلاد الهدنة .

18 ـ وللروم ان يعمروا الكنائس الخربة في هذه الأعمال ويسافر البطارقة والاساقفه اليها
ويكرمهم المسلمون .

19 ـ وان العشر الذي يؤخذ من بلد الروم يجلس عشار الملك مع عشار قرعويه وبكجور فمهما كان من التجارة من الذهب والفضة والديباج والقرغيز والاحجار والجوهر واللؤلؤ والسندس عشره عشار الملك والثياب والكتان والبهائم وغير ذلك من تجارات يعشره عشار الحاجب وبكجور بعده وبعدهما يعشر ذلك كله عشار الملك .

20 ـ ومتى جاءت قافلة من الروم تقصد حلب ويكتب الزروار المقيم في الطرف الى الامير ويخبره بذلك لينفذ من يتسلمها ويوصلها الى حلب وان قطع الطريق عليها بعد ذلك فعلى الامير ان يعطيهم ما ذهب ، وكذلك ان قطع على القافلة اعراب او مسلمون في بلد الامير فعلى الامير غرامة ذلك .

ووقع على المعاهدة مع قرعويه وبكجور بعض من شيوخ حلب واعتبرت انها معاهدة حماية وبعثوا بالرهائن لضمان تنفيذ المعاهدة التي هدفت الى ضم حلب تدريجيا وعدم عودتها للحمدانيين حيث منع اهلها من قبوله حاكم مسلم(1) واعتقد ان هذه الشروط التي وقعت غنيه عن التعليق ويمكننا ان نؤكد بعد هذا ان حلب اصبحت ولاية بيزنطية قلبا وقالبا وان الروم اصبحوا في مركز يسمح لهم باملاء ما يرونه من شروط على جيرانهم المسلمين الضعفاء في الامارة الحمدانية التي دوختهم في الايام القليلة الماضية ، وان والي حلب في تلك الفترة الزمنية كان لا حول له ولا طول وكل شيء يراه يجب ان يرجع الى الروم فيه ، وهذا دلالة واضحة على ان الدخلاء لا يهمهم من امر البلاد الا ما يحققونه من مكاسب مادية ومعنوية . والمهم ان الروم بعد أن حققوا ما ارادوه عادوا عن حلب(2) وظل قرعويه نائبا لهم بها وكان سعد الدولة مقيم بمعرة النعمان وكان معه غلامه رقطاش يدير له امور امارته(3) ، وكان رقطاش هذا قد نزل اليه من حصن برزويه وحمل الى سيده غلة عظيمة وطعاما وعلوفه ووسع على عسكره بعد الضائقة(4) ولقد رفض

---

(1) ابن العديم ـ زبده الحلب 1-164 ـ ابن الجوزي مراة الزمان 11-10 ـ العيني عقد الجمان 14-240 ـ ابن الاثير الكامل 8-199 .

(2) ابن الاثير الكامل 8-199 .

(3) ابن ظافر ـ الدول المنقطعة ص 35 ـ

(4) ابن العديم ـ زبده الحلب 1-169

ظهور الفاطميين وبداية علاقتهم بالحمدانيين :

في فترة التخلخل الحمداني ظهر على مسرح الاحداث السياسية والعسكرية في الشام قوة جديدة تمثلت في الفاطميين ، القادمين من المغرب والذين دخلوا مصر في سنة 358 هـ[1] وما ان استقر القائد جوهر في مصر حتى استدعته الضرورة الاستراتيجية والعسكرية ان يتقدم الى الشام ويفتحه وذلك لعدة عوامل هامة نذكر منها ، ان الشام في هذه الفترة كان يمزقه الاضطراب والفوضى بين المتغلبين وذوي الأطماع ، فاغرت حالته هذه الدولة الفاطمية الى التقدم نحوه واحتلاله خصوصا وان الشام من املاك الاخشيديين ، وبما ان الفاطميين احتلوا مصر مركز الاخشيديين فكان عليهم بالتالي ان يرثوا ما يتبع للأخشيديين من املاك سواء في مصر او خارجها وبالاضافة الى ذلك فان الوحدة المصرية الشامية قد عرفت على مر العصور،وحاولت الدولة الفاطمية المحافظة على هذه الوحدة ، ومن المحتمل كذلك ان الفاطميين فكروا في اتخاذ الشام قاعدة لانطلاقهم ضد البيزنطيين الذين اخذوا يفسدون ويحرقون في قراه،وليس من يدافع عنه. فطمع البيزنطيون في احتلاله ، ولقد تأكدت نية الفاطميين في قتال الروم في الرسالة التي كان قد بعث بها جوهر قائد الخليفة الفاطمي الى اهالي مصر عند دخوله اليها ، فقد امنهم في احوالهم وعيالهم وأرواحهم. هذا بالاضافة الى وعدهم بدفع العدو عنهم ومحتواه ما يلي : « بسم الله الرحمن الرحيم . . . « هذا كتاب من جوهر الكاتب عبد امير المؤمنين المعز لدين الله . . . ولجماعة اهل مصر الساكنين بها من اهلها ومن غيرهم . . . وهو انه ـ المعز لدين الله ـ صلوات الله عليه لم يكن اخراجه العساكر المنصورة والجيوش المظفرة الا لما فيه أعزازكم وحمايتكم والجهاد اذ لقد تخطفتكم الايدي واستطال عليكم المستذل واطمعته نفسه بالاقدار على بلدكم في هذه السنة والتغلب عليه واسر من فيه والاحتواء على نعمكم واموالكم حسب ما فعله في غيركم من اهل بلدان الشرق وتأكد عزمه ، واشتد كلبه فعاجله مولانا وسيدنا امير المؤمنين . . . باخراج العساكر المنصورة،وبادره بانقاذ العساكر المظفرة دونكم ومجاهدته عنكم وعن كافة

---

(1) الذهبي ـ دول الاسلام 2: 173 ـ نعيمي عقد الجمان 14-232 .

ولكم عليَّ امان الله . . . المسلمين ببلدان المشرق الذين عمهم الخزي وشملتهم المذلة . . . ولكم عليَّ امان الله التام العـام . . . . في انفسـكم واموالـكم واهـاليكم ونعمـكم وضياعـكم وقليلـكم وكثيركم ، على ان لا يعترض عليه معترض ، ولا يتجن عليكم متجن[1] » ويتضح لنا من صيغة هذا الخطاب أبعاد السياسة الفاطمية ومراميها فمن المعروف أنّ الاخطـار التي تحيط بالمسلمين في ذلك الوقت هي خطر البيزنطيين ثم خطر القرامطة وما دام الفاطميون يرمون الى تأمين المسلمين من هذه الأخطار فكيف يتسنى لهم ذلك والشام ليس في يدهم؟ اذن لا بد من احتلال الشام حتى يكونوا على قرب من كلا الطرفين.

وقد اعتمد الفاطميون في تنفيذ سياستهم هذه على جيوشهم الضخمة ومواردهم المتوافرة واسطولهم القوي القادر على التحكم في البلاد الافريقية والشامية المشرفة على البحر وبالاضافة الى ذلك فقد أراد الفاطميون القضاء على القرامطة الذين بدأوا ينافسون سادتهم الفاطميين ، كما ان الفاطميين رغبوا في تأمين طرق الحجاج للمصريين خاصة وللمسلمين عامة[2] اذن كانت الشام في ذهن الفاطميين بمجرد خروجهم من المغرب الى مصر خصوصا وانهم وقفوا على حالة العلاقات بين الروم وحكام الشام من الحمدانيين واستظهار الروم عليهم وحرق مدائنهم وقراهم وسبي رجالهم ونسائهم ولقد هزت هذه الأحداث المريعة مشاعر المغاربة حتى اوعزوا الى خطيب المعز بان يستنهض همته لانقاذ اخوانهم المشارقة فقال ابن هانىء مخاطباً المعز .

مالي رأيت الـدين قـل نصيـره ... بالمشرقـين وذل حتـى خوفا
أسفـي على الاحـرار قـل حفـاظهـم ... ان كان يغنـى الحـر أن يتأسفا
هلا استعان بآل بيت محمد ... من لم يجـد للـذل عنـكم مصرفا
فمـدينـة من بعـد أخـرى تستبـى ... وطريقـة من بعـد أخـرى تقتفى
حتـى لقـد رجفـت ديـار ربيعـه ... وتزلزلـت ارض العـراق تخوفا
والشـام قـد أودى وأودى أهـلـه ... الا قليلا والحجـاز على شفا
أيسـر قومـاً أن قـلـة غـودرت ... بمجـر جيش الـروم قاعـا صفصفا

---

(1) المقريزي ـ اتعاظ الحناص 148 .

(2) حسن ابراهيم حسن ـ تاريخ الدولة الفاطمية ص139 .

هذا المعز بن النبي المصطفى سيذب عن حرم النبي المصطفى
في صدر هذا العام لا يلوي على احد تلفت خلفه وتوثقا[1] .

رتب جوهر حملة الى الشام بعد أن دخل مصر وكانت بقيادة جعفر بن فلاح وسار هذا حتى وصل الى الرمله وكان بها الحسن بن طغج ودارت المعركة بين الأخشيديين وبين فلاح فهزم ابن طغج بعد أن خذله قواده في طبرية وغيرها واسر ابن طغج وبعث به الى مصر وفتحت الرمله[2] ثم سار عنها وكان قد ترك ابنه عليها[3] ، واتجه جعفر الى طبرية[4] فوجد أهلها يدعون الى المعز الخليفة الفاطمي ففتحها وسار منها الى دمشق[5] فوجد جعفر من المقاومة ما لم يلاقه جوهر عندما فتح مصر ، وذلك لان أهل دمشق سنيون أما المغاربة فهم شيعة يقول المقريزي عن جعفر بن فلاح عندما تقدم الى دمشق « ثار عليهم أهل البلد وقاتلوهم وقتلوا منهم كثيرا من العرب فانهزموا عنها[6] » ولكن جعفر بن فلاح فتحها بعد معارك شديدة مع أهلها[7] ولكن معاملة جعفر بن فلاح وجنده لاهل دمشق كانت سيئة حتى استوحش أهل دمشق من المغاربة[8] . وكان لهذه المعاملة أثر كبير في انضمام أهل دمشق الى القرامطة عندما يأتون لاستردادها من يد الفاطميين .

ولقد كان استيلاء الفاطميين على دمشق ، نقطة تغير في العلاقة ما بين الفاطميين من جهة وبين كل من القرامطة والحمدانيين من جهة أخرى ، فمن المعروف أن القرامطة قد حرصوا منذ النصف الاول من القرن الرابع الهجري على المحافظة على علاقتهم الودية مع الفاطميين لدرجة انهم سمحوا لهم بالتدخل في شؤونهم الداخلية ، فقد تولى احمد بن سعيد الجنابي سنة 332 منصبه من قبل الخليفة الفاطمي في بلاد

---

(1) د . ابراهيم جلال ـ المعز لدين الله ص 60 .
(2) ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق ص 1
(3) سبط بن الجوزي ـ مراة الزمان 11-17 .
(4) ابن حوقل ـ صورة الارض ص 173 .
(5) العيني ـ عقد الجمان 14-232
(6) المقريزي ـ اتعاظ الحنفا ص 174
(7) العيني ـ عقد الجمان 14-232
(8) المقريزي ـ اتعاظ الحنفا ص 174 .

مع حملات المغرب[1] واتفقت كذلك غارات القرامطة على اراضي الدولة العباسية الفاطميين على مصر فتيسر لهم فتحها[2] وكما هو معروف سابقا فان القرامطة بعثوا بحملتين الاولى كانت في سنة 353 هـ وفيها تكاتفت المجهودات القرمطية الحمدانية وتضافرت على طرد الاخشيديين من طبرية ولكن حملتهم الثانية كانت أكثر عنفاوشده. كان من نتيجتها أن اضطر الاخشيديون الى دفع اتاوة لهم عن دمشق ومقدارها ثلاثمائة الف دينار سنويا[3] ، وكان معنى هذه الاتفاقية التي وقعت ما بين القرامطة والاخشيديين ان اعترف الاخشيديون رسميا بامتداد نفوذ القرامطة الى الشام في أواخر عهد الاخشيديين وقبيل ظهور الفاطميين بوقت قصير ، وها نحن نرى أن أعداء الأمس هم حلفاء اليوم . فقد رأينا أن الحمدانيين منذ ظهورهم على مسرح الاحداث السياسية كانوا سيوفا مسلطة على رقاب القرامطة ، ولكننا اليوم نجد أن الصورة تختلف تماما فقد وقف الحمدانيون الى جانب القرامطة في معاركهم التي خاضوها ضد الاخشيديين وستراهم كذلك في حربهم ضد الفاطميين . والمهم أن القرامطة ما أن علموا بسقوط دمشق في يد الفاطميين حتى شعروا بان نفوذهم في الشام قد انتهى ولم يكن هذا فحسب فان موردا هاما من مواردهم قد قطع وهي تلك الاتاوة السنوية التي كانوا يأخذونها عن دمشق وكانت تكوِّن جزءا كبيرا في ميزانية دولتهم ، اذن لا بد ان يتداركوا الموقف ويتخذوا للأمر عدته ، وكان عليهم اذاك الحسن بن احمد بن سعيد ، فطلب هذا المساعدة من بغداد على ان يفتح الشام ومصر ويحكمها باسمهم[4]. ولكن المطيع العباسي قال « كلهم قرامطه وعلى دين واحد فأما المصريون[5] فأماتوا السنن وقتلوا العلماء ، واما هؤلاء[6] فقتلوا الحجاج وقلعوا الحجر الاسود وفعلوا ما فعلوا » الا أن بختيار كان حينئذ هو الذي يمثل السلطة والسيادة في بغداد قال للحسن : اذهب وافعل ما بذالك واعطاه المال والسلاح[7] ولقد كان ترحيب بغداد بهذا الاتفاق الذي تم مع

---

(1) د . محمد جمال سرور ـ النفوذ الفاطمي في بلاد الشام ص34 .

(2) د . محمد جمال سرور ـ النفوذ الفاطمي في بلاد الشام ص34 .

(3) ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق ص1 ـ سبط بن الجوزي مرآة الزمان 11-17

(4) ابن تغرى بردى ـ النجوم الزاهرة 4-74 .

(5) يعني بهم (الفاطميين)

(6) يعني بهم القرامطة

(7) ابن تغرى بردى ـ النجوم الزاهره 4-74 .

القرامطة حكمة اقتضتها ظروف الخلافة ، فقد كان الخليفة ضعيفا والبلاد مهددة بالاخطار وابن بويه يخاف على مركزه من تهديد الفاطميين له ولهذا فان هذه الاتفاقية كانت من مصلحة الخلافة على كلا الوجهين فاذا انتصر القرامطة تخلصوا من خطر الفاطميين واذا هزم القرامطة تخلصت من خطرهم ، ولم تكتف بغداد بمساعدتها بل أرسلت الى أبي تغلب بن حمدان وطلبت منه مساعدة القرامطة بما يلزمهم من المال والسلاح والرجال فرحب الحمدانيون كذلك بهذا الطلب ، وما ان وصلت قوات القرامطة الى الرحبة حتى أمدهم ابو تغلب بكل ما يحتاجون اليه(1).ثم بعث أبو تغلب الى الحسن بن احمد بن ابي سعيد يقول « هذا شيء أردت أن أسير اليه بنفسي ، وانت تقوم مقامي فيه ، وانا مقيم في هذا المكان الى أن يرد علي خبرك فان احتجت الى مسيري سرت اليك ، ونادى في عسكره من أراد المسير من الجند الإخشيديين وغيرهم الى الشام فلا حجر عليه ، فليسر مع السيد الحسن بن احمد بن سعيد فالعسكران واحد(2) ، فسار القرمطي على رأس قواته يحمل الاعلام السود ، شعار العباسيين وكتب عليها اسم الخليفة المطيع وتحته كتب « السادة الراجعون الى الحق(3) » ولقد كانت هذه من الخطوات السياسية الذكية التي طبقها الحسن في معركته فهو يريد بهذا أن يكسب عطف الحزب السني الكبير في بلاد الشام وظل يواصل سيره حتى وصل الى دمشق ولكن جعفر ابن فلاح استهان بهم(4) الا أنه ما لبث ان هزم أمامهم وقتل فاحتووا على سواده وكراعه وأمواله(5) ، وقيل ان القرمطي لما عرف بمقتل جعفر بكاه ورثاه لانهم على دين واحد(6) ، ومن الملاحظ أن اشتراك الحمدانيين في هذه المعركة لم يكن الا دفاعاً عن كيانهم ضد أطماع الفاطميين التوسعية التى أخذت تهددهم مثلهم في ذلك مثل الخلافة تماما .

ولكن القرمطي اغرته نشوة النصر ولم يكتف بطردالفاطميين من دمشق بل سار

---

(4) المقريري ـ انعاظ الحنفا ص 178 .

(2) ابن ايبك ـ كنز الدرر 6 / 90-91 ـ مخطوط مصور بدار الكتب

(3) ابن تغرى بردى ـ النجوم الزاهره 4-74 .

(4) سبط ابن الجوزي 11-17 .

(5) ابن القلانسي ـ ذيل دمشق ص 2. المقريزي ـ انعاظ الحنفا ص 178 .

(6) العيني ـ عقد الجمان 14-245 ـ سبط بن الجوزي ـ مراة الزمان 11-15 .

ليصفي قواعدهم في الشام فسار الى الرملة وكان بها سعادة بن حيان المغربي فخرج الى يافا وتحصن بها ثم دخل القرمطي الرمله[1] ثم رحل منها طالبا مصر وخلف على الرمله أبا عبد الله محمد الحسنى وسار معه دغفل بن الجراح وجماعته الاخشيدية والكافورية وسار بهم حتى وصل الى عين شمس وظهر القرمطي اولا على الفاطميين الا ان المعركة انتهت بهزيمته وانسحابه الى الشام ومنها عاد الى بلده وتفرقت الاعراب[2] فقال القرمطي في هذه الوقعه .

زعمت رجال العرب أني هبتُهـــا فدمـــي اذن ما بينهـــم مطلول
يا مصرِ ان لم أسق أرضك من دم يروى ثراك فلا سقانـــي النيل

وظلت دمشق تابعه للقرامطة حتى سنة 363 وعندما دخلها الفاطميون مرة أخرى[3] ، أعد الحسن بن سعيد القرمطي في هذه السنة حملة ضخمة بريه وبحريه واتجه بها صوب مصر وكان في صحبته كثير من القبائل العربية وتقابل مع المصريين اولا عن طريق البحر فهزم هزيمة بحرية ذريعة عند تنيس[4] ، وكانت هذه أول صدمة صدم فيها القرمطي . وبعث العزيز برسالته المشهورة الى الحسن القرمطي يذكره فيها بسلوك آبائه واجداده ثم يهدده ايضا ولكن الحسن يرد عليه ردا قبيحا حيث يقول « وصـل كتابـك الـذي قل تحصيله وكثر تفصيله ونحن سائرون اليك على أثره والسلام »[5] ولكن الحسن القرمطي في هذه المرة كان عليه ان يقابل قوات اضخم وسلاح أقوى حيث ان المعز وصل الى مصر بكل ما يملكه في المغرب من مال ورجال وعدة حتى قبور آبائه وأجداده[6] ولما عرف الفاطميون بأن الاعصم رفض رسالة الخليفة خافوا منه خصوصا عند ما علموا بحشوده الضخمة وبعد المناوشات واستظهار الحسن على الفاطميين عرفوا أنهم لن يستطيعـوا الصمود في وجهه فلجأوا الى الطرق الملتوية من الدس والتآمـر فاتصلـوا بحسـان بن

---

(1) المقريزي ـ اتعاظ الحنفا ص179
(2) ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق ص2
(3) العيني ـ عقد الجمان14-245 .
(4) المقريزي ـ اتعاظ الحنفا ص194 -195 .
(5) العيني ـ عقد الجمان14-280 .
(6) سبط بن الجوزي ـ مرآة الزمان11-23 .

الجراح وبذلوا له مائه الف دينار على أن ينهزم ويخذل القرامطة فاتفق معهم على ذلك ، وفي يوم المعركة انهزم حسان بجيشه وانهزم القرامطة على أثره لان صفوفهم قد تبعثرت وأصابها الارتباك[1] وطاردهم الفاطميون الى الشام حتى اخرجوهم منها الى بلادهم في البحرين[2] ، ولم يكتف الفاطميون بذلك بل أرادوا دخول دمشق فأوعزوا الى ظالم العقيلي بعد أن أمدوه بالمال والرجال ان يفتحها باسمهم خصوصا وان وحشة كانت قد وقعت بين ظالم العقيلي والقرمطي على حكم دمشق فعزل القرمطي ظالماً وولى عليها أبا المنجا القرمطي[3] . تقدم ظالم الى دمشق بقواته وهزم أبا المنجا القرمطي وولده وأخذت اموالهم[4] وهكذا عادت دمشق الى الفاطميين بعد أن كانت قاعدة قرمطية تهدد نفوذهم في الشام وهذه هي الحال ما بين الفاطميين من جهه والقرامطة والحمدانيين من جهه أخرى الى حد هذه الفترة من التاريخ .

وفي هذه الفترة تقدمت القوات البيزنطية الضخمة في اتجاه الحدود الاسلامية وعاثت فيها فساداً خصوصاً في ديار بكر ورأينا كيف أن أبا تغلب بن حمدان عجز عن ردهم فانفجرت الثورة في بغداد تطالب الخليفة بالجهاد المقدس[5] .

واذا عدنا الى حلب لوجدنا ان قرعويه قد أناب عنه بكجور في حلب[6] ولم تمض غير مدة يسيرة حتى وقعت الوحشة بين بكجور وقرعويه وتمكن بكجور من القبض على قرعويه وحبسه[7] وأصبح بكجور هو سيد الموقف في حلب فطغى وبغا وأساء السيرة في أهل حلب فكاتبوا سعد الدولة بالقدوم عليهم ووعدوه بانهم سيقفون الى جانبه[8] ، ولما عرف سعد الدولة الاوضاع السيئة في حلب وأن العلاقات متوترة ما بين الحاكم والمحكومين وجد أنها فرصته لاسترداد هيبته والانتقام لكرامته فجمع بنو

---

(1) ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق ص3 .

(2) ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق ص3 .

(3) ن . م .

(4) ن . م ص 4 .

(5) انظر بالتفصيل في الفصل الثالث .

(6) العيني ـ عقد الجمان 14-259

(7) الطباخ ـ اعلام النبلاء 1-298 محمد كرد علي ـ خطط الشام 1-229

(8) ابن كثير ـ البداية 11-286 .

كلاب ونزل على معرّة النعمان فملكها وأخذ عنها غلاما كان قد تغلب عليها ويقال له زهير الحمداني ثم سار عنها الى حلب[1] ، فوصلها وحاصرها لمدة أربعة أشهر[2] ، وأرسل سعد الدولة الى بكجور يأمره بتسليم البلد فتحصن هذا في القلعة وامتنع على سيده الذي بذل له الامان ولكن بكجور ـ قال « أريد ان يتوسط بيني وبينك وجوه البلد من بني كلاب ، فأجابه الى ذلك فتوسطوا الامر بينهما وأخذوا له العهد والميثاق والامان على نفسه وولده وماله وأنه لا يغدر به وأن يوليه حمصا على أن ينحدر من القلعة ويسلمها ولا يأخذ منها شيئا الا مالا بد منه فأجابه الى ذلك[3] ، ودخل سعد الدولة حلب وقيل انه غير الأذان وزاد فيه «حي على خير العمل محمد وعلي خير البشر[4] ».ثم رحل بكجور الى حمص وأخذ في تقوية نفسه وترتيب اموره فعمرها أحسن تعمير وأمن الناس بطرقاتها حتى أنه لم يكن بالشام موضعا آمنا الا هي وضواحيها[5] ، وهكذا عظمت مملكة سيف الدولة خصوصا في العام التالي بعد ان ساءت العلاقات ما بين الحمدانيين في الموصل والبويهيين في بغداد وتمكن هؤلاء من طرد الحمدانيين عن ديار بكر وربيعة وتسلم ديارمضر واخذ البويهيون لانفسهم حران وتنازلوا عن الباقي لسعد الدولة بن حمدان بعد أن اعترف بسيادتهم[6] ولقد حدث القحط والفقر في هذه الفترة في دمشق بالذات فأخذ بكجور يبعث بالغلات اللازمة ثم أخذ على عاتقه تأمين الطريق ما بين حمص ودمشق من هجمات الاعراب ثم كتب الى المعز صاحب مصر يطلب منه ولاية دمشق فوعده هذا بالايجاب[7] .

أما بالنسبة للروم فمن المعروف أن حلب كانت تابعة لهم منذ أن وقع قرعويه معهم تلك الاتفاقية التي رأيناها ولكن رفض سعد الدولة لها دفع الروم بالتقدم الى

---

(1) ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق ص28 .

(2) ابن كثير ـ البداية والنهاية 11-286

(3) ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق ص28 أبو الفدا المختصر 2-123 ـ الطباخ اعلام النبلاء 1-298 .

(4) ابن العديم ـ زبده الحلب 1 / 170-171

(5) ابن ظافر ـ الدول المنقطعه ص37 .

(6) ابن كثير ـ البداية 11-291 ـ ابن ظافر الدول المنقطعه ص37 ـ الطباخ اعلام النبلاء 1-311 .

(7) ابن الأثير الكامل 9-6 .

أملاكه ولم يكن هذا هو السبب المباشر لتقدم الروم وانما كان ازدياد نفوذ الفاطميين في بلاد الشام قد اقلق الروم لانهم أصبحوا يهددون حدودهم ،وهم الذين خبروهم في المغرب وعندما استولوا على جزيرة صقلية(1). ولهذا فقد رأى الروم التقدم الى بلاد الشام تحركوا من انطاكية وكانوا قد اتخذوا منها قاعدة لانطلاقهم على الاراضي الاسلامية ، وصلت القوات البيزنطية الى حمص وفتحوها بالامان(2) وتقدموا الى بعلبك(3) وفتحوها رغم المقاومة العنيفة التي وجدوها فيها(4). ثم تحركت القوات البيزنطية الى دمشق ، وهنا نجد ان الروم يجدون لهم عملاء من العرب يتعاونون معهم مثل ابن الزيات حيث يقول ابن القلاني « ودعت الضرورة الى مصالحة الروم والدخول في طاعتهم والسير في عدة وافرة من أهل طرسوس والثغور في خدمته وفعلت عدة بطون من العرب مثل ذلك »(5) ولكن اية ضرورة تقود أهالي طرسوس وتلك البطون العربية الاخرى(6) الى مثل هذا الموقف المخزي في التعاون مع الإعداء ضد بني جنسهم وعقيدتهم؟ ونجد هذا واضحا عندما تقدم الروم الى دمشق فقد توسط ابن الزيات بينها وبين الروم وقال لاهل دمشق « لا طاقة لكم بصاحب الروم ، والمصلحة ان تدخلوا في طاعته وتقرروا عليكم مالاً » فاتفق أهل دمشق على هذا مع الروم(7) لانهم وجدوا أنفسهم مضطرين الى هذا الموقف وذلك لان الفتكين المتولى عليهم كان بينه وبين الفاطميين عداوة كما كان بينه وبين البويهيين الحاكمين في بغداد مثل ذلك ، ولهذا فقد وجد صعوبة في طلب النجدة منهم وبالاضافة الى ذلك فان أهالي دمشق كانوا لا يطيقون المغاربة الشيعة لظلمهم وقسوتهم واختلافهم معهم في المذهب . فتقدمت القوات البيزنطية بعد ذلك في اتجاه بيت المقدس وكان هدفهم الاستيلاء عليه(8) ، فوصلت قواتهم الى طبرية وفتحوها ثم ساروا

---

(1) عمر كمال ـ مقدمات العدوان الصليبي ص153 .

(2) ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق12 .

(3) وهي بلد كثيرة الخيرات والغلات والفواكه وتقع على جبل ـ ابن حوقل ص175

(4) Comb. M. H. Vol. IV. P. 148

(5) ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق ص12 .

(6) كان بنو حبيب من اكبر تلك البطون التي وقفت الى جانب الروم في محاربتهم للعرب خصوصا في منطقة الجزيرة لانهم يعرفون طرقها ومسالكها وكانوا قد فروا من ظلم سيف الدولة لهم .

(7) ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق ص12-13 .

(8) د . عمر كمال ـ مقدمات العدوان الصليبي ص162

العداء بين سعد الدولة وبكجور وتدخل الفاطميين :

قلنا انه عندما بعث بكجور الى صاحب مصر يطلب منه ولاية دمشق استجاب المعز الى ما طلبه بكجور منه وفي تلك الفترة ساءت العلاقات ما بين سعد الدولة ومولاه بكجور فطلب سعد الدولة من بكجور مغادرة حمص ، فبعث هذا اي بكجور الى صاحب مصر يطلب منه ان ينفذ وعده فامر صاحب مصر بلتكين قائد الجيش الفاطمي في بلاد الشام باخلاء دمشق الى بكجور ويرحل هو الى مصر(1) وكان بكجور قد كتب الى الخليفة الفاطمي بان ينفذ اليه عسكرا ليفتح له حلب(2) فانفذ اليه بعض قواته من دمشق فسار بهم نحو حلب(3) ، ولكن بكجور كاد ان يكبس من الروم وهو على حصاره لحلب لولا انه رحل الى حمص فتبعه الروم اليها واخربوها وتعقبوه منها الى جوسيه(4) ويقال ان سعد الدولة طلب الى الروم تخريب حمص خوفا من ان يعود اليها بكجور ويتقوى بها فيستولي على حلب(5) وهكذا هزم بكجور امام الروم وظل ينتظر بعد الهزيمة لكي يرحل بلتكين عن دمشق ويدخلها هو ، ولكن بلتكين تأخر في الخروج عن دمشق وذلك لان الوزير ابن كلمس اوعز الى بلتكين بالتلكؤ في الانسحاب وعدم السماح لبكجور بدخول المدينة(6) ثم قال الوزير الى العزيز « الصواب ان لا يلي بكجور دمشق ويعصى فيها » قال العزيز نحن استدعيناه لذلك ووعدناه به « ولما رأى الوزير تصميم العزيز بعث الى بلتكين بتسليم دمشق الى بكجور على ان يحضر هو الى مصر(7) ودخل بكجور الى دمشق فأساء الى اصحاب الوزير فيها ولم يكاتبه بما يليق به وكان هذا من

---

(1) ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق ص28

(2) ن . م ص29

(3) ابن ظافر ـ الدول المنقطعة 37 .

(4) ابن العديم ـ زبده الحلب 1-176

(5) ابن ظافر ـ الدول المنقطعه ص38

(6) ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق ص29

(7) العيني ـ عقد الجمان 16-371

اسباب الوحشة بين الطرفين[1] ، وجار بكجور في دمشق وطغى وبغا وقتل وصلب[2] ، ولما علم صاحب مصر بما يرتكبه بكجور في دمشق جرد اليه حملة ضخمة سنة378 بقيادة منير الخادم[3] ، ولما كان بكجور لا يطمئن لأهل دمشق فقد خرج بقواته ليقابل منير بعيدا عن البلد لكنه رغم هذا فقد هزم[4] ، وبعث بكجور الى منير بان يسلمه البلد ويخرج هو منها فأتفقوا على ذلك[5] ورحل بكجور الى حصن حوارين[6] وسار منه الى الرقة[7] ، فقوي امره بها بما اجتمع لديه من الأموال والرجال مما دفعه مرة اخرى الى الطمع في اخذ حلب[8] ، وبعث اليه صاحب مصر يطيب خاطره على اثر طرده من دمشق وترك له ضياعه وامواله وقال له « افعل ما احببت فمالنا فيه حاجة »[9] ، وبعد ان شعر بكجور ببعض القوة بعث الى بهاء الدولة البويهي يطلب منه الانضمام اليه وكاتب باذ الكردي المتغلب على ديار بكر ثم راسل سعد الدولة على ان يعود الى طاعته ويقطعه حمص كما كان ، ولكن احدا منهم لم يجبه الى ما طلب[10] . ولم يتسرب اليأس الى بكجور بل ظل على اتصال ببعض اتباعه في حلب وكانوا قد كاتبوه بالقدوم الى حلب واعلموه بان سعد الدولة مشغول باللذات فاغترّ باقوالهم[11] ؛ واخذ يعد نفسه لهذا الغرض وراسل صاحب مصر يقول له « ان حلب دهليز العراق واذا حصلت له كان ما بعدها في يده وان العسكر الذي بحلب قد كاتبه وبذل له الطاعة والمساعدة ويستدعي منه الانجاز والمعونة[12] فتجددت اطماع صاحب مصر في حلب فاستجاب الى

---

(1) مسكويه ـ ذيل تجارب الامم ص209

(2) ابو الفدا ـ المختصر في اخبار البشر2-123

(3) ابن ظافر ـ الدول المنقطعة ص38 .

(4) ابن العديم ـ زبدة الحلب1-178 .

(5) ابن الاثير الكامل9-20

(6) يقع قرب حمص

(7) العيني ـ عقد الجمان16-422

(8) ابن ظافر ـ الذول المنقطعه ص40

(9) ن . م

(10) ابن الاثير الكامل في التاريخ9-29

(11) سبط بن الجوزي ـ مرآة الزمان11-164

(12) ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق ص34

ما طلبه بكجور منه وكتب الى نزال والى طرابلس والى ولاة آخرين يامرهم بتجهيز العساكر مع نزال الى بكجور وطاعته عندما يأمرهم بقتال سعد الدولة وقصد بلاده [1] ، فكتب عيسى بن فسطورس [2] الى نزال والي طرابلس بمدافعة بكجور واطماعه في المسير الى سيده فاذا تورط في قصده تخلى عنه ، وكان الامر بسبب ان العلاقات ساءت بين بكجور وابن فسطورس لان بكجور لم يكاتب الوزير بما يليق به وطلب الوزير من بكجور ان يكاتبه بعبده وصنيعته [3] ، وعندما وصلت كتب العزيز الى بكجور بالموافقة على ما طلبه اخذ يجمع الاعراب ومن في حوزته ثم كتب الى نزال يخبره بموعد تحركه الى حلب [4] ، ولما عرف سعد الدولة بما يرمي اليه بكجور كاتب باسيل ملك الروم يطلب منه المساعدة ويخبره بخروج بكجور عليه [5] وطلب منه ان يسمح للبرجي والي انطاكية وسائر الثغور ان يسير اليه عندما يستدعيه فارسل ملك الروم الى البرجي يأمره بمساعدة سعد الدولة عندما يطلب منه ذلك [6] ، ولما نزل بكجور قرب حلب بعث سعد الدولة الى البرجي يطلب منه القدوم فسارت اليه القوات البيزنطية ونزلت على مرج دابق [7] ثم خرج سعد الدولة الى بكجور وكان معه خمسمائة فارس من بني كلاب الا انهم الوا بأس شديد [8] ، وبهذا يقع الصراع العنيف ما بين الحمدانيين وعمالهم ولكنه كان صراعا من نوع جديد لم تعهده الدولة الحمدانية من قبل فقد استنجد سعد الدولة بالروم اعداء والده بالامس كما استعان بكجور بالفاطميين في مصر ، واذا علمنا بان كلا من البيزنطيين والفاطميين له اطماع في الشام ادركنا خطورة ذلك الاحتكاك الجديد بين تلك القوى الضخمة ولادركنا ان الغرم والخسارة ستقع على سعد الدولة ومملكته وان كلا من الفاطميين والبيزنطيين سيحقق مكاسب ضخمة اذا حقق احدهم النصر على الطرف

---

(1) ابن الاثير الكامل 9-29 ابن ظافر الدول المنقطعة 39 .

(2) جاء الى الوزارة بعد ان كان يليها الوزير ابن مكس وكان هذا قد توفي

(3) سبط بن الجوزي 11-163 ابو شجاع ذيل تجارب الامم 210 .

(4) ابن ظافر - الدول المنقطعة ص 40 - سبط بن الجوزي - مراة الزمان 11 -164

(5) ابو شجاع - ذيل تجارب الأمم ص 210

(6) سبط بن الجوزي - مراة الزمان 11 164

(7) ابن ظافر - الدول المنقطعة ص 40 - « يقع على بعد فرسخين من حلب » .

(8) محمد كرد علي - خطط الشام 1 [illegible] - ابو شجاع - ذيل تجارب الامم ص 210 .

الآخر . . . ويبدو ان سعد الدولة قد ادرك مدى هذه الخطورة التي تهدد مملكته فبعث الى بكجور بالرحيل عن حلب وفض الحرب على ان يقطعه من الرقة الى حمص وذكره بالحقوق الواجبة عليه تجاه سيده ، ولكن هذا الطلب الذي قدمه سعد الدولة الى بكجور لم يزده الا غرورا وكبرياء فرفض ما طلبه منه سيده[1] ودارت المعركة بين الطرفين فكان الفارس من اصحاب سعد الدولة اذا طعن او جرح بذل له الأموال وكافأه واحسن اليه وكان بكجور شحيحا بخيلا فاذا عاد اليه رجل من اصحابه جريحا يكتب اسمه لينظر مستأنفا في امره .

وبعض خلائق الاقوام داء كداء البطن ليس له دواء[2]

وكان سعد الدولة قد كاتب الاعراب الذين في جيش بكجور ووعدهم ومناهم وكان بخل بكجور قد دفعهم الى الانضمام الى سعد الدولة بعد ان اغاروا على سواد بكجور ونهبوه[3] ، ولما رأى بكجور هذا الامر وان الهزيمة بانت عليه لانه رأى غدر العرب به وعدم وصول نزال بقواته وتقاعد غلمانه الذين كاتبوه من حلب ولم ينضموا اليه اذا عاينوه كما وعدوه[4] . سأل كاتبه ابو الحسن المغربي في تدبير الامر ، فاشار عليه الحسن بالعودة الى الرقة ومكاتبة العزيز صاحب مصر يشكو اليه خذلان نزال اليه[5] ، الا ان اصحاب بكجور وقادته رفضوا الانسحاب وصمموا على القتال فعاد الحسن المغربي الى الرقة[6] ، ولما رأى بكجور ان الموقف قد اصبح حرجا ويئس من النصر اراد القيام بعملية انتحارية مع عدد من غلمانه[7] ، فقال لهم لقد تورطنا في هذه الحرب وحلت بنا الهزيمة وقد عزمت على كذا وكذا ، فان ساعدتموني رجوت ان يكون الفتح على ايديكم والاثر لكم فقالوا نحن طوعك ما نرغب بنفوسنا عنك[8] ، ولكن

---

(1) ابن خلدون العبر4-252 .

(2) ابو شجاع ـ ذيل تجارب الامم ص211

(3) ابن ظافر ـ الدول المنقطعة ص30 ـ ابن الاثير الكامل9-30 .

(4) سبط بن الجوزي ـ مرآة الزمان11-164

(5) ن . م

(6) ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق ص35

(7) ابن ظافر ـ الدول المنقطعة ص41

(8) ابن ظافر ـ الدول المنقطعة 41 ـ اعلام النبلاء1-304

خطته فشلت لان احد اصحابه استأمن الى لؤلؤ الجراحي صاحب سعد الدولة واخبره بنية بكجور(1) فأسرع لؤلؤ الى سعد الدولة واخذ الراية من يده ووقف في موضعه وقال « تهب لي يا مولاي هذا الموضع اليوم ، تنتقل الى مكاني فان بكجور قد أيس من نفسه وقد حدثها بان يقصدك ويقع عليك . . . ولئن افديك بنفسي واكون وقاية لك ولدولتك أولى من التعريض بك(2) » فانتقل سعد الدولة وحمي وطيس المعركة* فهجم بكجور في رجاله واستمر في القتل والضرب حتى تمكن من الوصول الى لؤلؤ فضربه على رأسه فأوقعه الى الأرض وهو يظنه سعد الدولة(3) وهنا ظهر سعد الدولة لاصحابه فتحمسوا وقويت قلوبهم على القتال وحملوا على بكجور وعسكره فانهزم في نفر قليل واستولى الاسر والقتل على اصحابه(4) ، ونادى سعد الدولة بان من يحضر بكجور فله جائزه(5) وكان بكجور بعد فراره قد بذل لأحد الاعراب ان يوصله الى الرقة نظير مال معلوم ، ولكن الاعرابي لعلمه ببخل بكجور اخبر سعد الدولة بامر بكجور على ان يسلمه مائتي فدان زراعه ومائة الف درهم ومائة راحله تحمل حنطه وخمسين قطعة ثياب(6) فأجابه سعد الدولة الى ما طلبه واحضر بكجور وقتل(7) وكان سعد الدولة قد استشار لؤلؤ الجراحي في امره فامر هو الآخر بالتخلص منه(8) ويقول العيني « وهكذا لقي بكجور عاقبة بغيه وكفره احسان مولاه »(9) .

سار سعد الدولة بعد ذلك الى الرقة ، وكان فيها اذاك سلامه الرشيقي واولاد بكجور وطلب سعد الدولة من سلامة ان يتخلى عن البلد ويسلمها له(10) فأجابه سلامه

---

(1) ابن الاثير الكامل 9-30 - سبط بن الجوزى - مرآة الزمان 11-164

(2) ابو شجاع - ذيل تجارب الامم ص 212

*لم تشر المصادر بان الروم قد شاركوا في المعركة ام لا

(3) ن . ن .

(4) ابن ظافر - الدول المنقطعة ص 41 .

(5) ابن العديم - زبده الحلب 1-179

(6) سبط بن الجوزي - مراة الزمان 11 / 164 .

(7) ابو الفدا - المختصر 2-128

(8) ابن ظافر - الدول المنقطعه ص 41

(9) العيني - عقد الجمان 16-422

(10) [illegible]

« انني عبدك وعبد عبدك الا ان لبكجور علي عهودا ومواثيق ولا يخلص لي منها عند الله الا أحد أمرين أما أن تستامن لأولاده على نفوسهم وأموالهم وتقتصر فيما تأخذه على آلات الحرب والعدة وتحلف لي ولهم على ذلك ، واما ان ابلي عذرا عند الله فيما عقدته لبكجور[2] ، فأجابه سعد الدولة الى طلبه وحلف له على ذلك[3] . . . وهنا سلم الرشيقي حصن الرافقه فخرج القوم ومعهم من المال الشيء الكثير فاستكثرها سعد الدولة[4] لانه لم يكن يعرف ان لدى بكجور هذه الأموال الضخمة ، فقال له قاضي حلب «ان بكجور واولاده مماليك وكل ما ملكوه فهو لك ولا حرج عليك فيما تأخذه ولا حنث في الايمان التي حلفت بها ، ومهما كان فيها من وزر واثم فعلى دونك »[5] ولما سمع سعد الدولة هذا امر بالقبض على اولاد بكجور ومصادرتهم وكان هذا مخالفة لما قطعه على نفسه من الايمان والمواثيق واغتر بقول القاضي ولكن هل احد حامل وزر احد غيره ؟ رغم سماع سعد الدولة قوله تعالى « وقال الذين كفروا للذين آمنوا إتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون » .

ولهذا كتب اولاد بكجور الى العزيز صاحب مصر يشكون اليه ما تم لهم ولوالدهم على يد سعد الدولة وسألوه ان يتوسط لهم عند سعد الدولة بالكف عنهم والابقاء عليهم وعلى اموالهم[6] ، فكتب العزيز الى سعد الدولة كتابا يتوعده فيه ويامره بازالة الاعتراض عن اولاد بكجور وتسيرهم الى مصر موفورين ويقول في آخر كتابه « انك متى خالفتنا في ذلك واحتججت فيه كنا الخصوم لك وجهزنا العساكر اليك[7] ».

ونحن نرى ان هذا موقفا خطأ من العزيز صاحب مصر باتخاذه مثل هذه الخطوة تجاه سعد الدولة وكان من الافضل له ان يتقارب مع سعد الدولة صاحب حلب خصوصا وان اولاد بكجور قد انتهى امرهم ولم يعد لهم اي سلطان ، ولو ان العزيز تصرف

---

(2) ابو شجاع ـ ذيل تجارب الامم ص214

(3) ابن العديم ـ زبدة الحلب 1-179

(4) ابن ظافر ـ الدول المنقطعة ص43

(5) سبط بن الجوزى ـ مرآة الزمان 11 / 165-166

(6) ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق ص38

(7) ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق ص38

بحكمه لانصرف سعد الدولة عن طلب النجدة من الروم ولوقعت الشام تدريجيا في يده خصوصا وان شخصية سعد الدولة بدأت تهتز في الشام ، ولكن هذا الموقف الذي اتخذه العزيز كلفه الكثير وذلك لان الروم اصبحوا يتدخلون في الشام بطريقة مشروعه لانهم يأتون لنجدة امرائه .

والمهم ان سعد الدولة عندما وقف على خطاب العزيز جمع صحبه وقواده وشاورهم فيما هم فاعلون ازاء العزيز صاحب مصر ، فقالوا له « نحن عبيدك وغلمانك ومهما امرتنا به وندبتنا اليه كانت عندنا المناصحة والطاعة(1) » وعندئذ طلب سعد الدولة رسول العزيز فأحضر له ولطمه على وجهه وامره باكل الكتاب(2) ، فاغتاظ الرسول وبعد ان مضغه قال سعد الدولة للرسول « قل لصاحبك لست ممن تخفي اخبارك عنه وتمويهاتك عليه وما بك حاجة الى تجهيز العساكر إلي فانني سائر اليك ليكون اللقاء قريبا منك وخبري يأتيك من الرملة(3) » الى هذا الحد كان سعد الدولة قاسيا في معاملة الرسول وفي رده على الخليفة الفاطمي وسيكون لهذا اثر فيما بعد ، ولقد اراد سعد الدولة من هذا ان يثبت لصاحب مصر انه ما زال قويا وان في امكانه ان يغزوه في عقر داره ، وفعلا جهز سعد الدولة عساكره وقدم جزءا منها الى حمص ، وعندما وصل رسول العزيز الى مصر وعرفه ما حدث له وشاهده فأزعجه ذلك(4) . أقام سعد الدولة اياما بظاهر حلب يرتب عساكره حتى يلحق بمن سبقه فعرض له قلونج ، ونصحه الاطباء بالعودة الى حلب ودخول الحمام(5) ، الا انه قال لهم « انا بازاء وجه اريد قصده واذا عدت وقع الارجاف بي ، وكان في العودة طيرة علي(6) » الا انه عاد الى حلب وتوفي في سنة 381 هـ(7) وكان قد اوصى الى ابنه ابو الفضائل ووصى عليه لؤلؤ الجراحي وبابي الهيجاء ولده

---

(1) ابن ظافر - الدول المنقطعة ص 43

(2) سبط بن الجوزى - مرأة الزمان 11 ص 165-166

(3) ابن القلانسي - ذيل تاريخ دمشق ص 39 الدول المنقطعة ص 43

(4) ابن القلانسي - [illegible] تاريخ دمشق ص 39 الدول المنقطعة ص 43

(5) نفس المصدر

(6) [illegible]

سقوط حلب في يد الفاطميين

بعد وفاة سعد الدولة تولى ابنه ابو الفضائل سعيد وكان لؤلؤ الجراحي وصيا عليه من قبل والده فاخذ له العهد على الاجناد[1] وعمل لؤلؤ على مصاهرة الامير سعيد فزوجه ابنته ، ورفع ابو الفضائل المظالم عن الرعية ورد الخراج الى احسن ما كان عليه ثم رد الى اهل حلب املاكا كان اغتصبها ابوه وجده[2] ، وكانت العساكر الحلبية التي جهزها والده لغزو مصر قد تراجعت الى حلب[3] وفي هذه الفترة رأى العزيز صاحب مصر ان الوقت قد حان لاستصغاء بلاد الشام كلها ، وانقاذها من هذا التذبذب الذي تتخبط فيه بين الدولتين ، جنوبها للعزيز وشمالها للحمدانيين ، ولا يفتأ كل فريق يدس للآخر .

ولقد شجع الحسن المغربي كاتب بكجور وكان قد رحل الى مصر وانضم الى حاشية العزيز وتقرب منه حتى اصبح من بين كبار مستشاريه[4] ، فشجعه هذا على غزو المدينة وهوّن عليه امر الحاكمين بها[5] فجهز العزيز جيشا ضخما في العدة والعدد وكان بقيادة منجوتكين احد قادته العظام وكان قد فوض اليه العزيز امر ولاية الشام[6] ، وقد بلغ ما كلفه تجهيز هذا الجيش مليون دينار ونيف[7] ، ولقد اوصى العزيز منجوتكين بالمسير اولا الى دمشق ثم منها الى حلب[8] وذلك لأن منير الخادم اظهر نية العصيان[9] ، ولهذا فقد اتجه منجوتكين الى دمشق ودخلها بعد معركة دامية مع منير[10] وخرج منجوتكين من دمشق واتجه الى حلب وفي طريقه استولى على حمص وحماه[11] ، ويحدثنا ابن العديم

(1) محمد كرد علي ـ خطط الشام 1-237

(2) ابن العديم ـ زبدة الحلب 1-185

(3) ابن خلدون العبر 4-253

(4) ابن ظافر ـ الدول المنقطعة ص 45

(5) ابن خلدون العبر 4-253

(6) ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق ص 41

(7) محمد كرد علي ـ خطط الشام 1-237

(8) ابن ظافر ـ الدول المنقطعة ص 45

(9) نفس المصدر

(10) ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق 40

(11) ابن العديم ـ زبدة الحلب 1-185

انه عندما اقترب منجوتكين من حلب بعث اليه ابو الفضائل سعيد الدولة اموالا كثيرة على ان يرحل عنه ويكون في الطاعة ويقيم الدعوة ويضرب السكة باسم العزيز ويكتب اسمه على البنود الا ان منجوتكين لم يقبل ما بذله ابو الفضائل[1] ، وكانت قوات منجوتكين تبلغ ثلاثين الف مقاتل[2] ، وكان لؤلؤ وسعيد عندما علموا بتقدم القوات الفاطمية نحوهم كاتبوا باسيل ملك الروم يطلبون منه النجدة[3] وذكر له لؤلؤ ما كان بينه وبين سعد الدولة من المساعدة والمعاقدة وبذل له عن ولده السمع والطاعة والجري على تلك العادة وحمل اليه هدايا والطاقا كثيرة وسأله المعونة والنصره ، وأنفذ بالكتاب ملكويا السيرافي* فوصل اليه وهو بازاء ملك البلغار ، فاستجاب باسيل الى ما طلبه صاحب حلب وكتب الى البرجي صاحب انطاكية بالمسير الى حلب ومساعدة اميرها ضد الفاطميين[4] ، ونزل منجوتكين وحاصر حلب حتى ضاق اهلها بالحصار وطالبوا ابو الفضائل ولؤلؤ ان يدبروا امر البلد والا سلموه للفاطميين ، فقال لهم « اصبروا عليّ ثلاثة ايام فان البرجي صاحب انطاكية سائر الى مساعدتي[5] » ووصلت هذه الاخبار الى منجوتكين فعقد اجتماعا عسكريا فاشار عليه اهل الرأي منهم ان يفاجئوا القوات البيزنطية قبل ان يصلوا الى حلب لئلا يصبحوا بين عدوين فسار بقواته حتى وصل الى النهر العاصي فقطعه المسلمون سباحة[6] وهنا يروى في الدول المنقطعة قصة طريفة عن كيفية الاشتباك وما حصل فيه ان رجلا ديلميا من اصحاب منجوتكين خاض النهر سباحة والمسلمون ينظرون اليه والسهام تقع من حولهم وهو لا يتراجع فلما دخل الى شاطئهم واصبح له موضع قدم فيه كبر المسلمون وخاضوا النهر حتى اصبحوا مع الروم على ارض واحدة « وكانت المعركة وهزم الروم هزيمة شنيعه[7] » ثم تبعهم منجوتكين الى

---

(1) نفس المصدر

(2) ابو شجاع - ذيل تجارب الامم 217 ابن القلانسي - ذيل تاريخ دمشق 41

(3) العيني - عقد الجمان 16-423

(4) ابن تغرى بردى - النجوم الزاهرة 4-117 ابن القلانسي - ذيل تاريخ دمشق ص 41 .

(*) النجوم الزاهرة 4-118 « يسميه ملكويا السرياني »

(5) ابن العديم - زبدة الحلب 1-186

(6) ابن تغرى بردى - النجوم الزاهرة 4-117

(7) ابن ظافر - الدول المنقطعة 47 .

حصن عم وفتحه بالسيف ووجد فيه عشرة آلاف اسير من المسلمين فخرجوا وقاتلوا بين يديه(1) . وتابع منجوتكين سيره الى انطاكيه فاحرق بساتينها واخربها ونهبها(2) . وقيل انه اخذ منها ما يقرب من عشرة آلاف من المواشي ثم سار في بلاد الروم حتى وصل الى مرعش فقتل واسر ثم عاد(3) ، وكان ابو الفضائل قد استغل فرصة غياب منجوتكين ونزل الى البلد فنقل ما فيه من الغلال واحرق الباقي حتى لا يستفيد منه الفاطميون(4) ،

وعندما عاد منجوتكين الى محاصرة حلب مرة اخرى .يتضح لنا مدى ما يتمتع به لؤلؤ من دبلوماسية ودهاء ، فبعث الى الحسن المغربي باذلاً له الأموال الطائلة لكي يغري منجوتكين بالعودة عن حلب في هذا العام والسير اليها في العام القادم(5) ، فوجدت هذه الفكرة قبولا لدى منجوتكين لان قواته كانت قد انهكت من الحرب وبالاضافة الى ذلك فقد قلت مسيرتها ، وبعثوا الى العزيز يخبروه بانهم سينسحبون عن حلب ويعودون اليها في العام التالي ، وتم الانسحاب قبل ان يصلهم رد العزيز(6) ولما وصل الكتاب الى العزيز غضب(7)، ثم كتب الى منجوتكين بالعودة لحصار حلب وامدهم بالمؤن والذخيرة عن طريق البحر الى طرابلس ومنها تنقل بالبر الى حصن أفاميه(8) . فعاد منجوتكين الى حصار حلب مرة اخرى وبنى بازائها مدينة فيها الاسواق والحمامات والخانات(9) فاشتد الامر على لؤلؤ وابي الفضائل وقلت الاقوات في البلد(10) . فكان لؤلؤ يشتري الغلال من التجار بما يريدون ويبيعه للناس بما يرضيهم ، جمعا بين المصلحتين(11) ، وفي هذه الفترة

---

(1) ابن العديم ـ زبده الحلب 1-187
(2) ابن الاثير الكامل 9-30
(3) ابن العديم ـ زبده الحلب 1-188
(4) ابن خلدون العبر 4-253
(5) ابو شجاع ـ ذيل تجارب الامم 219 مرآة الزمان ـ سبط بن الجوزي 11-160
(6) العينى ـ عقد الجمان 16-423 سبط بن الجوزي 11-160
(7) ابن تغرى بردى ـ النجوم الزاهرة 4/117-118
(8) محمد كرد على ـ خطط 1-237 ابن الاثير 9-31
(9) ابن العديم ـ زبده الحلب 1-190
(10) سبط ابن الجوزي ـ مراة الزمان 11-161
(11) ابن ظافر ـ الدول المقطعة ص 47

كان باسيل ملك الروم قد توغل في ارض البلغار[1] ووصلت كتب صاحب حلب اليه ويقول فيها ، متى اخذت حلب اخذت انطاكيه ومتى اخذت انطاكية اخذت القسطنطينية[2] . وعندما قرأ باسيل الخطاب شعر بالخطر العربي يقترب منه فترك جبهة القتال ضد البلغار وسار بنفسه على رأس الحملة المتوجهة الى حلب وكان جيشه يقارب المائة الف جندي[3] وكان الروم على وشك ان يفاجئوا منجوتكين لولا ان لؤلؤ حذره من ذلك ، ويظهر من هذا ان لؤلؤ اراد بسياسته هذه ان يحافظ على حلب والا يدعها تقع في يد الروم او الفاطميين فقال لمنجوتكين « ان عصمة الاسلام الجامعة لنا تدعوني الى انذاركم والنصح لكم وقد اظلكم باسيل في جيوش الروم فخذوا الحذر لانفسكم[4] ».

ثم جاءت طلائع منجوتكين بمثل هذا الخبر ، فأمر منجوتكين باحراق الاسواق والخزائن وهدم الأبنية ثم رحل في الحال منهزما[5] وجاء باسيل حتى نزل على حلب ورأى ما بناه منجوتكين فهاله الامر ، ثم خرج اليه لؤلؤ وابى الفضائل فحدثاه وشكراه على عمله[6] ويقول في زبدة الحلب ان لؤلؤ وأبا الفضائل بعثا الى باسيل وقالا له « ما نريد منك قتالا ، انما نريد ان تجفله[7] » وهناك قال قسطنطين لاخيه باسيل « خذ حلب والشام ما يمتنع منك» فما تسمع؟ فقال أما تسمع الملوك انى خرجت أعين قوما فغدرت بهم »« فقال له بعض اصحابه ليست حلب غالية بغدره » فقال الملك « بلى ولو أنها الدنيا[8] » فرحل باسيل الى الشام ونزل على شيزر فسلمها صاحبها بالامان لانه عجز عن الدفاع عنها لقلة امكانياته ثم سار الى طرابلس وكان قد فتح في طريقه حمص ، ولكنه عجز عن فتح طرابلس لمناعتها ودفاع أهلها المجيد فعاد الى بلاده[9] ، وعلم

---

(1) ابن القلانسي - ذيل تاريخ دمشق ص43

(2) سبط بن الجوزي - مرآة الزمان11-161

(3) سبط بن الجوزي11-161

(4) ابن القلانسي - ذيل تاريخ دمشق ص43

(5) ابو شجاع - ذيل تجارب الامم ص221

(6) ابن ظافر - الدول المنقطعة ص48-49

(7) ابن العديم - زبدة الحلب1-190

(8) نفس المصدر ص191

(9) ابو شجاع - ذيل تجارب الامم221 ابن القلانسي - ذيل تاريخ دمشق44

صاحب مصر بما أحدثه الروم في بلاد الشام فاستعد للقائهم . ونادى في الناس بالجهاد المقدس وغزو الروم ولكنه توفى قبل أن ينفذ مشروعه[1]. ولم تكن هذه مشاغل ابو الفضائل وحسب بل ثار أهل حران وكاتبوا بهاء الدولة بن بويه يطلبون منه أن يرسل لهم واليا عليهم فبعث خمارتكين الحفصي فتسلم الرحبة وسار منها الى الرقة ولكنه فشل امام بدر غلام سعد الدولة[2] .

وبينما كانت الامور تسير على هذا النهج توفى سعيد الدولة ابو الفضائل وابتلي أولاده من بعده بطمع مولاه لؤلؤ وولده منصور الذين آلت اليهم الامور في حلب بعد وفاة ابو الفضائل[3] فضيقوا على أبناء سعيد الدولة وقبضوا عليهم وبعثوا بهم الى مصر الا أن أبا الهيجاء ابن سعيد الدولة فر الى القسطنطينية[4] وأقيمت الدعوة في حلب الى الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمي وابطلت الدعوة العباسية ولقب المنصور بن لؤلؤ « مرتضى الدولة »[5] وتوفى والده لؤلؤ[6] الجراجي فآلت الامور كلها الى مرتضى الدولة في حلب منذ سنة 399[7] ، فاستبد مرتضى الدولة بأهل حلب وظلمهم فكاتبوا أبو الهيجاء الحمداني وطلبوا اليه العودة اليهم وبأخذ حلب من مرتضى الدولة[8] ، فاستعد ابو الهيجاء الى السير بعد ان استأذن ملك الروم في ذلك ، ولما رأى مرتضى الدولة خطورة الموقف حاول استرضاء بني كلاب واستمالتهم وأغراهم بالاموال والاقطاعات فانحازوا الى جانبه فاضطر ابو الهيجاء بالتالي الى العودة الى القسطنطينية وظل بها حتى مات[9] وهنا طالبت بنو كلاب بما وعدهم مرتضى الدولة فأخذ يماطلهم ، فعاثوا فسادا

---

(1) ابن الاثير الكامل 9-30 النجوم الزاهرة 4-121

(2) ابن الاثير الكامل 9-31

(3) ابن العديم ـ زبده الحلب 1-195

(4) محمد كرد علي ـ خطط الشام 1-248

(5) ابن خلدون العبر 4-254

(6) يقول في زبده الحلب : أن اسمه كان لؤلؤ الجراجي لانه كان مولى حجراج أحد غلمان سيف الدولة فأخذه منه وسماه لؤلؤ الكبير وكان شهما عاقلا شجاعا 1-197

(7) ابن العديم ـ زبده الحلب 1-197 خطط الشام 1-348

(8) نفس المصدر

(9) نفس المصدر

في أعماله فضاق بهم ذرعا فأضمر لهم الغدر ، فدعا رؤساءهم يوما وأظهر أنه يريد مصالحتهم فقبض على مشايخهم ورؤسائهم وكان بينهم صالح بن مرداس[1] ، الذي تمكن من الفرار من سجنه وجمع جموعه وسار لحصار حلب فهزم مرتضى الدولة ووقع اسيرا في يد صالح بن مرداس بينما ظل أخو مرتضى الدولة متحصنا في حلب[2] وسارت مشايخ وأوجه حلب في الصلح ما بين ابن مرداس ومرتضى الدولة وهو في سجنه ، وأتفق أخيرا على أن يطلق صالح بن مرداس مرتضى الدولة بشرط أن يدفع 50 ألف دينار عيناً و500 قطعة ثياب ويطلق جميع الاسرى في السجون من بني كلاب ثم يتزوج صالح ابنة مرتضى الدولة[3] ولكن ما أن خرج مرتضى من السجن حتى نقض جميع العهود والوعود التي تمت بينهما فعاد ابن مرداس يجمع قواته ويحاصر حلب فضاقت أهل حلب بمرتضى الدولة ولم يقتصر به الامر على هذا الحال بل أضاف الى سوء سيرته أنه اتهم غلامه فتح بانه كان سببا في هزيمته أمام ابن مرداس وأراد عزله عن القلعة الا أن فتح اعتصم بها[4] وأراد القبض على سيده وكاتب الحاكم بأمر الله في مصر ودعا له ، الا أن مرتضى الدولة تمكن من الفرار الى انطاكية ولحق فتح بصيدا وبيروت التي كان الحاكم بامر الله قد ولاه عليها وعين صاحب مصر من قبله واليا على حلب[5] وهكذا وباختلاف فتح مع سيده مرتضى الدولة أصبح النفوذ الحقيقي للفاطميين في حلب أمرا واقعيا[6] . وهكذا انقرضت الدولة الحمدانية في حلب بعد أن مكثت زهاء سبعين عاما عزيزة مستقلة في أولها ذليلة خاضعة لسلطان غيرها في آخرها .

---

(1) ابن العديم ـ زبده الحلب ص 1-201

(2) ابن العديم ـ زبده الحلب 1-205

(3) ابن العديم ـ زبده الحلب ! / 206-207

(4) ابن خلدون العبر 4-454 ابن العديم ـ زبده الحلب 1-208

(5) ابو الفدا المختصر 2-143 ابن العديم ـ زبده الحلب 1 / 209-210

(6) حسن ابراهيم حسن ـ تاريخ الاسلام السياسي 3-217

« الخاتمة »

في الحقيقة ان قيام الدولة الحمدانية في حلب كان امتدادا لدولتهم في الموصل وذلك لان كلا العاصمتين كونتا خطا دفاعيا واحدا ضد الهجوم البيزنطي المتحفز على الحدود الشمالية للعالم الاسلامي ، ولقد كان التعاون قائما بينهما ولكنه كان تعاونا تمليه الظروف العسكرية لكلا الطرفين ، وان لم يكن بينهما تنسيق واحد يجمعهما في وحدة فيدرالية واحدة .

ولقد كان موقف الخلافة العباسية هو الذي أملى ذلك الموقف في شمال العراق والشام ، وذلك لان الخلافة في بغداد ولا سيما القائمين عليها من البويهيين، لم يسمحوا لناصر الدولة ولم يمكنوه من اعلان استقلاله بل ظلوا يطاردونه بين الحين والحين ويفرضون عليه الاتاوة حتى غدا تابعا من اتباعهم او نائبا لهم بالموصل وان كان يتمتع بشخصية قوية في تلك المناطق ، بمعنى انه لم يستطع التخلص من سلطة البويهيين ومن الضريبة التي فرضت عليه كما هو الحال في مملكة أخيه سيف الدولة الذي لم يدفع لدار الخلافة أية ضريبة كما أنه لم يكن تابعا لها وان اعترف إسمياً بالخلافة وليس هذا الا لكي يعطي سلطته في حلب شرعيتها في نظر العالم الاسلامي ، ولو أن الخلافة في بغداد عاملت سيف الدولة بنفس معاملة أخيه ناصر الدولة لانشغلت جبهة حلب عن سياستها العدائية ضد البيزنطيين لتتفرغ لمقارعة الخلافة والقائمين عليها ولأعطت الفرصة للبيزنطيين أن يتقدموا ويحققوا ما يرمون اليه في الاستيلاء على بلاد الشام .

اذن كان استقلال جبهة حلب عن جبهة الموصل في تلك الفترة وفي ذلك الظرف .

من الضرورات التي اقتضاها أمن الخلافة وسلامتها ، ولو كونت الموصل وحلب دولة واحدة لرأت الخلافة فيها خطرا عليها ، ولحاولت النيل منها بشتى الطرق والوسائل.

ولقد بلغت قيمة التعاون بين العاصمتين الموصل وحلب خصوصا في الفترة الاولى (عصر سيف الدولة وأخيه ناصر الدولة) أن موقف الواحدة كان مدعاة لحفظ كيان الاخرى من التبعثر والانهيار ، فنحن رأينا كيف ان سيف الدولة في بداية امره عندما هزم أمام الاخشيديين ، لم يتجرأ الاخشيد على مطاردته والقضاء عليه لان « أهله لن يتركوه » كما قال . وليس هذا فحسب بل نجد،عندما ساءت العلاقات بين ناصر الدولة والبويهيين في بغداد وتقدمت القوات البويهية واستولت على الموصل ففر أمامهم ناصر الدولة الى أخيه في حلب . ولولا تدخل سيف الدولة مع البويهيين وتعهده لهم بان يدفع الضريبة المستحقة على أخيه لانتهت دولتهم في الموصل في فترة مبكرة .

وهناك مجالات أخرى ظهر التعاون فيها واضحا بين الطرفين حين وجدنا أن سيف الدولة كان يستخدم أولاد أخيه ناصر الدولة ليكونوا ولاة له على أعماله ، ثم رأينا كيف ان سيف الدولة استعان بأخيه بعد أن خربت عاصمته حلب في سنة351 على يد البيزنطيين .

ولكن العلاقة في عهد أولادهم لم تكن كتلك التي ربطت آباءهم ، لان دولتهم باتت ضعيفة سواء في الموصل أوحلب، وكان هم كل منهم أن يحاول المحافظة على كيانه قدر المستطاع .

ولكن الحقيقة التي لا ينكرها أحد أن قيام دولتهم في الموصل وحلب في تلك الظروف التي شهدت انهيار الخلافة العباسية كان حدثاً من الاحداث الهامة - ولقد لعبت هذه الدولة دورا خطيراً في المحافظة على جغرافية تلك المنطقة من أن تتغير الحدود السياسية فيها ، الى ان ظهرت الدولة الفاطمية كقوة رئيسية في العالم الاسلامي تسلمت الرسالة من الدولة الحمدانية لكي تحافظ عليها وتواصل جهادها ضد اعداء العروبة والاسلام .

المخطوطات

1 ـ ابن ايبك « ابي بكر بن عبد الله ابن أيبك الدواداري » — « كنزالدرر وجامع الغرر » مخطوط مصور بدار الكتب الجزء السادس القسم السادس

2 ـ ابي العباس احمد حلبي بن يوسف ابن احمد الدمشقي (القرماني) ت1019 هـ — « اخبار الدول وآثار الأول مخطوط بدار الكتب

3 ـ بدر الدين ابي محمد محمود بن احمد المعروف « بالعيني » (855 هـ) — « عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان » مخطوط مصور بدار الكتب .

4 ـ بيبرس ركن الدين المنصوري الدواداري — « زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة » الجزآن الخامس والسادس ـ مخطوط مصور بجامعة القاهرة .

« ملاحظة » الجزء السادس غير مرقم وغير منتظم الحوادث

« الدول المنقطعة » مخطوط بدار الكتب

5 ـ جمال الدين ابي الحسن علي بن كمال الدين ابي منصور ظافر بن حسين الازدي (ت623 هـ) .

6 ـ جمال الدين ابي بكر محمد بن محمد — « الاكتفا في تاريخ الخلفاء »

المصادر والمراجع

10 ـ ابن الاثير (علي بن احمد بن ابي الكرم) ت630 هـ) . الكامل في التاريخ ـ طبعة 1274 هـ بولاق + المنبريه

11 ـ ابن تغري بردى (جمال الدين يوسف ابو المحاسن) ت874 هـ) « النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة » جـ3-4 . طبعة عام1932 . م

12 ـ ابن جبير (محمد ابن احمد ابن جبير) ت614) هـ رحلة بن جبير ط عام1908 م

13 ـ ابن الجوزي (عبد الرحمن بن علي ابن محمد بن علي ابو الفرج بن الجوزي توفي عام597 هـ) المنتظم في تاريخ الملوك والامم ط1357 هـ جـ5-6-7

14 ـ ابن حوقل ابو القاسم محمد بن حوقل البغدادي (توفي في اواخر القرن الرابع الهجري) صورة الارض ط عام1938 م

15 ـ ابن خلدون (عبد الرحمن ابن محمد بن خلدون) (ت808 هـ) العبر وديوان المبتدأ والخبر جـ3-4 ط1284 هـ .

16 ـ ابن خرداذبه (ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله) ت حوالى عام300 هـ . المسالك والممالك وبداخله نبذ من كتاب الخراج . ط1889 هـ .

17 ـ ابن خلكان (ابي العباس شمس الدين احمد . . . بن خلكان) (ت681 هـ) « وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان ط عام1948 م .

18 ـ ابن سعيد (علي بن موسى المغربي) (ت 673) هـ . المغرب في حلي المغرب ط عام1898 هـ

19 ـ ابن الشحنة ـ (ابو الفضل محمد ابن الشخنة الحلبي) الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب طبعة 1909 م

20 ـ ابن عبد ربه (ابي عمر احمد بن محمد بن عبد ربه) (ت349 هـ) ـ العقد الفريد طبعة عام1942 م

21 ـ ابن العبري (غريفوس ابي الفرج بن هرون الطيب الملطي) (ت685 هـ) مختصر الدول ط . 1890 م

22 ـ ابن عريب . (عريب بن سعد القرطبي) (ت366 هـ) صلة التاريخ الطبري ط عام1939 م

23 ـ ابن عساكر (ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسن بن عساكر) (ت 571 هـ) « التاريخ الكبير» ط ـ عام1332

24 ـ ابن العماد ـ (ابي فلاح عبد الحي ابن العماد الحنبلي) ت1089 هـ شذرات الذهبي في اخبار من ذهب ط عام1350 هـ .

25 ـ ابن فضل الله العمري (شهاب الدين احمد بن فضل الله) (ت742 هـ) مسالك الابصار في ممالك الامصار1924 م

26 ـ ابن قتيبه (ابو محمد بن عبد الله ابن مسلم بن قتيبه) (ت276 هـ) (الامامة والسياسة) جـ2

27 ـ ابن كثير (عماد الدين ابو الفدا اسماعيل بن كثير)(774 هـ) « البداية والنهاية » ط ـ1351

28 ـ ابن هلال الصابي (ابو الحسن بن المحسن بن ابي اسحق ابراهيم الكاتب)(ت 448) هـ . تحفة الامراء في تاريخ الوزراء

29 ـ ابن القلانسي (ابي يعلى حمزة ابن القلانسي (ت 555 هـ)	(ذيل تاريخ دمشق) ط1908
30 ـ ابن رسته (احمد بن عمر ابن رسته) .	الاعلاق النفيسة ، وبداخله كتاب البلدان لليعقوبي ط عام 1891
31 ـ ابن طباطبا (محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي) (322 هـ)	الفخري في الآداب السلطانية ط عام1894
32 ـ ابو بكر الصولي (ابو بكر محمد بن يحيى) (ت335)	اخبار الراضي لله والمتقي بالله او تاريخ الدولة العباسية من عام322 هـ الى عام333 هـ
33 ـ ابو شجاع (محمد بن الحسين الملقب ظهير الدين الروذراوي) (ت488 هـ)	ذيل تجارب الامم ط1916
34 ـ ابو الفدا (الملك المؤيد ابو الفدا اسماعيل) (ت732 هـ)	المختصر في اخبار البشر طبعة عام1950
35 ـ ابو محمد عبد الله بن سعيد بن علي ابن سليمان (ت768 هـ)	مرآة الجنان وعبرة اليقظان ط1338
36 ـ ابو منصور الثعالبي (عبد الملك أبي محمد ابي اسماعيل النيسابوري الثعالبي) (ت429 هـ)	يتيمة الدهر ط1353 هـ
37 ـ بتشوف	تحف الانباء في تاريخ حلب الشهباء ط عام1880
38 ـ البلاذرى (احمد بن يحي بن جابر البلاذرى) (ت279 هـ)	فتوح البلدان ط عام1866
39 ـ البكري « ابي عبيد الله بن عبد العزيز البكري الاندلسي » (ت487 هـ)	معجم ما استعجم ط عام1945

ملاحظة (المصادر التي امامها « ابن » او «ابو» (مرتبة لوحدها ترتيبا ابجديا)

40 ـ التنوخي ـ « القاضي ابي المحسن ابن علي بن محمد بن ابي الفهم التنوخي » (ت384 هـ) — جامع التواريخ أو نشوار المحاضرة ط1921

41 ـ الخطيب البغدادي (ابي بكر احمد ابن علي الخطيب البغدادي) (463 ت) — « تاريخ بغداد » او مدينة السلام جـ14 ط1931

42 ـ خير الدين الزركلي — الاعلام

43 ـ دحلان ـ الزيني (احمد بن السيد زيني دحلان) ت (1304) هـ — الفتوحات الاسلامية المطبعة الحسينية

44 ـ الذهبي (شمس الدين ابي عبد الله) محمد بن احمد بن عثمان المعروف بالذهبي ت (748 هـ) — دول الاسلام جـ1 ط1337 هـ

45 ـ سامي الدهان — ديوان ابو فراس 1363 -1944

46 ـ سليمان الصايغ — تاريخ الموصل ط1923

47 ـ السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن ابن ابي بكر السيوطي) ت911 هـ — تاريخ الخلفاء طبعة عام1964 -1383

48 ـ الاصطخري (ابراهيم بن محمد الفارسي) المتوفى النصف الأول من القرن الرابع الهجري — المسالك والممالك طبعة عام1961

49 ـ الطباخ ـ محمد راغب محمود هاشم الطباخ — اعلام النبلاء في تاريخ حلب الشهباء 1923 م ـ1342 هـ

50 ـ الطبري ـ (ابي جعفر محمد بن جرير الطبري) (ت310 هـ) — تاريخ الرسل والملوك ـ ط1789

51 ـ العكبري — ديوان المتنبي ط1936

52 ـ القلقشندي (ابي العباس احمد القلقشندي) (ت821 هـ) — صبح الاعشى 1914 -1332

53 ـ كمال الدين (ابي القاسم عمر بن احمد ابن هبة الله المعروف بابن العديم — زبده الحلب من تاريخ حلب (نشر سامي الدهان) ط1951 م ـ1370 هـ

54 ـ الكندي (ابو عمر محمد بن يوسف) (ت350 هـ)	الولاة والقضاة ـ ط1908
55 ـ محمد كرد علي	خطط الشام ط1925 .
56 ـ المسعودي ـ(أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي) (ت عام346 هـ)	مروج الذهب طبعتين1) عام1346 هـ ـ1927 م 2) عام1960 م
57 ـ مسكويه (ابي علي احمد بن محمد المعروف بمسكويه) ت (421 هـ)	تجارب الامم وتعاقب الهمم ط1914 نشره ـ هـ، ف ـ آمدروز ـ
58 ـ المقدسي ـ (شمس الدين ابي عبد الله محمد بن احمد بن ابي بكر الشامي المقدسي) (ت387)	احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ط عام1906
59 ـ المقريزي (تقي الدين احمد بن علي المقريزي) نشر الدكتور زياده (ت845)	اتعاظ الحنفا ط1948
60 ـ المقريزي (تقي الدين احمد بن علي المقريزي) نشر الدكتور زياده (ت845)	السلوك لمعرفة دول الملوك ، قسم اول جزء أول
61 ـ الهمذاني ـ (ابو محمد الحسن بن احمد بن يعقوب بن يوسف بن داود) (ت334) هـ	صفة جزيرة العرب عام1884
62 ـ ياقوت الحموي (شهاب الدين ابو عبد الله الحموي الرومي) (ت626 هـ)	معجم البلدان ط عام1965
63 ـ اليعقوبي (احمد بن ابي يعقوب ابن جعفر بن وهب . . . (ت282 هـ)	تاريخ اليعقوبي ط عام1883
64 ـ عيون الحدائق واخبار الحقائق	(غير معروف المؤلف) طبعة عام1871

الكتب الحديثة

65 ـ ابراهيم جلال — المعز لدين الله الفاطمي طبعة عام1944

66 ـ د . ابراهيم العدوى — الامبراطورية البيزنطية والدولة الاسلامية ط عام1951

67 ـ د . احمد ابو حاقه — ابو فراس الحمداني ط عام1960

68 ـ د . احمد امين — ظهور الاسلام جـ1 ط1945

69 ـ د . جواد علي — العرب قبل الاسلام ط عام1953

70 ـ د . جوزيف نسيم يوسف — العرب والروم واللاتين ط عام1967

71 ـ د . حسن ابراهيم حسن — الفاطميون في مصر ط عام1932

72 ـ د . حسن ابراهيم حسن — تاريخ الدولة الفاطمية1958

73 ـ د . حسن ابراهيم حسن — تاريخ الاسلام السياسي والديني والاجتماعي عام1946

74 ـ د . حسن احمد محمود . احمد الشريف — العالم الاسلامي في العصر العباسي ط عام 1966

75 ـ د . زكي المحاسني — شعر الحرب في أدب العرب ط1961

76 ـ د . سامي الكيالي — سيف الدولة وعصر الحمدانيين ط عام1959

77 ـ د . سعيد الديورمي — الموصل في العهد الاتابكي ط عام1958

78 ـ د . سيد الباز العريني الدولة البيزنطية ط1960
79 ـ د . سيد امير علي مختصر تاريخ العرب ط1938
80 ـ د . سيده الكاشف مصر في عصر الاخشيديين ط عام1950
81 ـ د . عبد العزيز الدوري تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ط1948
82 ـ د . عبد الوهاب عزام ذكرى ابو الطيب المتنبي ط عام1948
83 ـ علي الجارم فارس بني حمدان ط1948
84 ـ د . عمر رضا كحاله معجم القبائل العربية ط1949
85 ـ د . عمر كمال مقدمات العدوان الصليبي على الشرق العربي ط 1967
86 ـ د . فتحي عثمان الحدود الاسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري عام1966
87 ـ د . محمد جمال سرور النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب ط1959
88 ـ د . محمد جمال سرور تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق من عهد نفوذ الاتراك الى منتصف القرن الخامس الهجري ط 1965 .
89 ـ د . الشيخ محمد الخضري محاضرات في تاريخ الامم الاسلامية ط عام1921
90 ـ د . محمد عزت دروزه عرب وعروبة1959
91 ـ د . مصطفى الشكعة سيف الدولة الحمداني1959
92 ـ د . مصطفى الشكعة فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين1958
93 ـ يحي بن سعيد (ت458 هـ) التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق لسعيد بن بطريق ط عام1909
94 ـ دائرة المعارف الاسلامية
95 ـ دائرة معارف البستاني
96 ـ مجلة الحديث عام1934

الكتب الاجنبية المعربة

97 - اندره دايفنس: تعريب اسكندر رياشي (سيف الدولة رواية تاريخية

98 - زامباور: معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي .

99 - سيديو: تاريخ العرب العام - ترجمة محمد عادل زعيتر

100 - فيليب حتي: تاريخ سورية

101 - فازليف: العرب والروم - ترجمة محمد عبد الهادي شعيره

102 - كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الاسلامية - ترجمة نبيه امين ومنير بعلبكي .

103 - كانار - ماريوس «غير معرّب»: اخبار الامير سيف الدولة الحمداني

104 - كي لسترانج: بلدان الخلافة الشرقية - ترجمة كوركيس عواد

105 - آدم متز: تاريخ الحضارة العربية الاسلامية في القرن الرابع الهجري

106- Cambridge Medieval History Vol IV

107- Encyclopeadia of Islam.

108- Gibbon. The great Book of the Western World II.

109- Khan Bahadur Ahsan allah.
History of the Moslem World.

110- Muiv. William.
«The Caliphate - its Rise Decline and Fall».

111- Pearson - J. D. Index of Islamixus.

112- Rynold- A. Nichol son,
Aliterary History of the Arabs.

113- Stanley - Lane- Poole.
The Mohammadan Dynasties.

شجرة الاسرة الحمدانية ـ عن شروح بن خالويه لديوان أبو فراس

حمدان

أبو الهيجاء (317 هـ) — ابراهيم — أبو العلاء (323 هـ) — سليمان

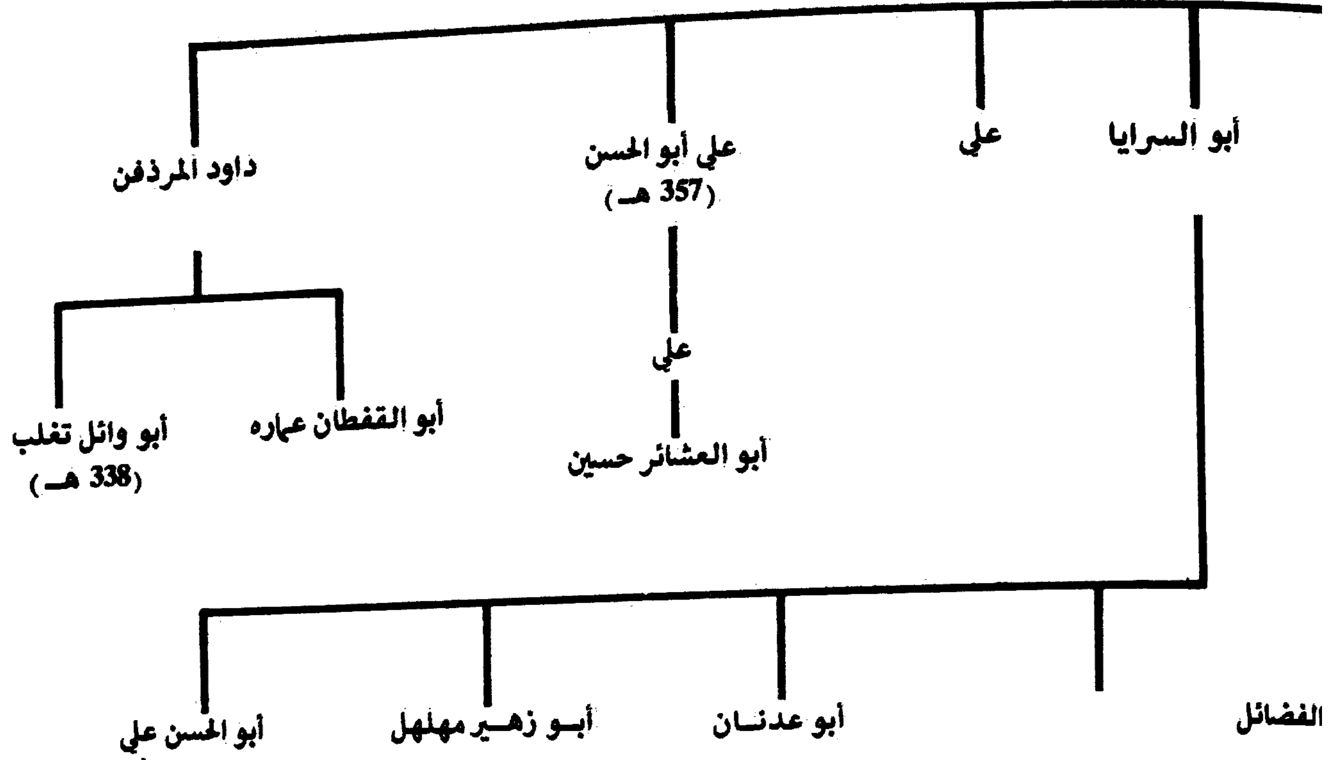
أبو الهيجاء (317 هـ):
سيف الدولة — ناصر الدولة — أبو العطاف جبير — خوله — فاطمة

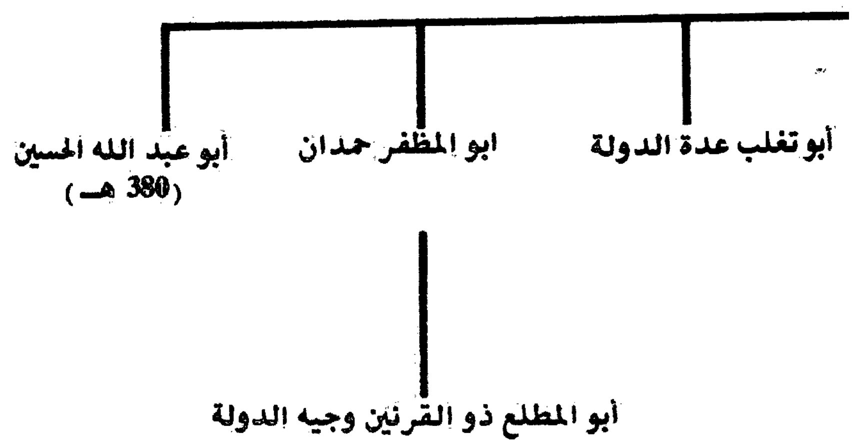
أبو العلاء (323 هـ):
أبو الهيجاء حرب — زوجة سيف الدولة — أحمد أبو الافر — أبو عبد الله الحسن — أبو فراس الحارث (357 هـ)

ناصر الدولة:
المرجى جابر (351 هـ) — جميلة — أبو القاهر هبة الله — أبو البركات (359 هـ) — أبو الفوارس — أبو طاهر ابراهيم (381 هـ)

سيف الدولة:
أبو المعالي شريف [illegible] هـ — أبو المكارم (354 هـ) — أبو الهيجاء (338 هـ) — أبو الفضائل — أبو الفضائل

حمدان بن حمدون بن الحارث بن لقمان بن راشد بن المثنى بن براقع بن الحارث بن عطيف بن مجوية بن حارثة
ابن مالك بن عبيد بن عدي بن أسامة بن مالك بن بكر بن جبير بن عمرو بن غنم بن تغلب ... وائل ....
ربيعة ... مضر .... معد ... عدنان .

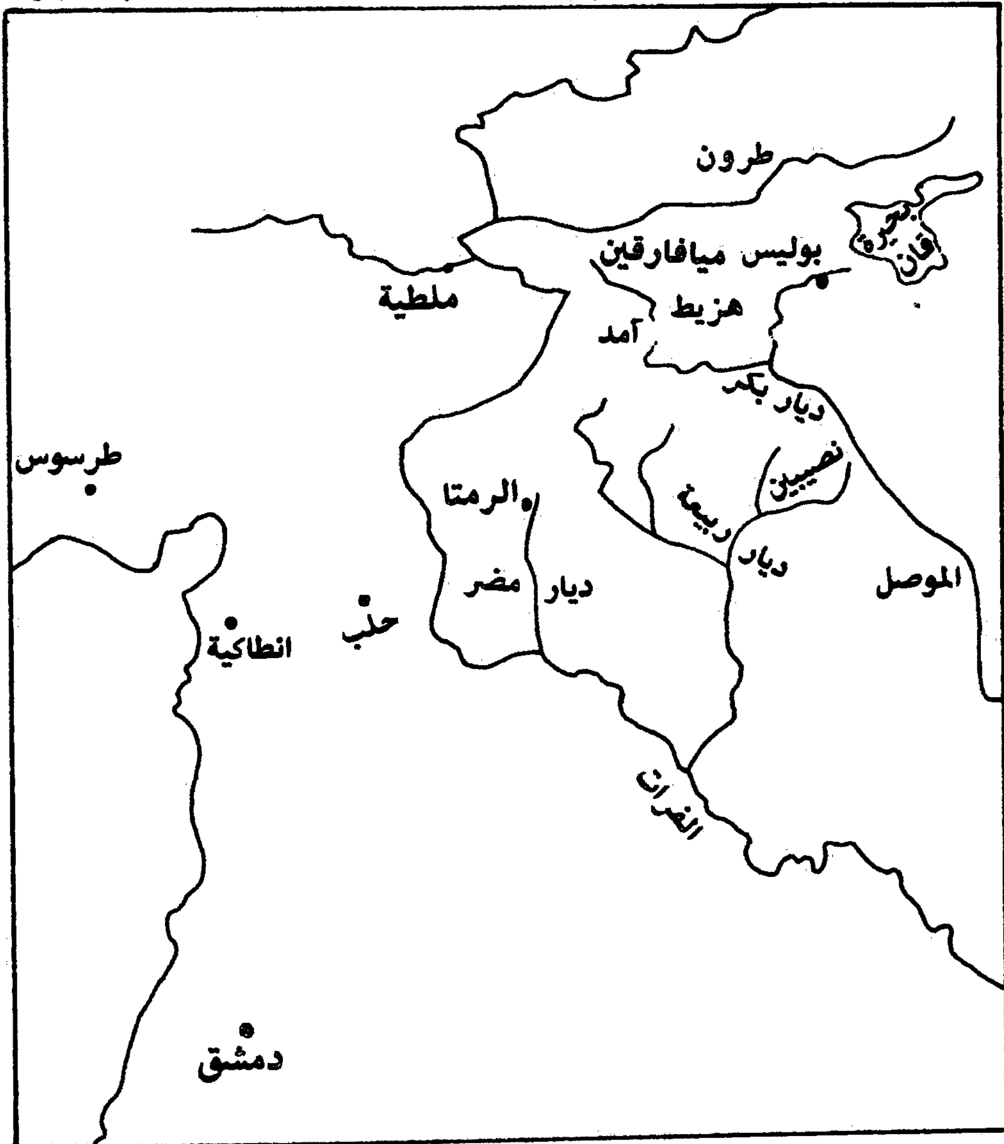


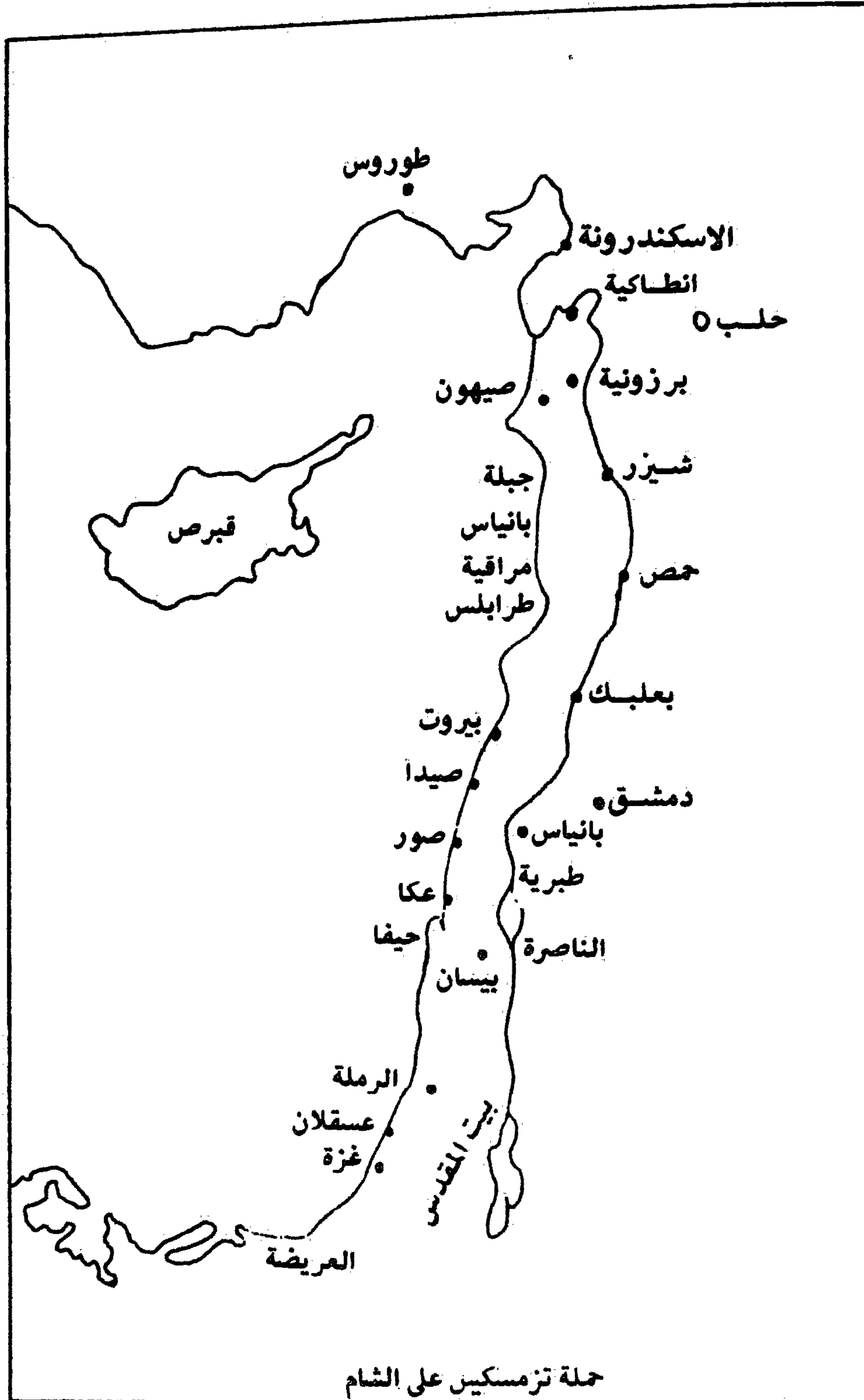


ست الناس

نقلاً عن كتاب ـ مقدمات العدوان الصليبي
على الشرق العربي ـ د . عمر كمال

حملة تزمسكيس على العراق





حملة تزمسكيس على الشام

هزان
جزيرة ابن عمر
الزاب الكبير
الزاب الأسفل
آمد
نصيبين
بلد
الموصل
ديار ربيعة
سنجار
حران
ديار مضر
الجزيرة
تكريت
سامراء
بغداد
الفرات
الانبار
الكوفة
طرسوس
اسكندرونة
سلوقية
اللاذقية
معرة النعمان
كفر طاب
حماه
حمص
نهر العاصي
طرابلس
بيروت
صيدا
صور
عكا
حيفا
دمشق
طبرية
مملكة سيف الدولة
البحر الأبيض المتوسط
عسقلان
غزة
القدس
يافا
نقلا عن MARIUS CANARD

الفهرس

الفصل الرابع

الدولة الحمدانية في حلب وعلاقتها بالاخشيديين الفاطميين والبيزنطيين